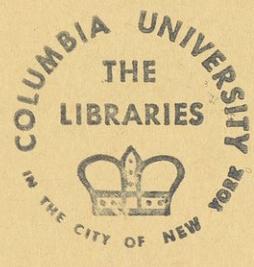
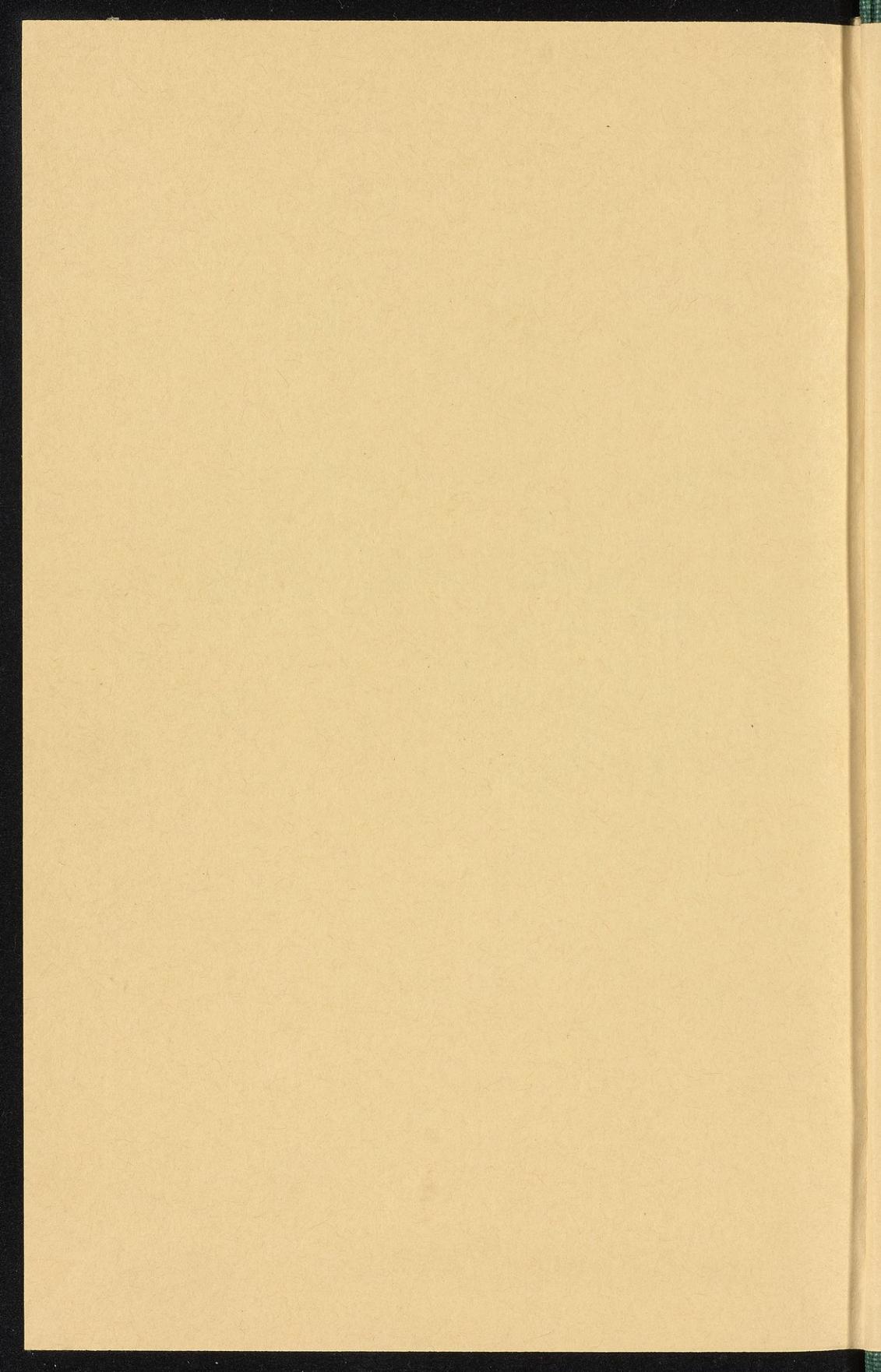
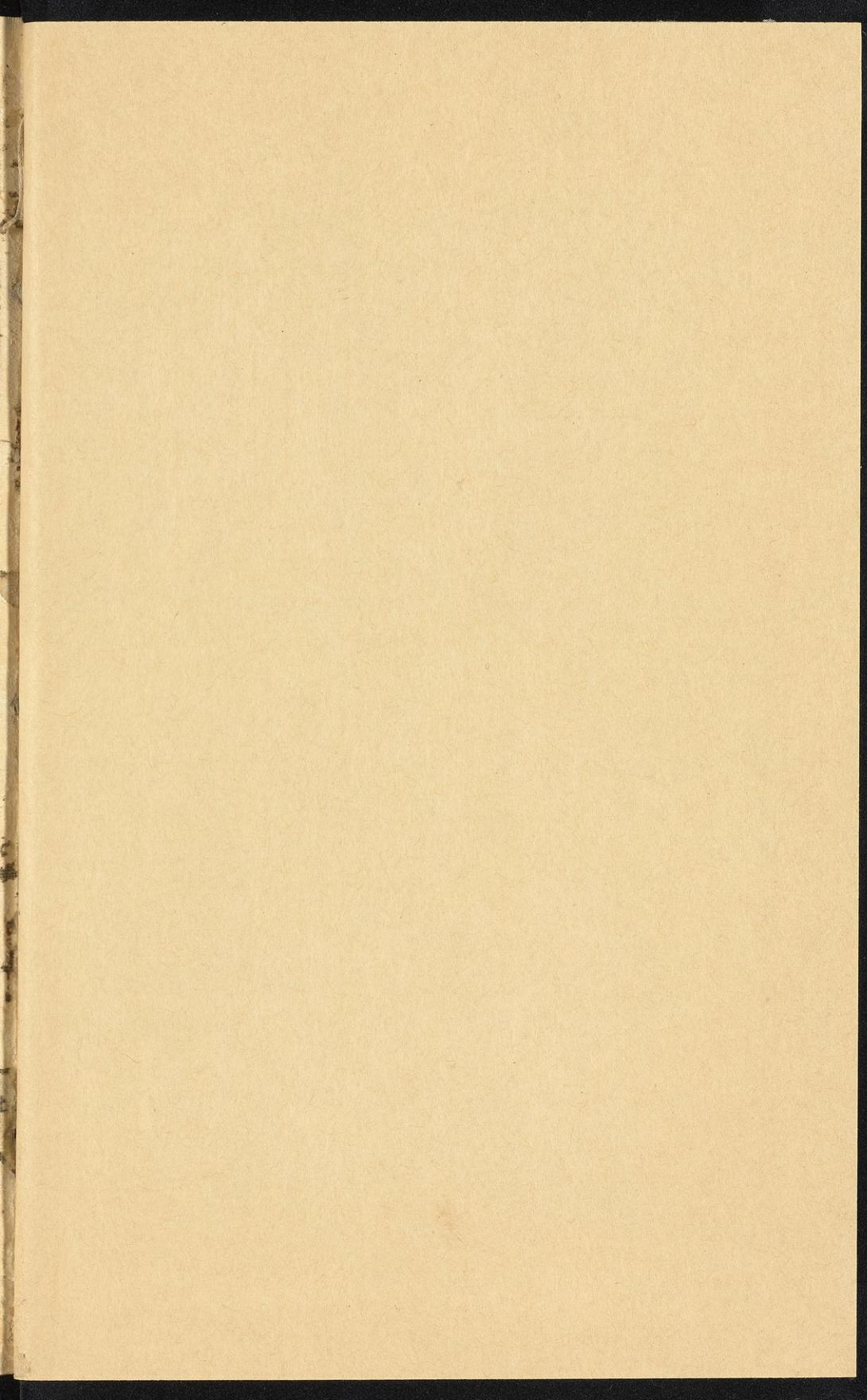


341



GENERAL
LIBRARY







تأليف
كتاب من كبار الكتاب

الجزء الأول

* حقوق الطبع والترجمة محفوظة لصاحب اللواء *

(الطبعة الأولى)

(مطبعة اللواء بباب اللوق بمصر)

DS
38.4

• A2

N34

1901

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله وأصلى على نبيه الكريم سيد الانبياء والمرسلين . وبعد فقد رأيت ان المسلمين في تأخرهم وانحطاطهم وانشقاقهم وافتراقهم محتاجون الى عظات التاريخ وعبر الحوادث السابقة اكثير من غيرهم مفتقرةون الى معرفة اسباب تقدم آباءهم وسبل نجاح أسلافهم . غير محظيين بعفارخ عظامه رجالهم . تلك المفاخر التي يجب على كل مسلم أن يعرفها ويحفظها ويبذل جهده للإitan ببنائها . وعلمت من سياحاتي في بلاد الغرب ورحلاتي اليه ان أهم الأمور لدى أهلها معرفة سير السالفين من عظاماء الرجال الذين رفعوا الاوطان منارة عالياً وشيدوا من الجهد صروحات لاتنالها يد الحدثان وأقاموا للعلم والفضيلة بنيانا وأي بنيان . وان للقوم في ممالك أوروبا حرضاً شديداً على تلك السير فتراهم يباهون بها الامم ويجعلونها الأبناء وناشئهم الدروس الأولى والقصص التي بها يتفكرون ومنها يتعلمون فدفعتني محبة الاسلام ورغبتى الاكييدة في خير بنية ورفعه أهلها الى دعوة كاتب من عليه كتاب المسلمين ومؤرخ من كبار المؤرخين لوضع تراجم

أعضاء الرجال في الاسلام نبيها للغافلين . وارشاداً للجاهلين . واحياء لـ ملك المأثر الباهرة . والسير العاطرة . فأجاب الدعوة حباً للخدمة العامة واشتهرت علينا كتمان اسمه ليكون العمل خالصاً لوجه الله الـ سـ كـ رـ يـ مـ

وقد نشر الكثير من هذه الترجم في الاواء تحت عنوان « حماة الاسلام »
فكان لها من الدوى والرizen مالم تلهأ بداع رسائل المنشئين . وأجود منشآت
الكتابين . مما حب اليه جمعها في هذا الكتاب ونشرها بين امة الاسلامية
الكريمه عساهما اذا ذكرت بالحمد القديم والشرف الغابر تحيا منها نفوس
هي لحمد الله مستعدة للحياة

والله المسؤول أن يجزي المؤلف خيراً ويتحقق ماؤهمل من عن وارتقاء
للاسلام وال المسلمين

(مصطفیٰ کامل)

١٣١٨ ذي الحجة سنة مصر في

ed.

203

Exclam.

مقدمة المؤلف

ان الحكيم الذي ينصب نفسه لتربية الأمة يجب عليه ان يدخل بها في كثير من أبواب الرياضيات ويريها على صنوف من مكارم الأخلاق ليتحقق من استعدادها الفطري ويظهر له الوجه الذي تصبوا اليه والموطن الذي تألفه والمقصد الذي توجه اليه حتى اذا دعاها الى الولوج معه من ذلك الباب الذي رآه صالحا لها لبته لأنه أصبح هو وشوقها عليه وقد رأينا ان الذين نصبو أنفسهم لوعظ أمثال هذه ونصلحها قد قلبوها على أوجه كثيرة من التربية والتهديب فأخذوها بالرفق والدعوة للخير ثم واجهوها بالزجر والاعنات . وضرموا لها الأمثال . وحدروها عوائق ماهي فيه ودعوها الى محاذاة الأمم ومجاراتها . وأهاجوا فيها نار الغيرة وقد حمواها زند الشوق لـ كل فضيلة . ثم رأينا ورأوا انهم على طول هذا الزمان لم يصلوا الى كل ما ارادوا بل قصرت بهم النتائج عن كثير من المبادئ الشريفة التي نهجوها وأرادوها تتحقق لهم كلما اجهدوا فسداً وعليها بابا من أبواب الشر فتح أهل الشر عليها أبوابا من المفاسد ولم يأمن فيها العثور . ومنزلة القدم . والحاديـ عن جادة الصدق . الا قليلاً

ظهر لهم ان الأمة لم يكن لها نقطة وسط ترتكز عليها . بل هي في مهب ريح الاغراض سائرة مع كل قائد . وعلى المخصوص لو عزز الداعي لهادعوه بالبهتان الذي أصبح منطليا على أكثرها فما أسرع ان تلبيه اذا دعاها واتضافه اذا سألاها

ثبت لهم ان في الامة عدداً عظيماً نسوا ملتهم ودينهم ووطفهم . بل نسوا الله فأنساهم أنفسهم . فلا بد لهم من مذكر يقرع أسماءهم بصوت آخر يكون له في القلوب رنة وفي النفوس صدى يبعث فيها ميت المهمة تبين لهم ان في حواس الامة خدر اجعلها لا تتأثر لصايتها . كصاحب العاهة الذي تعيشه الصبيان بها فيتالم منهم في أول أمره حتى يضرب قريباً لهم ويتشتم بعيدهم ربما يعرف ان الناس تسامعت بعاهته واشتهر به افيسكن ويضحك على نفسه كما تضحك الناس منه

ولاعجب في هذا الان فقد ان الفضائل وارتكاب اضدادها . وسلوك الطرق المبتدةعة . وانتهاص الاخلاق . ونسيان العوائد الجميلة . والافراط في أسباب الحضارة من الرياش والترف . والتناهي في عدم القناعة . بدل الاخلاق من أصله . وحول العالم بأسره . وكانوا خلقاً جديداً . ونشأة مستأنفة . وعالم محدث نعم يجب على الناصح ان ينادي في الامة بذلك الصوت من غير ان يدعوه حالها لايأس . او يسد عليه باب الامل . او يقطع عنه طريق الخير . او يمانعه في وصول النفع . فان أبواب الصلاح لا تختفى ولا تستقصى يعرفها الناصح الامين . والواعظ المشفع يرجو بها تحقيق الخير والنفع ان شاء الله وان من أبواب التربية التي لم تقرع . وطرقها الجسيمة التي لم تسلك . وشرعواها الغزيرة التي لم تقصد . دعوة الامة للنظر في ماضي امرها و أوليئه شأنها التعلم من

هـ عـساـها تـخـجل مـن ان تـكـون خـاتـمة سـوـء لـذـالـك المـفـتـح الشـرـيف . عـساـها
تـأـسـف عـلـى حـالـهـا مـن كـوـنـهـا أـصـبـحـت بـعـزـلـة السـفـيـهـ وـلـي مـلـكـافـلـمـ يـحـسـن سـيـاسـتـهـ
وـرـزـقـ سـعـةـ مـنـ الـمـالـ فـلـمـ يـدـبـرـ أـمـرـ تـنـيـتـهـ

هـذـا الـبـابـ مـنـ أـحـسـنـ الـأـبـابـ الـتـىـ تـشـفـ أـفـكـارـ الـأـمـةـ وـأـقـرـبـ مـاـتـرـبـىـ
عـلـى خـيـرـهـ طـبـاعـهـ فـانـ تـذـكـارـهـ بـجـدـهـ الـقـدـيمـ وـتـمـثـيلـ عـزـهـ السـالـفـ لـهـ
وـتـشـخـيـصـ مـجـدـهـ الشـانـغـ اـمـامـ عـيـونـهـ يـدـعـوـهـ بـلـاشـكـ لـلـتـنـافـسـ بـخـالـهـ الـحـمـيدـةـ
الـسـابـقـةـ .

أـحـسـنـ رـادـعـ لـلـإـنـسـانـ عـنـ شـهـوـاتـهـ اـنـ يـلـفـتـ وـرـاءـهـ فـيـ فـيـرـيـ فـيـ أـمـتـهـ وـمـلـتـهـ
الـعـلـمـاءـ وـالـحـكـمـاءـ وـالـعـظـاءـ وـالـحـكـامـ وـالـقـوـادـ عـاـشـوـاـ وـلـاـ شـغـلـ لـهـمـ الـأـمـجـادـ أـقـامـوـهـ
وـعـزـآـشـادـوـهـ . وـشـرـفـاـ حـفـظـوـهـ . وـأـكـبـرـ مـسـهـلـ لـهـ لـاـحـتـالـهـ الضـيـمـ وـالـذـلـ جـهـلـهـ
بـحـالـةـ نـفـسـهـ وـنـسـيـانـهـ مـجـدـ آـبـائـهـ وـأـجـدـادـهـ حـتـىـ تـسـتـرـتـ عـنـهـ كـرـامـةـ أـخـلـاـقـهـمـ
وـتـحـجـبـ عـنـهـ جـيـلـ طـبـاعـهـ وـلـمـ يـذـكـرـهـ مـذـكـرـ بـسـابـقـ أـعـمـالـهـمـ الشـرـيفـةـ . اـنـهـ
لـاـيـأـنـفـ أـبـدـاـ مـنـ اـتـيـانـ الـدـيـنـ وـعـمـلـ كـلـ مـاـيـخـالـفـ تـلـكـ الطـبـاعـ الـجـمـيلـةـ وـالـاخـلـاقـ
الـطـاهـرـةـ .

لـذـكـرـ تـرـىـ الـدـهـاـةـ مـنـ الـفـاتـحـينـ . خـصـوـصـاـ جـالـ الـمـالـكـ الـفـرـيـهـ الـآنـ الـذـينـ
لـاـ يـغـفـلـوـنـ عـنـ تـجـربـهـ وـلـاـ يـغـضـوـنـ عـنـ فـرـصـةـ . اـذـاـ قـتـحـواـ بـلـدـةـ اـسـلـامـيـةـ اوـ اـحـتـلـوـهـاـ
تـسـلـطـواـ عـلـىـ اـهـلـهـاـ فـاـئـسـوـهـ دـيـنـهـمـ وـعـوـاـدـهـمـ وـلـغـهـمـ وـتـارـيـخـ حـيـاتـهـمـ وـمـجـدـهـمـ
وـاسـتـبـدـلـوـهـمـ بـذـلـكـ شـيـاـ آـخـرـ . فـتـرـاهـ اـذـاـ نـسـوـاـ تـارـيـخـ حـيـاتـهـمـ وـأـشـرـبـوـافـ قـلـوبـهـمـ
تـارـيـخـ حـيـاةـغـيرـهـ ذـهـبـ كـلـ فـرـيقـ مـنـهـمـ بـماـ اـشـتـهـيـ وـشـبـتـ النـفـوسـ عـلـىـ مـاـسـيـقـتـ
اـلـيـهـ وـبـدـتـ عـلـىـ الـأـمـةـ أـخـلـاقـ مـنـكـرـةـ مـبـتـكـرـةـ بـعـوـاـدـغـرـيـهـ لـاـ تـنـسـبـ بـالـمـرـةـ
لـسـوـابـقـ عـوـاـدـهـاـ وـتـقـرـبـواـ مـنـ تـلـكـ الـأـمـمـ الـطـارـئـينـ بـكـلـ طـرـيـقـةـ وـابـتـعدـواـ عـنـ

ذلك الاصل الشريف الذي هم منه
ثم يتبع ذلك تقلص ظل الدولة الحاكمة وفل جدها ووهن سلطانها .
وتنداعى للتلاشى والاضمحلال وينقص من عمر انها اويندرس من سبلاها وعمالها
بقدار انحراف رعيتها عن عوائدها الشرفية
ثم تناهى الامة في النجور وتفانى في البغى والضلال حتى تعود باللامة
على اصل دينها وعوائدها وأخلاقها . تقول وهي لاستتحى من الله ولا من
الخلق ولا من نفسها انها مأخذت الا من جهة تقصير دينها وتقاليده عن
مقتضيات الحياة المدنية ومستلزماتها وأفرادها يجهلون غاياته البعيدة في المآخذ
والمتارك يودون من صميم أفلاطون ان لو استبدلوا بطبعهم وعواوينهم شيئاً
آخر ليخرجوا من ذلك الجنس كما هو واقع الان من بعض أهالى هذه البلاد
المصرية ووقع من قبله افى كثير من بلاد الاسلام كالاندلس وغيرها
عذر أولئك انهم يغدون ويروحون بين رجلين إما عدو لهذه الملة يدعى
عدم ملامة ديتها للمدنية الجديدة (كبعض فلاسفة هذا الزمان) وإما جاهل
تارىخ حياتها فلا يعرف منه شيئاً لا خيراً ولا ضراً (كأغلب شبان هذا العصر)
لذلك هم يفرون من النسبة لهذا الدين ويتجنبون القرابة لأمتهم وملته
لأنهم أقل الناس دراية به ومعرفة به ضائمه لا يعلمون وهم أهل مكرمة له
يعدوها المنتسب منهم اليه مفخرة اذا نازعه منازع في الانتساب اليه
يلبغي لهم أن يتلموا من أن يكونوا مسلمين لأنهم لا يدركون للمسلمين
فتحا أبواب فيه بلا حسنة . ولا يعرفون لهم حربا ولا ضربا . ولا يتحققون في
أى بقاع الارض نشأ المسلمون وفي أي جهة كانوا شرقاً أم غرباً . ولا يحصون
لهم عدداً ليعلموا انهم وهم على قلمتهم فاجاؤا حصون الملك البعيدة ومعاقل

العواصم النازحة فأنزلوا حماتها من عروشهم وبثوا فيها معلم دينهم وصيروها
حنينية بعد ان كانت جاهلية

كيف لا يألفون من المسلمين وهم يعتقدون انهم قوم نشأوا وسط
البداوة لا يعرفون غير جوب القفار وقطع الأودية . عاشوا في جهالة وما توا
في جهالة

لا يعقلون أن جميع مكارم الأخلاق إنما هي منتزعة منهم وأخذوه عنهم
وان ما يدعوه المدعى من اخلال الحمية كالدعة والرجمة والشفقة والعدل
والانصاف والاحسان إنما هو مجاز بالنسبة له حقيقة بالنسبة اليهم وان هذه
الأمة جاهلية كانت أو حنينية لم تفارقها مكارم الأخلاق كحفظ الجار والجوار
ومراعاة الشرف والذمة واحتفاق الحق وقول الصدق ومحاسن الاعمال
وجميل الخصال

من يعلمهم ان ملتهم هذه هي أول من تنافس أهلها في الخير وتحمّلوا
غيرهم بخلال الكرم كالغفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقري
للاضيوف وحمل الكل وكسب المعلم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد
وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين
لها والوقوف عند ما يحددون لهم من فعل أو ترك وكرامة أهل الدين والحياة
من الاكابر وتقديرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف
المستضعفين والتبدل في أموالهم والتواضع للمساكين واستماع شكاوى
المستغيثين والتجافي عن الغدر والمكر والخداع ونقض العهد

من لهم بأن يتحققوا ان ملتهم هذه نشأت على هذه الفضائل التي هي
أجمل وأكمـل خلق السياسة حتى استحقوا بها أن يكونوا ساسة للآدميين التي تحت

أيديهم ولم يوجد ذلك فيهم سدى ولا عبشاً وإن الله قد تاذن بوجوده فيهم
لوجود علاماته في قبيلهم

من يد لهم أن رجال الدين الإسلامي كانوا خير مجتمع لتأسيس قواعد
الحرية والأخاء والمساواة وإن أهلهم الذين جابوا القفار وقطعوا الأودية
وركبوا سبج البحر لفتح باب العلم والانقطاع به وإن لم يزهس في دولة إزهاره
في دولتهم ولم يعزز كعترته في سلطانهم حتى تقوت حجته وانتصر لواوه وأذعن
الناس لقوته وأشرقت عقولهم بنور برhanه

لابد لهم من مذكرة بذلك كله ليعلم المتوضدون سرير الملك والحاملون
للواء الدولة والمبashرون للامر انهم لم يتطاولوا بهذه المراتب عن تطفل ولم
يرثوها عن كلالة ولتحققوا انهم أهلها وإن الفضائل التي أخذت في الذهب
عنهما والملك الذي صارت الأعداء ترقب زواله من بين أيديهم إنما سببه
جهنم بتاريخ حياة قادتهم وسادتهم وعدم علمهم بفضيلة أصولهم وعشائرهم
ورضوخهم لمن لا يناهضهم في الشرف والنسب وتجاذبهم حبل الفخر والمجد
مع من لا يديانهم وحفهم تقليد سواهم واستبدالهم عوائد أمهم وأجيالهم
بعوائد غيرهم

لهذا قد استخرنا الله سبحانه وتعالى في أن ننسق من أخبار هذه الامة
الشريفة المكرمة شيئاً بجعله مسلطاً على صفحات (اللواء) المحمود من مجاهداً
في تاريخ عظائمها مبتدئين بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام والخلفاء
الراشدين بعده ثم ب الرجال الدولة الاموية ومن قاموا في بدايتها ورفعوا واعدها
ورايتها وأظهروا في الفتوح آيتها وأتموا بالوقوف على قدم الخير غالباً
ثم ما كان في الدولة العباسية من الخلفاء والقواعد والمعظماء الذين تولوا أمورها

في فتح وحرب وقتل وضرب وتدبر في تدوين الدواوين وإلاء كلمة المسلمين
وما كان من نشر الحضارة واتساع الملك . ثم ما كان من أعظم رجال دولة
الموحدين والملثمين . ثم ما كان من مدينة الدولة الاموية بالأندلس وعجائب
خلفها في الآراء والأفكار . ثم ما كان من الدولة التركية صاحبها الله لتصيره الدين
واحترامه وتعزيز أهله وخلوهها من بدعة مبتدةعة أو شبهة مصطنعة وما كان من
استطالتها على جميع النواحي والأمصار في جميع الأقطار معقبين ذلك بعذراء
من الحوادث صريح العلل والأسباب فاتحين للقارئ في ساحة الاعتبار باباً ياله
من باب كاشفين عن بصيرته غشاوة الحجب بسرمانى هذا الجراب
وتشبهوا أن لم تكونوا مسلهم إن التشبيه بالرجال فلا حرج
ولا عار في ذلك ولا شعار فإن هذا الباب لا يستحب أن يأخذ منه الملوك
ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبلغ بهذا العمل مانجوه من الخير والنجاح وترزق
الأمة بسيمه بصيرة تتراجع بها لأولية أمرها فتري ما كان متحققًا بها من سياج
العظمة وتحقق ما كانت متتصفة به من الفضائل والكمال فتشتوق نفوسها
لتتجديده والا فهي مستحقة لها في فيه . فإنه اذا كان للعقاب أوقات مناسبة
ولقبول الاذى نفوس مستحقة فاحق أمة بعقوبة النزل (أمة ذات مجد قديم
لا تستحب من إضاعة مجدها)

عساهالونظرت في ذلك تجده في تهيئة نفسها لقبول العدالة التي
تحتاجها هذه الرتب السامية وتسقاز منها حاجتها فان من اهل حق نفسه ولم
يطلبه غيره في اىصاله اليه ابطاً وأهل
عساهـا تنظر فتجد فيها بقية من خــيرة الملك والسلطان الذي لا يحتاج
تأيــدها الا الى الاتفاق والوفاق والاتفاق حول علم الاخلاــفة فتهــب من

رقتها وتعمل في مأفيه الخير والصلاح لنفسها
وقد أخذنا على أنفسنا أن نكتب في جريدة (اللواء) كل يوم جمدة من
كل أسبوع سيرة عظيم من عطاء الأمة الإسلامية فكاهة بين أخباره ونكتة
بين أغراضه وأسراره مبتدئن من يوم الجمعة الخامس شهر محرم الحرام

مفتيح سنة ١٣١٨

والله المعين على هذا العمل الذي لا تقصد به الا وجهه الكريم واعادة
سلافة الذكر الجميل لافعال حماة دينه القوم ودعوة اخواننا الى النظر للمقام
الكرم الذي كان لهم في الزمان القديم وما صاروا اليه من الانقياد والتسلیم
فقد أشفى الحال على الخطر وأصبح ذئب المغرب متهيئاً للاقتراب مستديماً
النظر حديد البصر ونحن الى التماضيد والتناصر في حفظ هذا الملك مفتقرون
فإن أكله الذئب ونحن عصبة إنما إذا خلمسرون

﴿ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

جعل الله سبحانه وتعالى النبوة في بيت واحد لا يشتر� في فضائلها مع أئيائه أحد . قال تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميح علیم) فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المختار من ذرية سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام من اكرم بيت من مضر خلق الله الخلق فعمله في خير خلقه . وجعلهم فرقاً فصيروه في أحسن فرقه . وبيوتاً فأحله في أرفع بيت وأسماءه وأشرفه

(ابن عبد الله) المعروف مكانه من بنى عبد المطلب . من أفضل امرأة في قريش نسباً ومواضعاً : (آمنة) بنت وهب بن عبد مناف سيد بنى زهرة نسباً وشرفاً تزوج بها عبد الله ونوره يتلاًّأ بين عينيه كالفترة البيضاء مالبث عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات وأمه حامل به حتى كانت الليلة التي تخوض بها الزمان . وتكلمت بها اليهود ورصدهم الرهبان . الليلة التي أراد الله ان يخرج الانسان فيها الى نور الفلاح من ظلمات الجهة . الليلة التي ابتهجت فيها الحظائر القدسية وازيقت فيها السماء فوق زيتها باشراق الفزانة . استل فيها سيف الله من قرابه . وانتشر فيها سهمه من اهابه . وظهر ليشه من غابه . وهطل غيشه من سحابه . فتنادت الرهبان بظهور اكرم مولود في هذا الوجود

ولد صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام في زمن كسرى انوسروان اشهر ملوك الفرس وفي ايامه ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم حاكياً عن نفسه : « ولدت

فِي زَمْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ »

وَلَدْ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتِيمًا وَلَمْ يَرُثِ الْأَخْمَسْ جَمَالٍ وَبَعْضَ لِقَاحٍ
وَجَارِيَةً فَتَجَافِتُ الْمَرْضَعَاتُ عَنْهُ إِلَّا حَلِيمَةُ بْنَتُ أَبِي ذُؤْبَ السَّعْدِيَةَ ظَرِيرَهُ
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَشْرِيفِهَا فَدَرَّ لِبَنَهَا وَقَدْ جَفَ . وَلَبَنْ شَارِفَهَا عَلَى حِينٍ لَا يَجِدُ
إِنْسَانٌ قَطْرَةً فِي ضَرَعٍ . وَأَخْصَبَ اللَّهُ بِلَادَ بْنِي سَعْدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ
اللَّهِ أَجَدِبُهُ مِنْهَا وَهَذَا مِنْ إِرْهَاصَاتِ نُبُوَّتِهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
شَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ يَكْأُو هُوَ يَحْوِطُهُ مِنْ أَقْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ
لَمَّا يَرِيدَ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَانِّي كُوَنْ أَفْضَلُ قَوْمٍ مَرْوَةً، وَاحْسَنُهُمْ خَلْقَهُ
وَأَكْرَمُهُمْ حَسْبًاً، وَأَعْطَفُهُمْ جُواِراً، وَأَوْجَبُهُمْ خَلْقًا، وَارْجَحُهُمْ حَلْمًا، وَاصْدَقُهُمْ
حَدِيثًا، وَأَعْظَمُهُمْ اِمَانَةً، وَابْعَدُهُمْ مِنَ الْفَحْشَ، وَالْأَخْلَاقُ الَّتِي تَؤْنِسُ الرَّجَالَ
تَنْزَهُهَا وَتَكْرَمًا حَتَّى عَرَفَ بَيْنَ اهْلِ مَكَّةَ وَهُوَ فِي رِيَانِ شَبَابِهِ بِالْأَمْيَنِ لَا نَهَى
إِسْتَوْفَى مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ كُلَّ مَكْرَمَةٍ لَمْ يُرِكَّمْ لَهَا فِي بَشَرٍ
وَكَيْفَ لَا يَسْمُونَهُ بِالْأَمْيَنِ وَمَا رَأَوْا صَبَرًا كَصَبْرَهُ وَلَا حَلَمًا كَحَلْمَهُ وَلَا
كَوْفَاءً وَلَا كَزَّهَدَهُ وَلَا كَجُودَهُ وَلَا كَنِيجَتَهُ وَلَا كَصَدْقَهُ لَهِجَتَهُ وَكَرْمَ عَشِيرَتِهِ
وَلَا كَتْوَاضَعَهُ وَلَا كَعْلَمَهُ وَلَا كَحْفَظَهُ وَلَا كَصَمَتَهُ إِذَا صَمَتَ وَلَا كَقُولَهُ إِذَا
قَالَ وَلَا كَعَجِيبَ نَشَأَتَهُ وَلَا كَفَلَةَ تَلَوْنَهُ وَلَا كَعْفَوَهُ وَلَا كَدَوْمَ طَرِيقَتِهِ وَقَلَةَ
إِمْتِنَانِهِ

تَوْفِيتُ وَالْمَوْتُهُ فَاحْتَضَنَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطَابِ فَكَانَ يَجْلِسُهُ مَعَهُ فِي ظَلِيلِ
الْكَعْبَةِ بَيْنَ أَعْمَامِهِ ثُمَّ مَاتَ فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَكَانَ كَرِيمًا غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ
فَقِيرًا بِحِি�ثُ لَا يَمْلِكُ كَفَافَ أَهْلِهِ . وَكَانَ حَالَهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَحَالَ أَحَدٍ بْنِ
عُمَّهِ، وَصَبِيَّةَ قَوْمِهِ، وَيَزِيدَ عَلَيْهِمُ الْيَمْ بِفَقْدِ الْأَبْوَيْنِ

عاش بين قومه على هذا الحال بغير مؤدب ظاهر يعتقى بتبصيفه، او من رب
باد يقوه بهديه سوى طهارة العقيدة وشعار النفس الشريفة المشتملة على
معانى الأدب التي يجد بسبها في وجданه الكريم شعوراً بالفضيلة وتلبية
لندلتها وعشراوه أهل الوثنية وعبادها وخلطاوه أولياء الأصنام وخدماتها.
وهو متصل بالأدب الالهى الذي يبعد عن أن تزين به نفوس الایتام
والفقراء خصوصا مع بعده عن معتقد القوام عليه. كل هذا ليتجلى للناس
مظاهر معنى قوله للناس : «أدبني ربى فاحسن تأديبي»

خرج عمه إلى الشام في ركب للاتجاه فأخذته معه فلما نزل الركب
ببصرى وفيها بحير الراهب علم أهل النصرانية وأمامهم في علمهم الذي
يتوارثونه كابرًا عن كابر صنع لهم طعاما ونزل من صومعته ولم تكن تلك
عادته فلما أكلوا أكلوا سأله بحير النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء في حاله ونومه
وهيئته ونظر لعلامات في بدنه الشريف ثم أوصى عمه أبا طالب ان يسرع
فيقدم به مكة وحدره من اليهود.

تحدث الناس بكرم أخلاقه وحسن خلقه وعظيم أمانته وصدق حديثه
فمرضت عليه خديجة بنت خويلد أن يخرج في مالها إلى الشام ومعه ميسرة
غلامها فرأى ظلل الغمام تظل من الشمس وهو يسير. ثم شاهد من امانته
ما شاهد. فلما قدم أخبر سيدته بأمانته وطهارته وين طائره وبما رأه وما ظهر
له من البركة وكثرة الارباح وسهولة الأمور. وكانت خديجة امرأة حازمة
فرغبت فيه بسبب ذلك لقرباته وسطته في قومه وذكرت ذلك لأعمامه
نقطبه الله عمه وهي أم ولده كلام الا (ابراهيم فانه من مارييه)
كان في هذه الاستزادة في الرزق مقنع لطالب دنيا ترقى في عينه .

ولغير بزخارفها . رفه في العيش . وعون على بلوغ الأمل ، ولكن الحال غير هذا وكلما تقدمت به السن نما في قلبه حب الخلوة والانفراد إلى أن تجلى عليه النور الالهي وأنكشف له العالم بأجمعه

ظهر الهدى الالهى في عمله صلى الله عليه وسلم فاًزال الفتنة من بين قريش وقد كاد تنازعهم يفضي إلى تخاصم عظيم في اختصاص قبيلة منهم في وضع الحجر عند بناء الكعبة وتحكيمه عليهم ليقضى بينهم فيه فاستدعى ثوبا وأخذ الحجر فوضعه فيه وقال لتأخذ كل قبيلة بناية من التوب ثم أرفوه جميعاً ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه بيده ونبي عليه

بلغ سنة أربعين سنة الا سنتها أشهر فبدأت الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح وحب الله إليه الخلوة فكان يجاور في حراء يتبعده فيه إلى الماء ذوات العده ثم يرجع إلى أهله فيزيد ملتها حتى جاءه الحق وجاءت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم الله العباد بكشف مغابع عنه من مصالح البشر فنزل عليه جبريل في غار حراء بقوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق » كما وردت به الاخبار الصحيحة وعاد وأخبر خديجة الخبر وقال لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : « كلا . والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتتحمل الكل » وتكتسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق « ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل بن عمها فقالت له خديجة : يا ابن عم . اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مرأى . فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى . يا يتنى فيه أجذع . يا يتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . قال : « أو مخرجى هم ؟ » قال نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركنى

يُوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤْزِدًا

ثم فتر الوحي فشق عليه حتى عاوده بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُذَرُ قُمْ فَانذِرْ» فقام يدعو الناس الى الايمان بالله تعالى فأول من آمن به من النساء خديجة . ومن الرجال أبو بكر . ومن الصبيان على . ومن الموالي زيد . ثم تتابع الوحي وتتابع دخول الناس في الاسلام . وكان أبو بكر محبباً سهلاً . وكانت رجالات قريش تألفه فاسلمت على يديه من وثق به

دخل الناس في الاسلام أرسالاً من الرجال والنساء وفشا الاسلام
وهم ينتحرون به ويذهبون الى الشعاب فيصلون وأمره الله ان يصدع بما
يؤمر فنادى في الناس بأمره ودعا اليه (وكان بين ما أخلفي أمره واستقر به
الى ان أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاثة سنين من مبعثه)

قام بدعوه وحده على فقره وضعفه وقارع أعداءه بالحجارة وناضلهم
بالدليل وأبدى لهم نصحه وذرجه وذكر آهاتهم بالسب وعاها وكل من حوله
ممن أسلم مستخف وأعداؤه يردون دعوه وهم بادون ظاهرون ويرفضون
رسالته . وهم باغون معتدلون سواء العامة منهم والخاصة يقولون : «لولا أنزل
هذا القرآن على رجل من القرىتين عظيم» وكيف يسلم أولئك المغروزون
بالغزة والسلطان في قبليهم لدعوة فقير أى لا يبني اى ان يتطاول الى هذه
المقامات بالمكان من الكلام فكيف باللوم والتعمييف وسب الآلهة وتضليل

المتعبدين بها

اجمعوا على خلافه وعداؤه وقام عمّه أبو طالب دونه حامياً يحدب عليه
ويمنع وهو ماض على أمر الله لا يرده عنه شيء فلما رأت قريش ذلك مشى
رجال من أشرافها الى أبي طالب يقولون له ان ابن أخيك سب آهتنا وعاب

ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فاما تكفه عنا وأما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فشكفيكه . فقال لهم أبو طالب قوله ريقما وردهم ردا جميلا فانصرفوا ورسول الله على ما هو عليه مظهر لدين الله داعيه فما هم الا صر حتى تبعد الرجال وتضاغنوا وحضر بعضهم بعضاً ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى يقولون الذي قالوه أولاً ويخبرونه بأنهم قد استهواه ابن أخيه فلم ينفعه وإنهم لا يصبرون على هذا الصراط العظيم فاما كفه عنهم أو نازلوه .

أصبح أبو طالب في حيرة بين مفارقة قومه وعداوتهم وبين خذلان ابن أخيه فتاطف معه ليس بتقيه عليه وعلى نفسه ولا يحمله من الصراط مالا يطيق ولكن القوة الالهية أيدته فأيأسهم من نفسه وقال لأبي طالب يا عماء لا ترتك هذا الصراط حتى يظهره الله أو أهلك فيه وشمل الاشراق النبوى عمه أيضاً فقال له يا ابن أخي قل ما أحبت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يضربونهم ويقتلونهم في دينهم وافتلق أمر قريش فتعاهد بنو هاشم وبنو عبدالمطلب مع أبي طالب على القيام دون النبي واشتد العذاب على المسلمين فأصرّهم بالهجرة إلى أرض الحبشة فهاجروا وتتابع المسلمون حتى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً

صار النبي غريباً في شعبه وقومه بعيداً عنهم يحول بينه وبين عشيرته ما هو أعظم من كل عظيم وهو مجد على تقويم عوجهم وهدايتهم وهم أبعد من أن يفهوا دعوته أو يعقلوا رسالته وطبقوا يرمونه عند الناس ومن يهد على مكث بالسحر والكهانة والجنون والشعر . يرومون بذلك صدم عن الدخول في دين الله وجلسوا للناس في المواسم لا يمرون بهم أحد إلا حذروه منه وذكروا له

أمره فأذاعوا الدعوة للدين من حيث أرادوا كتماً لها وأعلنوا خبرها بين العرب
وهم يهدونهم عنها (والله مخرج ما كنتم تكتمون)
ثم اشتد الامر وأغرت قريش سفهاءها برسول الله وانتدب جماعة
منهم لجاهزته بالعداوة والأيذاء وتعاقدوا على قتلها في اللات والعزى ولم يبق
رجل إلا وقد عرف نصيبيه من دمه الشريف ورسول الله ظاهر بمعظمه
الحكيم في تربية قومه بحال يدهش المشاعر إذ يجدون منه سلطاناً ظاهراً في
حكمه عادلاً في أمره شديد الحرص على مصالحهم رؤوفاً بهم في شدتهم
رحيمًا في سلطنتهم . وكيف لا تثير الحواس وهم يرون قوة من ضعف وسلطاناً
من عجز وعلمًا من أمية ورشادًا من منبت جاهلية
حارت قريش في أمرها . تعجب من صبرها على تسفيه أحلامها وشم
آباءها وسب آهاتها وإهانة دينها فاجتمعوا أشرافها في الحجر يتشاكون الصبر
على هذا الامر فطلع عليهم رسول الله فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر
طائناً بالبيت وكلما طاف غمز وبعض القول فوقف ثم قال : أتسمعون يا معاشر
قريش (أما والذى نفسي بيده لقد جئتكم بالنجح) فأخذت القوم حالة حتى
مامتهم الا كانوا على رأسه طائر واقع وأشدتهم فيه وطأة صارير قوئه بأحسن
ما يجد من القول (يقول انصرف يا بني القاسم ما كنت جهولاً) ثم يعودون
على أنفسهم باللائمة ويذكرون مبالغ منهم وما بلغه فيهم وتركهم إياه فيما هم
في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا له وثبة رجل
واحد وأحاطوا به يقولون له انت الذي تقول كذا وكذا من عيب آهاتهم
وهو يقول لهم فأخذ رجل منهم بجمع رداءه فإذا أبو بكر دونه وهو يقول
(أقتلون رجلاً أني يقول ربى الله) . ووقف أبو جهل لرسول الله وشتمه

وبلغ حجزة فضر به حتى شج رأسه

أرادت قريش أن تخاصمه بعد ذلك بالحجارة وتكلمه بالدليل فبعثت إليه عتبة بن ربيعة وكان سيداً في قومه فقال إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جمعهم وسفهت به أحلاهم وعيت به آهاتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباءهم فاسمع مني أموراً علماً تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله . قل يا بآبا الوليد . قال ان أردت بالذى فعلت (مالا) جمعناه لك . أو (شرف) سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك . وإن كان يأتيك رؤياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . قال أفرغت يا بآبا الوليد . قال نعم فاسمعه آيات من سورة السجدة وسجد . فقام عتبة إلى أصحابه بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا له ما وراءك يا بآبا الوليد قال ورأى أنى سمعت قول ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة أطيعوني يامعشر قريش وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ قالوا (سحرك يا بآبا الوليد) فقال لنجمع أشراف كل قبيلة عند ظهر الكعبة ونبعث إليه فقعلوا بجاءهم حتى جلس إليهم فقالوا أنا والله مانعلم رجال من العرب أدخل على قومه الذي أدخلت إلى آخر ما قال له عتبة فقال مابي ما تقولون . ما جئت بما جئت لا طلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله إليكم رسولًا وأنزل على كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيرًاً ونذيرًاً فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . فأرجوكم بهذا الخطاب وأنفهم بهذا الكلام

فعلت قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا مافعله كفار

كل زمان مع أنبيائهم قطعت لما هو أكتر كا هي العادة في شره العقول وأخذت تفكير وتقترح وتطلب أشياء قضت الحكمة الالهية بأن تكون مستحيلة في ذاتها . تطلب منه تسخير الجبال عن بلادها لتبسط ثراها . وتسخير الأنهار فيها لتخصب أرضاها . وتكلفه بأن يأتي بملك معه من السماء فيصادقه على ما يقول . وتهكم عليه بأن يسقط عليهم كسفما من السماء أو يأتيهم بالملائكة قبيلًا . أو تكون له جنات . وقصور . وكنوز من ذهب أو فضة تغشه عما يتغشه . فانصرف رسول الله الى قومه آسفًا لما فاته مما كان يطمع فيه من طاعة قومه

ان الناظر في هذا المديان يحكم بأن الذي منع العرب من الاقرار هو الموى والحمى دون الجهل والخيرة لأنهم يرون في كل وقت ويسمعون في كل حال من أحواله عجائب لم تجر به العادة أبداً وفيهم العقلاء وأهل النظر الصحيح والمزاج المعتل ومن يمكنه اصابة وجه الحق في معرفة ذلك

توارد الخبر بما كان منهم من الحرص على معارضته النبي صلى الله عليه وسلم والتماهيم الوسائل قريراها وبعيدها لا بطال دعوه وتكلفه في الأخبار عن الله سبحانه وتعالى . فباء لهم رسول الله من الطريق الذي يشمخون فيه بأنوفهم ويتنافسون فيه بثار عقلهم ونتائج فطنتهم وذكائهم ويدعون ان جميع الناس لهم في كل أبوابه تبع . الا وهو طريق البلاغة والفصاحة . جاءهم بالقرآن وفيهم الشاعر الملقن والخطيب المتصفع وهم أحكם خلق الله لغة وأشدتهم عدة والكلام سيد عملهم فدعا القريب والبعيد منهم لتوحيد الله وتصديق رسالته يحتاج عليهم وعلى غيرهم بسورة من ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه . ينذرهم بقتل عليهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم ويدعوهم صباح مساء أن يعارضوه

إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة منه

كيف يمكن لأحد سوى الله العليم الخبير أن يشترط في التجدد الشرط
الذى اشترط (قل لئن اجتمع الانس والجن على ان يأتوا بشمل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ولو كان من عند غير الله لكان من
غلبة الظن عند من له شئ من العقل ان لا تخلو الارض من صاحب قوة مثله
عجوز او كيف يصابون بالعجز ويرمون بالجبن مع كثرة كلامهم واستفحال
لغتهم وسهولة ذلك عليهم ووفرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ويرضون
بالقتل المستمر في أنفسهم وذوى قرابتهم وتفسيف أحلامهم وتفسيق معتقداتهم
وكسر أصنامهم . أما كان الأولى بهم أن يأتوه بسورة واحدة فينقضون قوله
ويفسدون عليه أمره . ويسرعون في تفريغ أتباعه عنه صوناً للنفوس الشريفة
المبدولة والخروج عن الاوطان العزيزة الحبوبة وانفاق الاموال الجالية .
إن هذا البعض ما يعرفه عامة الخلق فكيف بقريش التي لها من جليل التدبير
وصدق الرأي والعقل ما ضربت به الأمثال

ما هذ العجز الظاهر وقد احتاجوا لما عندهم من الكلام . وال الحاجة
تبعد الحيلة في الامر الغامض المفقود . فكيف بالظاهر الموجود . محال
أن يطقوه ثلاثة وعشرين عاماً على الغلط في الامر الجليل . ومحال أن
يتركوه وهم يعرفون ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه
أى دليل على دعوى النبوة بعد هذا وأى برهان على صدقه صلى الله
عليه وسلم أشد من أن يروا بيها فقيراً أمياً لا عون له ولا جاه وقد تربى بينهم
وهو من أول نشأته وعقله متاثر بسماع ما يسمعه من يخالطه منهم من حديث
الوثنية فإذا به مبغض لها من مبدأ عمره من قبل أن يبلغ مبلغ الرجال . من

قبل أن يكون لفكرة ونظره فيها مجال . من قبل أن يرجعه عنها الدليل ويصرفه عن ضلالها البرهان ولا كتاب يرشده ولا أستاذ ينبهه ثم يكون منه الذى كان

يرون رجلا منصر فابطبيعة الحال عن مناصب الملك والسلطان متابعاً عنهم وقد عرض عليه « و مقابلة القائل بذلك بالاعراض والاعتراض » خاليا من الجنود والمال والجاه والعون ثم ينهض وحيداً فريداً داعيا للتوحيد والاعتقاد بالله وهو يعلم منهم قدر تعظيمهم لا وثائهم ومقدار تنفسهم في زندقهم ومناؤتهم بعموداتهم أليس من فكر يفكر في هذه القوة التي سمت بنفسه الى أعلى علية فعملته داعياً صرضاً ولو كره الكافرون

يرون داعياً أو ذى بضروب الایذاء وأقيم في وجهه مالا يذلل من الصعاب وعنایة الله محیطة به ويرون المستجبيين لها خرجوا من ديارهم تسفك منهم الدماء ويفتنون وهم لا يفتون

يرون عارف بالله كما يجب أن يعرف مدركاً من أمر الدار الآخرة ما ينبغي أن يدرك مع كمال في العقل ونور في البصيرة فصل بهما اللذائذ والآلام في هذه الدنيا وطرق الأجر والعقاب عليهم وجعل للإنسان شعوراً يوم بعديومه هذا وكل هذا الضرب من الكلام بعيد عن التخييل والتفكير ولا بد له من هدى المهى وقتوق في البصر والبصيرة يؤديان الى مشاهدة قدرة الله وآياته في هذه الأئمـة وغامضـة عن العقول الساذجة

يرون حكماً جاء لكل طائفـة مزيلاً لرجس القائم بها مخلصاً لها من معارض الشرك المشتمل عليها يأصل الوثـيـقـين بترك الأصنـام والأوثـانـ والمشـبهـةـ بالانـصرـافـ عنـ الـاجـسـامـ والـاثـانـويـةـ بالـتوـحـيدـ والـطـبـيعـيـنـ بالـنـظرـ الىـ ماـوـراءـ

حجاب الطبيعة وأهل السيطرة بترك العقوق ليعلمهم أنهم لا يتفاوتون عن كل
نفس إلا بما فضل الله من علم وفضيلة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)
يرون ناصحاً يأمرهم بصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعقود والمحافظة
على المهد وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم واحترام الدماء
البشرية والأعراض والرجمة بالضعفاء وينهان عن الفواحش وقول الزور وأكل
مال اليتيم وقدف الحصنة . ثم يرون أنفسهم عباداً للاصنام (وهو يعبد الله)
يأكلون الميتة (وهو بعيد عنها) ويأتون الفواحش (وهو بريئ منها) ويقطعون
الأرحام (ويصلها) ويسيئون الجوار (ويحسنه) ويسبون النساء ويسلبون الأموال
(وهو يأمر بالكف عنهم) فكان لهم كانوا من عماء الجهلة بحال لا يكادون
يفرقون بها بين هاتين المزلتين (الحق والباطل . والحسن والقبح) وهو
بهذا الظهور عماهم عليه من صدق الاحلام (انك لا تهدي من أحببت ولكن
الله يهدى من يشاء)

يدعو قومه ليسا ونهارا سرا وجهارا مناديا بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس وحال رجال الله بينه وبين مآرادات قريش من البطش به وان همزوه أو استهزءوا به أو خاصموه نزل القرآن بأحداهم وفيمن نصب لعداؤه منهم ثم كشف الله أثنيه عن أمر الصحيفة وان الله سلط الأرضة عليها فلم تدع فيها اسما هو لله الا أبنته ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأبي طالب فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال نعم . خرج الى قريش يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني بذلك وكذا (وذكر ما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم) فهلموا الى صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخي فأنهوا عن قطيعتنا واتزروا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخي فقال القوم رضينا وتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا وصنع الرهط من قريش في تضليل الصحيفة ما صنعوا

ثم أسرى برسول الله ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى (وهو بيت المقدس ايليا) فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بها عجبوا وقالوا له وما آية ذلك يا محمد فدخلهم على أشياء في الطريق وأمارات ظاهرة سألا عنها فوجدوها كما قال ولكن أبي الله أن يصدقوه وهو صادق أو يعلموا انه على الحق وانهم كاذبون

ثم أقام رسول الله على أمر الله محتسبا مؤديا الى قومه النصيحة على ماليق منهم من التكذيب والايذاء والاستهزاء وقريش تنقل معه في طريق الاذى من باب الى باب وتقلب من فكر الى فكر فمن الماجرة بالعدواة والمساكفة بالبغضاء الى النفاق والرياء ونيل مني النفس بالكيد والمداهنة باقية

على ما فيها من الظلم والعسف والقسوة والجور وضروب الشرود والاسوء .
شق عليها أن ترى مثل أبي بكر يقرأ القرآن ويبيك فما زالت به حتى ضيق
عليه مكة وأجلته عنها مهاجرًا خوف الفتنة وقطعاً لذرية انتشار الإسلام
بين العرب

ثم ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد فتابعت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم المصائب بموتها وتلت قريش فيه من الأذى مالم تكن تطمع
به في حياة أبي طالب خرج رسول الله وحده إلى الطائف يلتمس النصرة
من «ثقيف» فلما عمد إلى سادتهم استهزأوا به وكذبوا به فعاد إلى مكة وقومه أشد
ما كانوا عليه من خلافه وفرق دينه وأصحابه مستضعفين وهو يعرض نفسه
في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسى فلما
«كندة» في منازلهم فلم يقبلوه . و «بني حنيفة» فلما عاهمهم فلما يكن أحدهم من العرب
أصبح عليهم رداً منهم . وأتى «بني عامر» فاستهزأوا به

ثم كان الموسم الذي لقى فيه النفر من الانصار وعرض نفسه على قبائل
العرب كما كان يصنع في كل موسم فيما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج
وعرض عليهم الإسلام فآمنوا به وصدقوا به لأنهم وجدوا موافقاً لما أخبرهم
به أهل الكتاب والعلم من قومهم وقدموا المدينة وذكروا القومهم مارأوه
ودعوه إلى الإسلام وفشا فيهم ولم يبق دار من دور الانصار إلا وفيه ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان العام المُقبل فوافى الموسم من الانصار أثني عشر رجلاً وبایعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث معهم مصعب بن عمّه يعلمهم الإسلام
ويتلوا عليهم القرآن

ثم تواعدوا مع رسول الله فلما كانت الليلة المعروفة وقد مضى ثالث الليل
خرجوا من رحالم لم يعاده يتسللون تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعوا في
الشعب عند العقبة وهم ثلاثة وسبعون رجلا وجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه العباس فبعد ان تکام وتکاموا في أن يحموه حمايتهم لنسائهم وأبنائهم
وماهم بخاذليه ولا مساميه أبداً آخر جروا منهن آنى عشر رجالا بماهم رسول الله
نقباء وقال لهم انتم على قومكم بما فيهم كفلاء كفالة المأوازيين لعيسى ابن مريم
وأنا كفيل على قومي (يعني المسلمين) قالوا نعم

ثم عرفت جلة قريش بالامر وتنطست ووجدت الخبر كما ظنت تخرجت
في طلب القوم فأدركت سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وكلاهما كان نقبايا فاما
المنذر فأشعر القوم وأما سعد فأخذوه الى أزد خلوا به مكة يضربونه حتى استجرار
برجلين فأجاراه فانطلق ولحق القوم فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام وفي قومهم
بقايا من سادات بني سلیمة وشریف من أشرافهم وكان التخذ في داره صنعا من
خشب فما زالوا به حتى كسره وأسلم

علمت قريش بشیعة رسول الله وانصاره وأدركت انه مجمع على الاعراق
بهم وتحقق ان أصحابه من المهاجرين سبقوه فاجتمعت في دار الندوة تشاور
في ما تصنع فقات نحبسه ولا نخرج له ثم اتفقت على ان يقوم من كل قبيلة فتى
شاب جلد فيقتلونه جميعا ليتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف

على حرب جيئهم

أوصي الله الى النبي صلى الله عليه وسلم بكيدهم هذا فامر على بن أبي
طالب أن ينام على فراشه ويتوسح ببرده ثم خرج وأرصدتهم على باب منزله
فطمسم الله على أبصارهم فوضع على رؤوسهم ترابا وقاموا طول الليل فلما

أَصْبَحُوا خَرْجَ عَلَيْهِمْ «عَلَى» وَعْلَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجَا . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرْجَ مَهْاجِرَةً مِنْ خُوْذَةَ فِي دَارِ أَبِي بَكْرٍ تَعْدَدَتْ مَعْجَزَاتُهُ فِي هَذِهِ الْهِجْرَةِ فَهُنَّا أَنَّهُ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ دَخْلًا لِلْغَارِ الَّذِي فِي جِبَلٍ ثُورٍ بِأَسْفَلِ مَكَةَ فَلِمَا فَقَدَتْهُ قَرِيشٌ اتَّبَعَهُ وَمَعْهَا الْقَائِفُ فَوَقَفَ عِنْدَ الْغَارِ وَقَالَ هُنَا انْقَطَعَ الْأَثْرُ وَإِذَا بِنَسِيجٍ مِنْ الْعَنْكَبُوتِ نَلَى فِي الْغَارِ فَاطَّلُوا إِلَيْهِ الْذَّلِكَ وَرَجَمُوا وَمِنْهَا أَنَّ سَرَاقةَ اتَّبَعُهُمَا لِيَرْدَهُمَا فَلِمَا رَأَيَاهُ دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَخْتَ قَوَاعِمَ فَرْسَهُ فِي الْأَرْضِ فَنَادَى بِالْأَمَانِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدَ ادعِ اللَّهَ أَنْ يَخْلُصَنِي وَلَكَ عَلَىٰ عَهْدِ أَنْ أَرْدَعَنِكَ الظَّابِ فَدَعَاهُ اللَّهُ خَلْصَ (فَعَدَلَ ذَلِكَ مَعْنَهُ مِرْتَيْنَ أَوْ ثَلَاثَةَ) فَلِمَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ كَيْفَ بِكَ يَا سَرَاقةَ إِذَا سَوَّرْتَ بِسَوَارِيْ كَسْرَى قَالَ كَسْرَى بْنُ هَرَمَنْ قَالَ نَمْ (١)

وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ الْمَدِينَةَ مَرَّ بِدُورِ لَبْنِي سَالِمٍ . وَبَنِي بِيَاضَةَ . وَبَنِي سَاعِدَةَ . وَبَنِي حَارَةَ . وَكَلَّا مَرَّ بِدارَ لَأْحَدٍ مِنْ هُؤُلَاءِ تَلَقَاهُ رِجَالٌ مِنْهَا يَرْغَبُونَ أَنْ يَقْرِيمُوهُمْ وَتَبَادِرُوْنَا خَطَامَ النَّاقَةِ اغْتِنَامًا لِبَرَكَتِهِ فَمَا زَالُوا يَتَبَادِرُونَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُمْ خَلُوا سَيِّلَهَا فَأَنْهَا مَأْمُورَةٌ حَتَّىٰ أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكَ بْنِ النَّجَارِ فَبَرَكَتْ حِيتَ مَسْجِدُ الرَّسُولِ الْيَوْمَ . ثُمَّ بَقَى عَلَىٰ ظَهَرِهَا وَلَمْ يَنْزِلْ فَقَامَتْ وَمَشَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَلَمْ يَتَهَمْ ثُمَّ التَّفَقَتْ إِلَى مَكَانِهَا الْأَوَّلِ فَبَرَكَتْ وَاسْتَقْرَتْ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُمْ أَبُو أَيُوبَ وَرَحْلَهُ إِلَى دَارِهِ فَاشْتَرَى

(١) قَالَ فِي أَسْدِ الْغَابَةِ فِي تَرْجِهِ سَرَاقةَ فَلِمَا أَتَى هَمْرَ بِسَوَارِيْ كَسْرَى وَمَنْطَقَتِهِ وَتَاجَهَ دَعَاسَرَاقةَ وَأَلْبَسَهُ إِيَاهَا وَقَالَ لَهُ ارْفَعْ يَدِيكَ وَقَلْ [الله أَكْبَرُ] الْمَدِينَةَ الَّتِي سَلَبَهَا كَسْرَى وَأَلْبَسَهَا سَرَاقةَ

المربد من بني النجار بعد ان وهبوا إياه قابلي قبولة وبنى المسجد باللبن
وعضاديته الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد وبنى فيه المسلمين
بغير أجر لوجه الله

ثم وادع اليهود بكتاب صلح شرط لهم فيه مالهم وعليهم . وآخر بين
المهاجرين والأنصار . بين جعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل .
وبين أبي بكر الصديق وخارجيه . وبين عمر بن الخطاب وعمان بن مالك
حتى آخر بين خمسة عشر من المهاجرين ومثلهم من الأنصار
ثم فرضت الزكاة فاستلت ضيائن أهل الفاقة بما فرض لهم في أموال
الأغنياء وتخلاصت الصدور من الاحقاد وشعرت بالحبة وأصبحت تساق
بعامل الرحمة لرحة أولئك البائسين وأصبح الغنى مدافعاً عن نفس الفقير
والقوى آخذآ بيد الضعيف

ابتدأت الغزوات في شهر صفر بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
خرج إلى غزوة (الأبواء) في مائتين من أصحابه يريد قريشاً (بواسط) لما بلغه ان
عيراً القریش ذاهبة إلى مكة ثم غزوة (المشيرية) غازياً القریش و (بدر الأولى)
وفي كل ذلك لم يلق حرباً . وبعث فيها يمنها بعواناً فنها (بعث حمزة) و (بعث
عيادة بن الحارث) متقاربين حتى اختلف في أيهما كان الأول إلا أنها أول
رأيه عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولم يكن بينها وبين المشركيين قتال)
و (بعث سعد بن أبي وقاص) و (بعث عبد الله بن جحش) و كتب له كتاباً بأمره
أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين (١) فلما قرأ الكتاب وجد فيه أن "ينزل نخله"

(١) كمان الاوامر وفتحها بعد حركة الجناد من صراحتها أو الاساطيل من
الغور مما يعد من محاسن السياسة الأوروپاوية الغامضة

بين مكة والطائف ولا يسكنه أحدا فمضوا كلهم وضل سعد بن أبي وقاص
وعتبة بن غزوان بغير فتحلقي طلبه فرت بهم غير القرىش تحمل تجارة وذلك
آخر يوم من رجب فتخرج بعض المسلمين الشهر الحرام ثم اتفقوا . وقتل
عمرو بن الحضرمي وأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وقدموا بغير
والإسirين فانكر النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم ذلك في الشهر الحرام وما سرى
عنهـم حتى أنزل الله (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كثير
وصد عن سبيل الله وكفر به) فقبض النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وقسم الغنيمة
وقبل الفداء في الإسirين وأسلم الحكم بن كيسان ورجع سعد وعتبة سالمين
إلى المدينة وهذه أول غنمة غنمـت في الإسلام وأول غنـمة خمسـت
ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس على رأس سبعة عشر شهر من مقدمـه
المدينة وخطب بذلك على المنبر وسمـه بعض الأنصار ونزلت آية (سيقولـ)
السفهاء من الناس ما لا هم عن قبلـهم التي كانوا عليهـا قـائل للـشرق والمـغرب)
كان من قـوة دهـاء العـقل واصـالة الحـكم ان تـسر جـمـاعة المـشرـكـين ذلكـ في
نفسـها فـلا تـقدـم لهـ بالـسـؤـال عن صـرـف القـبـلـةـ ولا تـسمـعـ منهـ ذلكـ الجـوابـ
الـذـي لـقـنهـ بـهـ بـارـئـهـ لـأـنـ فـي سـكـوتـهـ تـكـذـيبـهـ وبـطـلـانـ حـجـتهـ وـهـ بـذـلكـ
مـغـرـمـونـ وـالـيـهـ مـضـطـرـوـنـ وـفـيـ السـؤـالـ عـنـهـ تـصـدـيقـ خـلـبـهـ فـيـ اـظـهـارـ سـرـ الـقـهـرـ
الـأـلـهـيـ الـحـيـطـ بـهـ الـمـلـجـأـ لـهـ عـلـىـ السـؤـالـ وـلـوـ كانـ فـيـ ذـلـكـ تـسـجـيلـ لـوـصـفـ
الـسـفـاهـةـ عـلـيـهـمـ وـاسـكـنـهـمـ فـعـلـوـهـ لـأـنـ الـخـبـرـ السـماـويـ وـالـوـعـدـ النـبـوـيـ لـأـيـخـلـفـانـ

قطعاً

هـاجـ مـقـتـلـ عـمـروـ نـفـوسـ قـرـيـشـ وـشـعـرـ كـلـ طـرـفـ بـيـومـ بـعـدـ يـوـمـ فـاقـامـ
رـسـوـلـ اللهـ بـالـمـدـيـنـةـ إـلـىـ رـمـضـانـ مـنـ السـنـةـ الثـانـيـةـ ثـمـ بـلـغـهـ إـنـ عـيـراـ قـرـيـشـ فـيـهـاـ

أموال مقبلة من الشام الى مكة معها ثلاثة أو أربعمون رجالاً (عبيد الله
ابوسفيان) فندب عليه السلام المسلمين الى هذه العير وأمر بخروج كل من
له ظهر حاضر ولم يحتفل في الحشد لانه لم يظن قتالاً
ال Cheryl خروجه بأبي سفيان فاستنفر أهل مكة لغيرهم فتفروا وبعث
رسول الله من يخسس أخبار أبي سفيان وعلم ان القوم صاروا بين التسعة
والألف فاستشار الاصحاب من المهاجرين والانصار فقالوا واحسنوا. قالوا
(لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك)

عرف أهل قريش بقدام المسلمين أيضاً ولكنهم مع كثرة هم هذه أصبحوا
لا يشتدون على مقاومتهم لأنها أصاب مكان الوجدان من قلوبهم شيء ولم
يكف أبوسفيان انه تكب بالعير الى طريق الساحل ونجا بل جدف حمل الناس
على مذهبها فقال (ما باتنا لازرجع وقد نجينا بالعير) ورجع الأحسن بن شريح
بجميع بنى زهرة وكان مطاعاً فيهم وقال (انا خرجنا لمعنى اموالنا وقد نجت
فارجعوا) فرجعوا ولم يشهد بدرًا من قريش عدوياً ولا زهرياً
ربما كان للقوم نجاة العير مقنع ولكن شدد أبو جهل وصار يستصرخ
العرب ويهيج عواطف احسائهم يقول (لازرجع حتى نزد ماء بدر ونقيم
به ثلاثة وتهاينا العرب)

سبعين رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ماء بدر وتبطئ عنهم مطر نزل
وبله مما يليهم واصاب مما يلي المسلمين دهس الوادي وأعنائهم على السير ثم
نزل حيث أشار الحباب بن المنذر وبنو حوضاً فلؤه ثم بنوا له عريشاً يكون
فيه رسول الله ومشي يريهم من صراع القوم واحداً واحداً كانوا أصحاب رسول
الله ثلاثة وأربعين وبضعة عشر رجالاً فيهم فارسان الزبير . والمقداد .

توفقت الشتان وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفواف ورجع
إلى العريش وأقبلت قريش بخيالها ونفرها فلما رأها قال (اللهم هذه قريش
قد أقبلت بخيالها ونفرها تحداك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي
وعدك الله أخذهم الغداة)

ما زال الكلام يستوثق الناس على الشر (وان الحرب أولها الكلام)
حتى قام عاصر وصرخ واعمراء واعمراء خفيت الحرب ونادت الرجال على
الرجال والنبي يدعو ويبلغ ويقول في دعائه (اللهم ان تهلك هذه المصابة
لاتعبد في الارض الله انجزلي ما وعدتني) ثم أخفق (١) ثم اتبه فقال (ابشر
ياباً بكر قد أتي نصر الله) ثم خرج يحرض الناس ورمى في وجوه القوم
بحفنة من حصى وهو يقول (شاهدت الوجوه) ثم تراهموا وجال القوم جولة
هرم المشركون فيها وقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً فيهم نحو العشرين من
مشاهيرهم وأسر نحو امن عشرة رجال من كبارهم كانوا مذكورون فيهم
في كتب السير واستشهد من المسلمين ثمانية خمس من المهاجرين وواحد من
الأنصار واحد من الأوس وواحد من الخزرج . وانجلت الحرب وقسمت
الفنائين كما أصر الله . ورجع رسول الله إلى المدينة ودخلها ثمان بقين من رمضان
حباهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له بعد ان دعاهم
بالحجارة وقطع العذر وأزال الشبه وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحبة
دون الجهل والحقيقة كما قدمنا فأخذ السييف منهم ما أخذ

ثم افتدت قريش أكثر أسراري بدر . وأصر بقتل كعب بن الأشرف
من أكبر اليهود وكان من المحرضين على رسول الله فقتله الأوس ثم وقعت

(١) أخفق فلان حرك رأسه من نعاس

غزوات لم يلق فيها رسول الله حرباً وهي (غزوة الـكـدر) و (الـسوـيق)
و (ذى أـمـرـ) و (بـحرـانـ)

تـظـاهـرـتـ اليـهـودـ بـالـحـسـدـ لـماـ فـتـحـ اللهـ عـلـيـ رسـولـهـ وـعـلـيـ المـسـلـمـينـ وـبـنـواـ
وـقـضـواـ الـهـدـ وـجـاهـرـ وـبـالـكـفـرـ وـقـالـواـ وـاسـأـواـ الرـدـ وـبـنـدـواـ الـهـدـ فـأـنـزلـ اللهـ
(وـاـمـاـ تـخـافـنـ مـنـ قـوـمـ خـيـانـةـ فـأـنـبـذـ اليـهـمـ عـلـيـ سـوـاءـ) فـكـانـتـ (غـزوـةـ بـنـيـ
قـيـنـقـاعـ) سـارـ اليـهـمـ رسـولـ اللهـ وـكـانـوـاـ فـيـ طـرـفـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ سـبـعـاـةـ مـقـاتـلـ
مـنـهـمـ ثـلـاثـمـائـةـ دـارـعـ خـصـرـهـمـ عـلـيـ السـلـامـ خـمـسـةـ عـشـرـةـ لـيـلـةـ لـاـ يـكـلمـ أـحـدـ
مـنـهـمـ حـتـىـ نـزـلـواـ عـلـىـ حـكـمـهـ فـأـصـبـرـهـمـ اـنـ يـقـتـلـواـ فـشـفـعـ فـيـهـمـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـيـ بـنـ
سـلـوـلـ خـفـقـنـ رسـولـ اللهـ دـمـاءـهـ ثـمـ أـجـلاـهـمـ وـأـخـذـ ماـ كـانـ لـهـمـ مـنـ سـلـاحـ وـضـيـاعـ
وـلـحـقـواـ بـخـيـرـ وـأـخـذـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـخـمـسـ مـنـ الـغـنـائـمـ ثـمـ اـنـصـرـفـ إـلـىـ
الـمـدـيـنـةـ وـحـضـرـ الـاضـحـىـ فـصـلـىـ بـالـنـاسـ فـيـ الصـحـرـاءـ وـذـبـحـ بـيـدـهـ شـاتـيـنـ وـيـقـالـ
إـنـهـمـ أـوـلـ أـضـحـيـتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ

وـغـنـمـتـ سـرـيـةـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ وـظـفـرـتـ بـالـعـيـرـ وـالـمـالـ وـأـتـ بـفـرـاتـ بـنـ
حـيـانـ العـجـلـيـ أـسـيـرـاـ فـتـمـوـذـ بـالـسـلـامـ وـاسـلـمـ وـكـانـ خـمـسـ هـذـهـ الفـنـيـمـةـ عـشـرـيـنـ أـلـفـاـ
ثـمـ اـسـتـأـذـنـ الـخـرـوجـ فـقـتـلـ (ابـنـ أـبـيـ الـحـقـيقـ) وـكـانـ نـظـيرـ اـبـنـ الـأـشـرـفـ
الـذـىـ قـتـلـهـ أـوـسـ فـيـ الـكـفـرـ وـالـعـدـاوـةـ فـأـذـنـ لـهـمـ فـقـتـلـوهـ فـيـ دـارـهـ بـخـيـرـ وـمـاـ
زـالـ أـوـسـ وـالـخـرـوجـ يـتـصـاـلـاـنـ تـصـاـوـلـ الـفـحـلـيـنـ فـيـ طـاعـةـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ
الـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـالـذـبـ عـنـهـ وـالـنـيلـ مـنـ أـعـدـائـهـ لـاـ يـفـعـلـ أـحـدـ الـقـبـيلـيـنـ شـيـئـاـ مـنـ
ذـلـكـ الـأـفـلـ الـآـخـرـونـ مـثـلـهـ

ثـمـ كـانـتـ غـزوـةـ «ـأـحـدـ» وـكـانـ الـذـىـ أـهـاجـهـاـ وـقـعـةـ «ـبـدـرـ» فـقـدـمـشـيـ كـثـيرـ مـنـ
أـصـيـبـ آـبـاـوـهـمـ وـأـبـنـاؤـهـمـ وـاـخـوـاـنـهـمـ بـهـاـ فـكـلـمـوـاـ أـبـاـ سـفـيـانـ وـمـنـ كـانـ لـهـ فـيـ تـلـكـ

الغير تجارة وسائلوهم ان يعینوهم على حرب رسول الله ليدرکوا الشار
اجتمعت قريش بأحابيشها^(١) ومن اطاعها من قبائل كنانة وتهامة . وكان
أبو سفيان قائد الناس والنساء بالدفوف يبكين قتلى بدر ويحرضن بذلك المشركين
فلما علم بذلك رسول الله أشار على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا
وان جاؤا قاتلواهم على أفواه الازقة وألح قوم من فضلاء المسلمين فلبس لامته
وخرج وقال آخرون يا رسول الله ان شئت فاقعد . فقال ما يبغى لنبي اذا لبس
لامته ان يضعها حتى يقاتل وخرج في ألف من أصحابه فلما كانوا بين المدينة
و«أحد» عاد عبدالله بن أبي بثلث الناس وكان من تبعه أهل النفاق وبقي رسول
الله في سبعمائة فيهم خمسون راما فساروا حتى نزل الشعب من «أحد» وجعل
ظهره وعسكره اليه والمشركون ثلاثة آلاف منهم سبعمائة دارع وفي المسلمين
مائة وفرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة . وقاتل
المسلمون واشتيد القتال وانهزمت قريش أولًا ثم خلت الرماة عن مراكزهم وكر
المشركون كررة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشفوا واستتب لهم من أكرمه
الله ووصل العدو الى رسول الله وقاتل دونه مصعب بن عمير حامل الراية
فقتل . وجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى
السفلى بحجر وشققت شفتته وكلم في وجنته ووجهه في أول شعره وعلاه ابن قعية
بالسيف وهشم بيضة في رأسه وابتلاع الحجارة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سقط في بعض حفر هناك فأخذ «علي» بيده واحتضنه طلحة حتى
قام ومص الدم من جرحه مالك بن سنان الخدراني ونشبت حلقتان من

(١) أحابيش قريش جماعة تحالفوا بالله انهم يد على غيرهم وهم من جبل بأسفل مكة
اسمه جبشي بالضم

حفل المغفر في وجهه صلى الله عليه وسلم فانزعهم أبو عبيدة بن الجراح فبدرت
ثنياتاه وكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المسلمين فقتلوا كلهم
آخرهم عمار بن يزيد ثم قاتل طلحة حتى أجهض المشركين وأبو دجانة يلي
النبي بظهره وتقع به النبلة فلا يتحرك . وانتهى النضر بن أنس الى جماعة وقد
دهشووا و قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون في الحياة
بعد هذه قوما فوتوا على مامات عليه ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل وبه سبعون
ضربة وجرح وقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم

و هن المسلمون وظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل واذا
كعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة يبشر الناس فاجتمع عليه المسلمون وهم ضوا
معه نحو الشعب ثم جاء بهاء فرسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه
و همض فاستوي على صخرة من الجبل وكانت حانت الصلاة فصلى بهم قودا
و غفر الله لهم زمين وزلت آية (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمآن) ثم صعد
أبو سفيان الجبل وأطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونادي
الحرب سجال يوم أحد بدر وانصرف وهو يقول موعدكم العام القابل
فقال عليه السلام قولوا له هو بيننا وبينكم ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة والمشركون إلى مكة

مثل المشركون في هذه الواقعة بسيئتنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت هند و أصحابها قد جدعنـه وبقرنـ عن كبدـه ولا كـتها ولم تسـغـها فـلـما
رأـيـ النبيـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ذـلـكـ فـيـ حـمـزـةـ وـأـقـبـلـتـ أـخـتهـ صفـيـةـ بـنـتـ عبدـ المـطـلـبـ
أشـارـ رسولـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ اـبـنـهاـ الزـيـرـ أـنـ يـرـدـهـ لـكـيـلاـ تـرـىـ
ماـيـخـهـ فـلـقـيـهـ وـأـعـلـمـهـ فـقـالتـ (بلـقـيـهـ أـنـ مـثـلـ بـأـخـيـ وـذـلـكـ فـيـ اللهـ فـلـيـلـ فـاـ)

أرضانا بما كان من ذلك لا حتبين ولا صبرن) ثم أتته وصلت عليه واسترجعت
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن
أن بعض هذا الصبر لما تضعف العزائم البشرية عن احتماله وتضيق الذرائع
عن الوقوف عند حموده ولكن الهدى هدى الله

ثم أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صبيحة يوم «أحد» بالخروج
لطلب العدو وأنه لا يخرج إلا من حضر منه بالأمس خرج وخرجوا على
ما بهم من الجهد والنصر وصار عليه السلام متجلدا صرحاً بها للعدو حتى انتهى
إلى حمراء الأسد وأقام بها ثلاثة وبلغ أبا سفيان وكفار قريش ذلك وكانت
يرومون الرجوع إلى المدينة ليست أصلوا المسلمين بزعمهم فقتلت ذلك في أعضائهم
وعادوا إلى مكة

مائشمع شأن قوم انقلب بهم الحال وأدركهم قسم الظهر وانهار النفس
بعد أن كانوا من الزعم بأنفسهم في شأن أزيد مما يليق بالنفوس البشرية فقد
مال المشركون بعد هذه الحروب إلى السكينة . والفرية . وأعمال الخونة .
فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر تمام الثلاثة من المحرجة
نفر وذكروا أن فيهم إسلاماً ورغبو أن يبعث فيهم من يفقههم في الدين
فبعث معهم ستة رجال من أصحابه حتى إذا كانوا قرباً من عسفان غدروا بهم
ومنهم من قتل هناك ومنهم من جمل إلى مكة وقتل صبراً وكذلك قتلوا
بعث المنذر بن عمر من بني ساعدة وهم أربعون من المسلمين وقيل سبعون
طلب ملاعيب الآسنة أبو براء عاصر بن مالك أن يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم
إلى نجد فبعد أن تردد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو براء أنا لهم جار
فسار وبشو احرام ابن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عاصر بن

الطفيلي فقتله ولم ينظر في كتابه واستعدى عليهم وقتلوا هم عن آخرهم
 ثم نهض رسول الله الى (غزوة بنى النضير) وأرادوا يؤذون رسول
 الله ويصعدون الى ظهر البيت رجلا ليلق على النبي صخرة فأوحى الله اليه
 بما أراد به اليهود وتهياً لحربهم فتحصنوا بالحصون خاصرهم ست ليال
 وانتهت بالكف عن دمهم واجلهم خليباً بما حملت الأبل من الاموال الا
 السلاح . ثم كانت (غزوة ذات الرقاع) و (غزوة بدر الموعد) التي خرج
 فيها رسول الله ليعاده واعتذر أبو سفيان بجدب العام و (غزوة دومة الجندل)
 ولم يلق المسلمون في كلها حرباً . ووادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عينية
 ابن حفص أن يرعى بأراضي المدينة لأن بلاده أجدبت وهذه أخصبت
 ثم كانت غزوة الخندق وسبأها خروج جماعة من اليهود الى مكة
 يحزبون الاحزاب ويحرضون على حرب رسول الله . ويرغبون من اشرأب
 الى ذلك بالمال فأجابهم أهل مكة وخرجت قريش وقائدتها أبو سفيان
 ابن حرب في ١٠٠٠٠ آلاف من أحبائهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم .
 فلما سمع رسول الله أمر بمحفو الخندق وعمل فيه بيده والمسامون معه
 وأقبلت الاحزاب ونزلوا بظاهر المدينة بجانب «أحد» وخرج عليه
 السلام بال المسلمين والخندق بينه وبين القوم وتقضت بني قريظة العهد وكانوا
 موادعين فعظم الأمر وأحيط بال المسلمين من كل جهة ودام الحصار شهراً
 ولم تكن حرب ثم بعد ان اشتد الحال أتى رجل اسمه نعيم بن مسعود بن عمار
 وقال يا رسول الله أنا اسلمت ولم يعلم بي قومي فرنى بما تشاء فقال إنما انت
 رجل واحد خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة خبر يدبر في
 أمره فأتي بني قريظة وكان صديقهم فنقم لهم في قريش وغضفان وقال لهم

(انهم ان لم يظفروا لحقوا ببلادهم وترکوكم ولا تقدرون على التحول عن بلدكم
ولا طاقة لكم بـ محمد واصحابه فاستوئقوا منهم بـ هن ابناءهم حتى يصابر وامعكم)
ثم اتى ابا سفيان في قريش وقال (ان اليهود ندموا وراسلوا محمدًا في المواجهة
على ان يسترهموا ابناءكم ويدفعوهم اليه) ثم اتى غطفان وقال لهم مثل ما قال
لقرיש

دخل بين القوم من باب الاختلاف والمشاجة فيما اتفقا عليه فأرسل
ابو سفيان وغطفان الى بنى قريطة في ايلة سبت يقول (انا لسنا بدار مقام
فاعذونا للقتال) فاعذرو اليهود بالسبت وقالوا (ومع ذلك لا تقاتل حتى تعطونا
ابناءكم) فصدق القوم خبر «نعم» وردوا اليهم (بالا بآية من الرهن والحدث على
الخروج) فصدق أيضا بنى قريطة خبر «نعم» وابو القتال . فكان هذا الكلام
عند هبوب ريح التخالف من اعظم وأكبر الاسباب التي تراجعت بها القلوب
إلى تفضي العهود ولم يقف الحال عند ذلك بل أرسل الله على قريش وغطفان
ريحاً عظيمة أكفلت قدورهم وآتتهم وقلعت أبنائهم وخيمتهم فأصبح المسلمون
وقد ذهب الأحزاب . ثم هض رسول الله إلى (بنى قريطة) بعد صلاة
الظهر من ذلك اليوم فأمر المسلمين ان لا يصلى أحد العصر الا في بنى قريطة .
وأعطى الرایة على ابن أبي طالب وبعد ان حاصرهم خمساً وعشرين ليلة ضربت
اعناقهم وقسمت اموالهم وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارساً
ثم كانت (غزوة الغابة وذى قرد) وكان سببها انه بعد قفول المسلمين
إلى المدينة بليل اغار عليه بن حصن الفزارى في بنى عبد الله من غطفان
على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة وكانت فيها رجل من بنى غفار
وامرأته فقتلواه وحملوا المرأة ووقعت الصيحة بالمدينة وركب رسول الله في

أثرهم حتى أدركهم فـكانت بينهم جولة قتـل فيها من قـتل ثم ولـى المـشركون
منهزـمين وبلغ رـسول الله صـلـى الله عـلـيـه وسلـمـ مـاء يـقال لـه (ذو قـرـد) فأقام عـلـيـه
ليلـة ويـومـها وـنـحـرـ نـاقـةـ من لـقـاحـهـ المستـرـجـعـةـ ثم قـفـلـ إـلـيـ المـدـيـنـةـ

أقام رسول الله إلى شعبان من السنة السادسة وغزا (بني المصطلق)
من خزاعة لما بلغه من أنهم مجتمعون له وقادهم الحارث بن ضرار أبو
جويريه أم المؤمنين خرج إليهم ولقيهم بالمريس- يع من مياهم فيتذمرون
وهرن مهم الله .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السادسة وفي ذي القعده
منها معتمراً (عمره الحديبية) واستفزع الأعراب وساق المهدى وأحرم من
المدينة ليعلم الناس انه لا يريد حرباً وبلغ ذلك قريشاً فاجمعوا على صدّه من
اليت وقتاله دونه فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة بركت
نافته وقال الناس (خلات) فقال مآخلات وماذا لها بخلق ولكن حبسها
باب الفيل

انهم هذا الامر على المسلمين وكبر عليهم وتكلم فيه بعضهم شأننا في
علم الشهادة وعدم اهتمام الافكار الى كشف الغائب من الامور الا بهدى
واشراق مخصوص

اهتدي النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصلح وعلم انه سبب لأمن
الناس وظهور الاسلام وان الله سيجعل فيه فرجا قريباً للمسلمين وهو أعلم
بما علمه ربه

كتبت الصحيفة كما قالوا (ولم يذكر فيها رسول الله) ثم أتى أبو جندل
ابن سهيل يرسف في قيوده فرده رسول الله الى أبيه وأخبره ان الله سيجعل
له فرجاً وبینما هم يكتبون الكتاب عنه جاءت أيضاً سرية مابین الله والاثنين
والاربعين يريدون الایقاع بال المسلمين فأعطاهم رسول الله واليهم ينسب العتيقيون
عظم هذا الامر على المسلمين من كل وجه حتى انهم أغضبوا النبي صل
الله عليه وسلم في عدم متابعته أولاعنة ماء امر بالخلق والنحو ثم نحر فتابوه

ورجع رسول الله الى المدينة معهم

ما فتح الله بفتح قبل هذا اعظم منه ابداً . كان القتال سداً في وجوه
القوم فلا تلتقي الناس دونه ثم كانت هذه المهدنة والناس على شوق من ان
يأخذوا لانفسهم بالاً هو ط فما بشروا باطلاق هذه المهدنة وأمن الناس
بعضهم بعضاً حتى انتقو وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالاسلام
أحداً أو يرشد إليه إلا دخل فيه فاقد دخل في تينك السنتين في الاسلام
مثلاً كان قبل ذلك واكثر

واعجب منه رد (من يهاجر من الكفار الى قومه) (ومن ارتد من
المسلمين لا يرد) خفي عليهم أيضاً امره ولم يدركوا ان رد المسلم المهاجر الى
العرب داع لانتشار الدين بينهم لأنهم مسلم ولا يزال قلبه الاسلام ابداً . ومن الجائز
للنظر في مكنون أسرار المرتد من المسلمين ليعلم ما هو عليه وهو بعيد عن
محاسب الخشية وخالص من قيود الاوامر والنواهى فيعلم الناس المنافقين وبعلم

النبي من ينصره بالغيب

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب وسلطان العجم فبعث سليمان بن عمر إلى صاحب اليامنة . والعلاء بن الحضرمي إلى صاحب البحرين . وعمرو بن العاصي . إلى صاحب عمان . وحاطب بن أبي بلتعة . إلى صاحب الاسكندرية . وشجاع بن وهب إلى صاحب دمشق وعمر بن أمية الصمرى إلى التجاشى

وكتب إلى كسرى فلما قرأ الكتاب من قه استكباراً فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم مزق ملوكه كل ممزق (وكان ذلك) فقدم جز الله أصله وقطع دابرها لأن كل ملك أخرج من معظم ملوكه يقيم على بقية منه ولكن الاسلام لم يترك لهذا الملك ملكاً تزاله الحوافر والاقدام الا زواله عنه . ثم كتب كسرى إلى «بادان» عامله على اليمن يأمره بأن يبعث إلى النبي رجلين جلدين من عنده يأتيان به فبعث إليه بقهر مانه وأخر معه فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم جاءه الوحي بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ليلة كذا من شهر كذا فأخبارها وقال لها (ان ديني وسلطاني يبلغ ما يبلغ ملوك كسرى) فانصرفا وأخبرا «بادان» الخبر ولم ينشب «بادان» ان جاءه كتاب شيرويه بقتل كسرى . ولهذا دعوا المساجدة حين ماتي من شدة أذى العرب وتكتذبهم اياده واستعناتهم عليه بالأموال والرجال دعا الله عزوجل أن يمحى ببلادهم وأن يدخل الفقر بيومهم فقال صلى الله عليه وسلم لهم سنتين كسفني يوسف اللهم اشدد وطأتك على مصر . فامسكت الله عزوجل المطر عنهم حتى مات الشجر وذهب الثمر وقتل المزارع . حتى اذا بلغت الحجة مبلغها وانتهت الموعدة منها عاد بفضله فسأل ربه الخصب وادرار الفيت فأتاه من ماهدم

بيوْهُمْ وَمِنْهُمْ حَوَّلْجَهُمْ فَكَامُوهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُمْ حَوَّلْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَأَمْطِرْ
اللَّهُ عَزَّوَجْلَ مَا حَوَّلْنَمْ وَامْسِكْ مِنْهُمْ

ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَازِيًّا إِلَى خَيْرٍ وَحَالَ اللَّهُ بَيْنَ غَطْفَانَ
وَبَيْنَ يَهُودَ خَيْرٍ بِرَبِّ قَدْفَهِ فِي قُلُوبِهِمْ فَاقْعَدَهُمْ فِي مَكَانِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَرَادُوا
مَدْدُهُمْ وَاقْتَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ حَصْنُونَ خَيْرٍ حَصْنَنَا حَصْنَنَا وَبَعْضُ خَيْرٍ عَنْوَةَ
وَبَعْضُهَا وَهُوَ الْأَكْثَرُ صَلِحَاءَ عَلَى الْجَلَاءِ فَقُسْمَهَا دَرْسُولُ اللَّهِ وَأَقْرَبَ الْيَهُودَ أَنْ
يَعْمَلُوهَا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَلَهُمُ النَّصْفُ فِي كُلِّ مَا تَخْرُجَ

وَفِي هَذِهِ الْفَزْوَةِ أَهَدَتِ الْيَهُودِيَّةَ زَيْنَبَ بَنْتَ الْحَرَثَ امْرَأَ سَلَامَ إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهَةَ مَصْلِيَّةَ وَجَمِلَتِ السَّمَّ فِي النَّدْرَاعِ مِنْهَا وَكَانَ أَنْبَ
اللَّهُمَّ إِلَيْهِ فَتَأْوِلُهُ وَلَاكَ مِنْهُ مَضْغَةٌ ثُمَّ لَفَظَهَا وَقَالَ أَنْ هَذَا الْعَظَمُ يَخْبُرُنِي أَنَّهُ
مَسْمُومٌ وَأَكَلَ مَعَهُ بَشَرَ بْنَ الْبَرَاءَ بْنَ مَعْرُورَ وَأَزْدَرَ لَقْمَةَ فَاتَّ مِنْهَا ثُمَّ
اعْتَرَفَ الْيَهُودِيَّةَ وَدَفَعَتْ لَأُولَيَاءِ دَمِ بَشَرٍ فَقْتُلُوهَا

ثُمَّ قَدِمَتْ مِهَاجِرَةً إِلَى مَكَةَ وَهَاجَرُوا مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَفِيهِمْ جَعْفَرُ
ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ يَوْمَ فَتْحِ خَيْرٍ نَقْبِلَ مَا بَيْنِ عَيْنَيْهِ وَالْتَّزْمَهُ وَقَالَ مَأْدُرِي
بِأَيْمَانِهِمَا إِنَّا أَسْرَيْنَا بِفَتْحِ خَيْرٍ أَمْ بِقَدْوَمِ جَعْفَرٍ

إِنْصَلَ شَأْنَ أَهْلِ خَيْرٍ بِأَهْلِ فَدَكَ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَتَرَكُوا الْأَمْوَالَ فَأَجَابُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَكَانَتْ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ
مَا لَمْ يَوْجِفْ عَلَيْهِ بَخِيلٌ وَلَا رَكَابٌ فَلَمْ يَقْسِمْهَا وَوَضَعْهَا حِيثُ أَمْرَهُ اللَّهُ ثُمَّ
اَفْتَقَنَ وَادِيَ الْقَرَى عَنْوَةَ وَقُسْمَهَا وَرَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ خَيْرٍ إِلَى اِنْقَضَاءِ شَوَّالِ مِنْ
السَّنَةِ السَّابِعَةِ ثُمَّ خَرَجَ فِي ذِي الْقُعْدَةِ لِقَضَاءِ الْعُمَرَةِ الَّتِي عَاهَدَهُ عَلَيْهَا قَرِيشُ

يوم الحديبية وعقد لها الصلح وخرج ملاً من قريش عن مكة عداوة الله
ورسوله وكرها في لقاءه فقضى عمره وقت الثلاث التي عاهده قريش على
المقام بها وأوصوا إليه بالخروج واعجلوه

أمضى عهده صلى الله عليه وسلم وخرج وأقام بعد منصرته من هذه
العمرة إلى جمادي الأولى من السنة الثامنة ثم بعث الامراء إلى الشام وأمر
على الجيش وكان نحواً من ثلاثة آلاف مولاً (زيد بن حارثة) وقال وإن
أصحابه قدر فالامير (جعفر بن أبي طالب) فإن أصحابه قدر فالامير (عبد الله
بن رواحة) فإن أصيب فليرث المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميراً عليهم
وسيعهم صلى الله عليه وسلم

هذه العزوة هي التي مثلت المساواة بين أفراد الصحابة في الشجاعة
وكانت أن ترفع من بينهم الامتياز (الابن الأفضل لله) فقد ظهر الكل في
معرض الشجاعة متجردين عن حب الحياة الدنيا غير غافلين عن شأن الله فيهم
فأقاموا الدين وما تفرقوا فيه شيئاً

انتهى هذا الجيش إلى معان من أرض الشام فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك
الروم قد نزل بأرض البلقاء في ١٠٠٠٠ فارس من الروم و ١٠٠٠٠ فارس
من نصارى العرب من لم وجذام وغيرهم فأقام المسلمون في معان ليترين
يتشارون في الكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظار أمره
ومددده . ثم قال لهم عبد الله بن رواحة . أنتم إنما خرجم تطلبون
الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به .
فانطلقوا إلى جموع هرقل ورتباً الميمنة والميسرة واقتلوها فقتل (زيد بن
حارثة) ملاقياً بصدره الرماح والراية في يده فأخذها (جعفر بن أبي طالب)

ففقير فرسه ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت كذلك وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة فأخذها (عبد الله بن دواحه) وتردد عن التزول بعض الشيء ثم صمم إلى العدو فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أقزم من بنى العجلان وناولها (خالد بن الوليد) فانحاز بالمسامين وقد استشهد منهم ما يزيد على العشرة أكملهم الله بالشهادة

أنظر لهذه الحجج والقوارع العظمى ونداء العناية العلياء من الجبروت
الإعلاء وأعجب لهذه الشجاعة التي وسعت كل شئ من القوى وتلك المعجزات
الباهرة . انذر النبي صلى الله عليه وسلم بأصابعه وقتل هؤلاء الاصحاء قبل
يومهم هذا بما فيه مقتضى لمن وهبه الله صحة العقل

كان اشتغال العرب بهذه الحروب شغلاً شاغلاً لهم نسوا به دماء يذبّهم
فلا وقع صلح الحديدة أمن الناس بعضهم بعضاً وفرغو من مشاغل الحروب
وخلوا الأغلال التي كانت أخذت بأيديهم وما لوا لادراك الشار

وكان من الدماء المسفوكة التي لم يتم فيها التنازع والتجلال دم بين بنى بكر وحزاعة مضت عليه الأزمنة والأعصار حتى جاء الإسلام ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بكر في عهد قريش في صلح

الحمد لله

أراد الله أن يلوح من خلال هذا الظلم القديم نور فتح جديد مبين فقام
رجل من بكر ينشد هجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه رجل من خزاعة
فتش檄ه فهاج الشر بينهم وانتقض العهد الذي بين قريش وبين النبي صلى الله
عليه وسلم فقدم وفد من قومهم مستعينين برسول الله صلى الله عليه وسلم مما
أصابهم فأجاب صريخهم وأخبرهم أن أبا سفيان سيأتي يشد العقد ويزيد في

المدة ولكنه يرجع بغير حاجة وان الذي فعلته قريش ستندم عليه وسيكون ذلك سبباً للفتح وكان ذلك جيئه صدق الله رسوله وخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في المدة فرجع بغير حاجة ثم أعلم رسول الله أنه سأر إلى مكة وأمر الناس بأن يجهزوا وادعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش وكتب اليهم حاطب بن بلعمة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة فأوحى الله إليه وبعث علياً والزبير والمقداد إلى الظعينة فأدر كوها فأخرجته من بين قرون رأسها خرج رسول الله لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في ١٠٠٠٠ نفس من قبائل من سليم . وغفار . ومزن . وطوائف من قريش . وأسد . وتميم . وغيرهم من سائر القبائل وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى ينفعها في بلادها فطوى الله أخباره عن قريش إلا أنهم يتوجسون الخيفة . قال العباس والله إن ينفعها في بلادها فدخل عنوة انه هلاك قريش آخر الدهر وخشي تلاف قريش ان فاجأهم الجيش قبل أن يستأمنوا فركب العباس بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وذهب يحسّن وكان أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يحسّنون الخبر أيضاً فسمع العباس صوت أبو سفيان وبديل وقد ابصر نيران العسكرية فيقول بديل نيران بني خزاعة قال أبو سفيان خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقال العباس هذا رسول الله في المسلمين أناكم في ١٠٠٠٠ نفس قال بما تأمرني به قال تركب معي فأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله إن ظهر بك ليضر بن عنقك فردهه خلفه ونهض به إلى العسكرية وسر بعمر رضى الله عنه خرج يشتند إلى رسول الله يقول الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد

ولا عهد (١) فسبقه العباس على البغلة ودخل هو على أثره فقال يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه فقال العباس (قد أجرته) فرأى عمر فقال العباس لو كان من بنى عدى (٢) ولكنه من عبد مناف (٣) فقال عمر والله لاسلامك كان أحب إلى من اسلام الخطاب لأنني أعرف أنه عند رسول الله كذلك فما رأى رسول الله العباس أن يحمله إلى رحله ويأتيين به صباحاً فلما أتى به قال له صلى الله عليه وسلم (ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله) فقال (بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرملك وأوصلك والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا) قال (ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله) قال (بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرملك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء) فقال له العباس (ويحك أسلم قبل أن يضرب عنفك) فاسلم . فقال العباس يا رسول الله (إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً) قال . نعم . (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن) ثم أمر العباس أن يوقف أبا سفيان بخطم الوادي ليري جنود الله ففعل ذلك . ومررت به القبائل قبيلة إلى أن جاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار عليهم الدروع البيض فقال (من هؤلاء) فقال العباس (هذا رسول في المهاجرين والأنصار) فقال (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً) فقال (يا أبا سفيان إنها النبوة) فقال (هي اذن . أو قال . نعم اذن) ثم قال له التجأ إلى قومك فاتي مكة وأخبرهم بما أحاط بهم وبقول النبي صلى الله

(١) يريد انتهاج عهد الحديبية

(٢) جد سيدنا عمر بن الخطاب

(٣) يعني جد نفسه

عليه وسلم (من أتى المسجد فهو آمن . الخ)

ثم رتب النبي صلى الله عليه وسلم الجيش وكان على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة الزبير وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح وسرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش من «ذى طوى» وأمرهم بالدخول إلى مكة «الزبير» من أعلىها و«خالد» من أسفلها وإن يقاتلو أمن تعرض لهم ولم يكن الأجلة وأنهزم المشركون وكان الفتح لعشر بقين من رمضان وأهدر دم جماعة من المشركين يومئذ أتت على أسمائهم كتب السير

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالكعبة وأخذ المفتاح من عمّان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أمّ عمّان ثم أسلمه فدخل الكعبة و معه أسامة بن زيد وبلال وعمّان بن طلحة وأتي له حجابة البيت (١) وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها وبكسر الأصنام حولها وأمر بلال فأذن على ظهر الكعبة

ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة ثانية يوم الفتح وخطب خطبته المعروفة ووضع ما تمّ الجahiliyah الا سدانة البيت وسقاية الحاج وأخبر أن مكة لم تحل لأحد قبله ولا بعده وإنما أحملت له ساعة من نهار ثم عادت حكرتها بالامس ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده وصدق عبده وهزم الأحزاب وحده . الا ان كل ما ثوره أو دم أو مال يدعى في الجahiliyah فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج الا وإن قتل أخطأ مثل العمدة بالسوط والعصا فيما الديه مغلظة منها أربعون في بطونها أولادها .

(١) وهي في ولد شيبة الى اليوم .

يامعشر قريش . ان الله قد اذهب عنكم نحوة الجاهلية وتعظيمهم بالآباء .
 الناس من آدم وآدم من تراب (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثني
 وجعلناكم شعوباً وقبائل اتّعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله علیم خبیر)
 يامعشر قريش ويا أهل مكة ما ترون انى فاعل فيکم قالوا خيراً كريم
 ثم قال اذهبو فأنتم الطلاقاء وأعتصمهم على الاسلام وجلس لهم فيما قيل على الصفا
 فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا وبايع النساء سيدنا

عمر بن الخطاب

مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله هذا (الكمال) في أبلغ صوره
 ومنتهى درجاته بمقابلته لفران أهل مكة باحسانه واعمامه . على ان الذى لاقاء
 عليه الصلاة والسلام منهم من أول دعوته لحد هذا الفتح مما لا يسعه حلم ولا
 يحيط به كرم ولكن رسول الله أشفق الناس على أمته . نام في فؤاده الشريف
 حب اقاذ المهاجرين وارشاد الضالين منهم ولو انهم كانوا من العناد بالقدر
 الذى يبنوه أصحاب السير . قاباهم وهو في أشد مظاهر القوة والعظمة بحمله
 وكرمه ولطفه واحسانه وعفا عنهم وهكذا شيمته عليه الصلاة والسلام . ولكن
 بنت الله له في كتابه الكريم بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
 عليه ما عنتم حریص عليکم بالمؤمنین رؤف رحیم)

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا خمسة عشر ليلة وهو يقصر
 الصلاة فبلغه ان هو اذن وتفیف جموعه وهم عاصدون الى مكة وقد نزلوا
 (حينينا) فبعث النبي يستعلم خبر القوم خواجه الرسول وأطلمه على جليلة الخبر
 وانهم قد صدرون اليه فهز رسول الله الجیش وسر به حتى أتى وادي حنين
 من أودية تهامة أول يوم من شوال من السنة الثامنة وهو وادی حزن

فتوسطوه في غبش الصبح وقد كمنت هوازن في جانبيه خملوا على المسلمين
حملة رجل واحد فوق المسلمين لا يلوى أحد على أحد وناداهم صلى الله عليه
وسلم فلم يرجعوا وثبت معه أبو بكر وعمر وعلى النبي على بغلته البيضاء والعباس
آخذ بشكاعها فأصره رسول الله أن ينادي بالأنصار وأصحاب الشجرة
وبالمهاجرين وكان جهير الصوت فنادي فاقتصرت الناس الرواحل راجعين وقد
اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا «هوازن» والناس متلاحقون واشتدت
الحرب وحمي الوطيس وقدف الله في قلوب «هوازن» الرعب حين وصلوا إلى
رسول الله فلم يملأ كواطنفسهم فولوا منزلاً مين ولحق آخر الناس وأسرى هوازن
مفولة بين يديه وغنم المسلمين عيالهم وأموالهم واستحر القتل في بنى مالك
وثقيف

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فحبست وسار
من قوره إلى الطائف فخاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة ورمادهم بالنجنيق .
ثم انصرف رسول الله بعد ما دخل الطائف . وجاءه وقد «هوازن» بالجعرانة
وخيّرهم بين العيال والابناء والأموال فاختاروا العيال والابناء ثم رد عليهم
نساءهم وأبنائهم بأجمعهم وقسم الأموال بين المسلمين وأنطى قوماً يستألفهم على
الإسلام يسمون المؤلفة مد كورون في كتب السير يقاربون الأربعين
وجد الأنصار في أنفسهم من ذلك فتكلموا شبابهم مع ما كانوا يظلون أنهم
إذا فتح الله عليه بلد (مكة) يرجع إلى قومه ويتركهم . فجمعهم ووعظهم وذكرهم
وقال إنما أعطيتكم ما حديثي عهد بالسلام أتألفهم عليه أما ترضون أن ينصرف
الناس بالشاء والبعير وتنصرفون برسول الله إلى رجالكم . لو لا الهجرة لكنت
أحر من الأنصار . ولو سلك الأنصار شعباً وسلك الناس شعباً سلكت شعب

الأنصار فرحوا

اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الى مكة ورجع الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شاباً ينيف على العشرين غالباً الورع والزهد وهو أول أمير أقام حجج الاسلام وحج المشركون على مشاعرهم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شهر رجب من السنة التاسعة وأمر الناس أن يتهيأوا لغزو الروم وكان في غزوه كثيراً ما يورى بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب الا ما كان في هذه الغزوة لعسرها بشدة الحرب وبعد البلاد وقلة الفلال وكثرة العدو الذين يصدون . وتجهز الناس على ما في أنفسهم من استئصال ذلك والمنافقون لا يهتؤنون يلبطون الناس عن الغزو وتقديم كثير من المسلمين بالاتفاق كسيدنا عثمان بن عفان فإنه أنفق فيها ١٠٠٠٠ دينار وحمل على تسعهمائة فرس وجهز ركابا وجاء بعض المسلمين يستحملون النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملهم عليه فنزلوا بأكين لذلك . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى تبوك فأتاها (صاحب آيله) . و(أهل جرباء واذرعات) . فصالحوه على الجزية وكتب لكل كتاباً وبعث خالد بن الوليد فصالح صاحب (دومة الجندي) على الجزية أيضاً . ثم أسلم عروبة بن مسعود وجاء وفده تقييفاً بعد ما ضيق عليهم مالك بن عوف واستباح رحمةهم وقطع سبلهم فأسلموا وأمر عليهم عثمان بن أبي العاصي أصغرهم سناً لحرسه على الفقه وتعلم القرآن ثم هدمت اللات والعزى : هدمها المغيرة بن شعبة وقام قومه من بنى شعيب دونه خوفاً من أن يرمي بهم وخرج نساء تقييف حسراً يبكين عليها . وجاء أبو سفيان فأخذ حلتها وما لها وقضى منه دين عروبة والأسود بن مسعود كما أمر رسول الله كانت الرب تترابص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر النبي

٤٠

صلى الله عليه وسلم ولأن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرام
وضريح ولد اسماعيل وقادتهم لا ينكرون لهم وكانت قريش هي التي نصبت
لربه وخلافه فلما استفتحت مكة ودانت قريش ودخلوا الاسلام عرفت العرب
انهم لاطاقة لهم بمحربه وعداؤه فدخلوا دينه أفو اجا يضربون اليه من كل
وجه مصداقا للخبر الالهي الذي لا يختلف (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت
الناس يدخلون في دين الله أفو اجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)
ضررت اليه وفود العرب حتى سميت هذه السنة (سنة الوفود) وجاءته
الكتب والرسل تترى من الملوك (كمير) و (ابن ذي يزن) وغيرهما
بسلامهم ومفارقة الشرك وأهله . وكلما جاء وفداً كرمهم النبي صلى الله عليه
 وسلم وأرشدهم وعرفهم أمر دينهم وبشرهم بالخير وأمرهم به وشدد عليهم
 في الظلم ونهام عنهم وفهمهم وأخبرهم بالذى لهم وعليهم وكتب صلى الله عليه
 وسلم العهود والكتب

ثم خرج رسول الله الى حجة الوداع لموافقة الحج فيها عاشر الحجة (١)

١٠ : كانت العرب تستعمل شهور الاهلة وكان حجتهم وقت عاشر الحجة كما رسمه
سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأدى الاختلاف بين شهور السنة الهرالدية وبين
فصلو السنة الشمسية الى وقوع الحج في وقت يصعب عليهم فيه السفر لعدم اعتدال
الزمن وموافقته للادارات فاجتمعوا ونسوا السنة شهرآً فوقع في السنة محرم الاول
رأس السنة والآخر في النسيء فلما انتهت التوبة في آخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم
إلى وقوعه في ذي الحجة وتم دور النسيء على جميع الشهور حج صلى الله عليه وسلم
في تلك السنة حجة الوداع لوقوعها في عاشر ذى الحجة كما كانت وخطب وأمر الناس
بما شاء الله ان يأمر ومن حملة ذلك قوله الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق
الله السموات والارض يعني رجوع الحج الى الموضع الاول كما كان في زمان سيدنا ابراهيم
ثم تلا قوله تعالى (ان عددة الشهور عند الله اثنا عشرة شهرآ في كتاب الله)

ومعه أشراف الناس وخطب بعرفة خطبته المشهورة التي بين الناس فهم امبايin

قال عليه الصلاة والسلام:

«أيها الناس اسمه والي فاني لا أدرى لعلى لا ألقاك بمدعامي هذا بعدها الموقف

١٦١

أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم حرمة
يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقيون ربكم فيسألكم عن أممكم وقد بلغت
فمن كان عنده أمانة فليؤدّها الى من أئمن عليها وان كان رباً فهو موضوع
ولكم روؤس أموالكم لاظلمون ولا تظلمون . قضى الله ان لا رباً وان رباً
العباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم في الجاهلية موضوع كله .
وان أول دم يوضع دم ربيعة بن الحرت بن عبد المطلب (١) فهو أول
ما بدأ من دم الجاهلية

أيها الناس إن الشيطان قد يئس من ان يبعد بأرضكم هذه أبداً ولتكن
رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون من أعمالكم فاحذرؤه على دينكم
انما النسيء زيادة في الكفر يصل به الدين كثراً ويخلونه عاماً ويحرمونه
عاماً ليواطئوا عده ماحرم الله

لِيْهَا النَّاسُ فَأَنْ لَكُمْ عَنِ النَّاسِ كُمْ حَقًا وَلَهُنْ عَلَيْكُمْ حَقًا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوَاطِئُنَّ

(۱) و کان مسخر ضعافی بی‌لیث فقتله بنو هذیل

فرشكم أحداً وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم
ان تهجروهن في المضاجع وتضرر وهن ضرباً غير مبرح فان انهرهن فاهن رذقهن
وكسوهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً انهن لا يملكن لانفسهن شيئاً
وانكم انما أخذتوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعملو ايهما الناس
واسمعوا قولى فاني قد بلغت قولى وتركت فيكم ما ان استعصم به فلن تضلوا
أبداً : كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس اسمعوا قولى واعلموا ان كل مسلم أخوه المسلم وان المسلمين
أخوة فلا يحل لأمرء من مال أخيه الا ما أعطاه اياده عن طيب نفس فلا تظلموا

أنفسكم

الا هل بلغت اللهم أشهد»

اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قضى حجة الوداع فطارت
الاخبار بذلك فوثب الاسود باليمين ووثب مسيلمة باليمامة وطلحة بن خويلد
في بني اسد يدعى كلامهم بالنبوة وحاربهم رسول الله بالرسيل والكتب الى
عمالة ومن ثبت على اسلامه من قومهم أن يجدوا في جهادهم فأصيب الاسود
قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذب عن دينه
فبعث الى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء ~~الكاذبين~~

يأمرهم بجهادهم

ثم بدأ به المرض صلى الله عليه وسلم وأول ذلك ان الله نهى نفسه الشريفة
اليه بقوله (اذا جاء نصر الله والفتح) . ثم بدأ الوجع لليلتين بقيتا من صفر
وتحادى به وجده وهو على يدي نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة فاستأذن
نساءه أن يرض في بيت عائشه فاذن له وخرج على الناس خطفهم وتحلال منهم

وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ثم قال (ان عبادا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) . فهمها أبو بكر فبكى وقال بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبي بكر

جمع رسول الله أصحابه ودعا لهم كثيرا وأوصاهم بتقوى الله وأوصى الله بهم واستخلفه عليهم وأودعهم إليه ثم سأله عن مغسلة . وكفنه . والصلاحة عليه . وعمن يدخله القبر فقال لهم في كل ذلك ثم أوصى بالانصار خيرا . وأمر بسد الأبواب التي في المسجد الباب أبي بكر و قال إنما لا أعلم أمر أفضلي يدعاني في الصحابة من أبي بكر ولو كنت متخدنا خليلا لتخذلت إبا بكر خليلا ولكن صحبة أخاء وإيمان حتى يجمعنا الله عنده

ثم ثقل به الوجع وجاء وقت الصلاة فقال صر وايا بكر فليصل بالناس فصل ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة خرج فلما أحس أبو بكر تأخر فجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ثم كان أبو بكر يصل بصلاته والناس بصلوة أبي بكر (صلوا كذلك عشر صلاة على المشهور) فلما كان يوم الاثنين وهو يوم وفاته خرج عليه السلام إلى صلاة الصبح عاصبا رأسه وأبو بكر يصل فنكص عن صلاته ورده عليه السلام بيده وصلى قاعدا على يمينه ثم أقبل على الناس بعد الصلاة ليعظهم ويذكرهم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع في حجرة عائشة وخرج أبو بكر إلى السنج ^{١٠} . قالت عائشة فشقق في حجري فنظرت وجهه فإذا بصره قد شخص إلى السماء وهو يقول الرفيق الأعلى فعلمت أنه خير . فاختار بذلك نصف النهار من يوم الاثنين لليلتين من شهر ربى الأول

^{١٠} موضع قرب المدينة كان به مسكن أبي بكر

طار النعى في الناس بموجته فقامت رجال ترعم انه لم يمت وأدرك الخبر
أبا بكر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله
وقال (أباي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك ولن يصيبك
بعدها موتة أبداً) وخرج الى سيدنا عمر بن الخطاب وهو يتکام فقال له
أنصت فأبى فأقبل هو على الناس وتكلم جنوا اليه فقال (أيها الناس من كان
يعبد محمدَ فانَّ محمدَ قد مات ومن كان يعبد اللهَ فانَّ اللهَ حي لا يموت) ثم قال
(وما محمدُ الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفال مات أو قتل انقلبتم على
اعقابكم ومن ينقلى على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)
قال عمر فما هو الا أن سمعت أبا بكر يتلوها فو قمت على الارض ماتحملني
رجالى وعرفت انه قد مات

قام على . وعباس وابنه الفضل . وفthem . واسامة بن زيد . يتولون تمجييز
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاؤوصى فغسله على وعليه ثيابه مستنده الى ظهره
والعباس وابنه يقلبونه معه واسامة وشقران يصبان الماء ثم كفنوه في ثوبين
صحاريين وبردرجه ادرج فيهن أدراجاً ودفن حيث قبض فرفع فرأشه الذي
قبض عليه وحرف له لحمة وحلمه أبو طلحة زيد بن سهل وكان يحرف لاهل المدينة
ثم دخلت الناس فصلت عليه الرجال ثم النساء . ثم الصبيان . ثم العبيد لا يوم
أخذهم أحد ثم دفن في وسط الليل ليلة الاربعاء وقيل ليلة الثلاثاء وكانت ليلة
ليلاء أظلمت بخفة الرسول وانقطاع الوجه واشتراك الناس كلهم في العزاء
قطاشت المعقول وخرست الامتنان و عمره ثلاثة وستين أو خمس وستين
صلوات الله عليه

سـ شـ مـائـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ

كان حسن الخلق . وسيما . قسيما . أبيض اللون مشرباً بحمرة وكان وجهه
أغبر ظاهر الوضاءة يتلألأ . فيه تدوير ولم يكن بالطويل . ولا بالطفهم . ولا
بالمكثم . واسع الجبين . أزج الحواجب سوائج في غير قرن . بينهما عرق يدره
الغضب . أبياج الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة . حاد البصر عظيم العينين
أجلهما . أدجحهما . أكحلهما . أسود الحدقه ممزوجة بحمرتها . أحمر المآق . أهدب
الأسفار حتى تكاد تتلاشى من كثرتها . شارع الأنف حسن الأربنة . أقنى العرنين .
صهل الخدين . أسيلهما صاهما . تام الأذنين . ضليع الفم حسنه . أشتب الأنسان
من فجاج الثنائي براقها . اذا ضحك يتلألأ . اذا تكلم رؤى كانور يخرج من بين ثناياه .
وكان احسن الناس شفتين والطفهم ختم في . حسن الصوت في صوته صهل يبلغ
حيث لا يبلغه صوت غيره اذا خطب اشتبد غضبه وعالصوته . كأنه منذر جيش .
يقول صبحكم ومساكم . احسن عباد الله عنقا لا بالطويل ولا بالقصير كأنه
جيد دمية . اجمل الناس وأبهام من بعيد . وأحسنهم من قريب . أجر دأزه اللون
أنور التجريد . احسن وجها . واللين الناس كفا . وأنور الناس لونا . يري
رضاؤه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته . فكأن وجهه صرآة . لم يصفه واصف
الاشبه وجهه بالقمر ليلة البدر . من رأه بديهة هابه . ومن خالطه معرفة أحبه .
يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله . فيما فحاح حسن الجسم معتدل الخلق بادنا أحسن
الناس قواماً لا يمدوا لهم بعض بدنهم ببعض . كالمراة في استواها . وكالقمر في بياضه .
أطول من المربع وأقصر من المشدّب عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين سواء
البطن والصدر قوى الجسم . شديد البطش . عظيم الهامة . ضخم الكسر اديس .

شَنِ الْأَصَابِعُ . شَنِ الْكَفَيْنَ وَالْقَدْمَيْنَ . جَلِيلُ الْمَشَاشِ وَالْكَتَدِ . عَبْلُ الدَّرَاعِينَ .
عَبْلُ الْمَضَدِيْنَ ضَخْمُ الزَّنْدِيْنَ . طَوَّلِيْهَا ضَخْمُ الْفَخَدِيْنَ وَالْسَّاقِيْنَ . رَحْبُ الرَّاحْتِيْنَ .
سَائِلُ الْأَطْرَافِ مَهْوَسُ الْكَعْبِيْنَ . مَسِيحُ الْقَدْمَيْنَ . خَمْصَانُ الْأَخْمَصِيْنَ . أَحْسَنُ
الْبَشَرِ قَدْمَا إِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيْعًا وَإِذَا مَشَى كَانَمَا يَتَقَلَّعُ عَنْ صَخْرٍ وَكَانَمَا
يَنْخُطُ مِنْ صَبَبٍ يَخْطُو تَكْفِيَا وَيَيْشِيَ هُونَا بَغْيَرِ تَخْتَرَ . مَامَشَى مَعَ أَحَدَ الْأَطَالِهِ .
ذَرِيعُ الْمَشِيَّةِ يَجْهَدُ أَصْحَابَهُ أَنْفُسَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ مَكْتُرٍ يَيْشِيَ مَجْتَمِعًا مَشِيَا يَعْرُفُ فِيهِ
أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلَا كَسْلَانٌ . وَلَا يَنْتَفِتُ وَرَاءَهُ وَلَا يَعْيَا يَقْبِلُ جَمِيْعًا وَيَدْرِي
جَمِيْعًا إِذَا جَاءَ مَعَ الْقَوْمِ غَمْرَهُ يَسْوَقُ أَصْحَابَهُ وَيَدْرِي مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ . كَثُرَ الْلَّاحِيَّةُ
حَسَنُ السَّبْلَةِ حَسَنُ الشِّعْرِ رَجْلُهُ شَدِيدُ سُوَادِهِ إِذَا نَفَرَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَهَا . جَلِيلُ
الْوَفْرَةِ . حَسَنُ الْأَلْمَةِ . عَظِيمُ الْجَمَةِ وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَمَدِ الْقَاطِطِ وَلَا بِالسَّبْطِ كَانَ جَعْدًا
رَجْلًا . يَتَرَجَّلُ غَبَّاً . وَإِذَا مَشَطَ شَعْرَهُ يَأْتِي كَانَهُ حَبْكَ رَمْلٍ وَرَبِّما جَعَلَهُ غَدَائِرَ
أَرْبَعاً تَخْرُجُ كُلُّ اذْنٍ مِنْ بَيْنِ غَدَيرَتَيْنِ وَرَبِّما جَعَلَهُ عَلَى أَذْنِيهِ فَتَبَلَّغُ سُوَالُهُ .
أَشْعَرُ الدَّرَاعِينَ وَالْمَنْكِبِينَ وَأَعْلَى الصَّدْرِ فَكَانَ طَوَّلِيْهِ مَسِيقَهَا دَقِيقَهَا مَوْصُولُ مَا بَيْنَ
الْأَبْيَهُ وَالسَّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَانْخَطَ لَمْ يَكُنْ عَلَى بَطْنِهِ وَلَا عَلَى ظَهُورِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ
أَحْسَنُ النَّاسِ خَلْقًا وَأَجْوَدُ النَّاسِ صَدْرًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَالَّذِينَ
النَّاسُ عَرِيَّكُهُ وَأَكْرَمُ النَّاسُ عَشْرَةً وَأَطْهَرُ النَّاسَ طَبَعَهُ وَأَشْجَعَ النَّاسَ قُلْبَاهُ وَأَسْخَنَ
النَّاسَ كَفَاهُ . وَأَطْيَبُ النَّاسَ نَفْسًا . أَعْرَفُ النَّاسَ بِاللَّهِ . وَأَخْشَاهُمُ اللَّهُ وَأَكْثُرُهُمْ
صَيَاماً وَقِياماً لَا سَيْمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى تُورِّمَتْ قَدَمَاهُ . أَجْوَدُ النَّاسِ
بِالْخَيْرِ لَا يَرُدُّ مِنْ سَأَلَهُ حَاجَةً إِلَيْهَا أَوْ بَيْسُورَ مِنَ الْقَوْلِ وَلَا يُؤْلِيسُ مِنْهُ رَاجِيَهُ .
وَلَا يَنْحِبُ فِيهِ وَلَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ إِلَيْهِ وَعْدَهُ وَأَنْجِزَ لَهُ وَإِنْ كَانَ عَنْهُ أَعْطَاهُ وَلَا
يَدْخُرُ شَيْئًا لَفَدَ وَمَا سُئِلَ شَيْئًا قَطَّ فَقَالَ لَا . لَمْ يَكُنْ بِالْجَأْفِ وَلَا الْمَهَيْنِ وَسَعَ

الناس ببساطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء وكان يعظم النعمة وان دقت . لا يدمن منها شيئاً . لانقضبه الدنيا ولا ما كان لها فإذا تمدّى (١) الحق لم يتم لغضبه شيء حتى ينتصر له بغضبه لربه عن وجل ولا ينضب لنفسه ولا ينتصر لها وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه وإذا رأي شيئاً يكرهه عرف في وجهه وكان أشد حياء من العذراء في خدرها . كان من أفكه الناس لا يحدث حدثاً الا بتسمياً . قليل الضحك جل ضحكة التسمم . اذا افتر صاحكاً يفتر عن مثل سينا البرق اذا تلاًلاً . وعن مثل حب الغمام . كان بكاؤه من جنس ضحكته لم يكن باشقيق ورفع صوت كالم يكن ضحكته بقهرة ولكن تدمع عيناه حتى تنهملان فيسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت او خوفا على أمته وشفقة ومن خشية الله و عند سماع القرآن وأحياناً في صلاة الليل وإذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض بها صوته وما تشاءب فقط وكان يكرهه من غيره . دائم البشر . سهل الأخلاق . لين الجانب . دائم الفكرة . متواصل الاحزان . طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة . ويعرض عن تكلام بغير جميل . ويكتفى عن الامور المستقبحة في العرف اذا اضطرره الكلام الى ذكرها . ويحزن لسانه الا في مالعيشه . ان صمت فعليهه الوقار . وان تكلم سماه وعلاه البهاء . يذكر الله بين كل خطوتين ولا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى . يفتح الكلام ويختتمه باسم الله تعالى . حلو المنطق . في كلامه ترتيل . يتكلم بجواب الكلام . كلامه فصل لائزرا ولا هذر . بين يحفظه من جلس وفيهم كل من سمعه . كانوا هؤلئك خرزات تضمن لا فضول فيه ولا تقصير لوعده العاد لا حصاء . لا يدمن أحداً ولا يعيشه . ولا

١٠ تعدد بضم التاء مبني للمجهول

يطلب عورته ولا يتكلم الا في مارجح ثوابه . مجلسه مجلس حلم وحياة وأماته وصبر
لارتفاع فيه الأصوات ولا تأبه فيه الحرم . اذا تكلم أطرق جلساؤه كانها على
رؤسهم الطير . فاذاسكت تكلموا . لا ينزا عن عنده . حديث عنده حديث
أولهم ان قال أنصتوا قوله وان أمر بادروا الامر . يضحك مما يضحكون .
ويتعجب مما يتعجبون . يعطي كل جلسة نصيحة ولا يحسب جائسه ان أحدا
أكرم عليه منه . وكان يصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسئلته . من جالسه
أفاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . لا يقطع على أحد حديثه
حتى يجوز فيقطعه بهى أو قيام . خافض الطرف جل نظره الملاحظة . نظره الى
الارض اطول من نظره الى السماء . تنام عيناه ولا ينام قلبه . يؤثر أهل الفضل
بادنه وقسمه على قدر فضله في الدين . ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كل كريم قوم
ويوايه عليهم . وكان يحد الناس ويخترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم
بشره وخلقه . يتفاصل عما لا يشهى ولا يكاد يواجه أحد بشيء يكره . وما ضرب
بيده شيئاً قط الا انه يجاهد في سبيل الله ولا ضرب امرأة ولا خادما . يتقدّم أصحابه
ويسأل الناس عمما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقيح القبيح ويوجهه . أفضل
الناس عنده أعمهم نصيحة . وأعظم الناس عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازنة
يرقد صاحب الحاجة . لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه . لا يقبل الثناء الا من مكافئ .
يزور ضعفاء المسلمين ويغدو مرضاهم ويشهد جنائزهم . ما كل على
خوان ولا في سكرة . ولا يخز لهرقق . وكان يحب دعوة الملوك على
خنز الشعير . يمر بالصبيان فيسلم عليهم . ولا يدفع عنه الناس ولا يضر بون
عنه ولم يكن شخص أحب اليهم منه . وكانوا اذا رأوه لم يقوموا بما يعلمون
من كراحته لذلك وادا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس

كلمات من حكم رسول الله ﷺ

أُنْتَ تَسْتَقْصِي الْأَنْفَاسَ الشَّرِيفَةَ وَتَحْجَى الْحُكْمَ الْمُنْيِفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَدْعَنْتَ لِبَلَاغَةِ حُكْمِهِ الْعَرَبَ وَالْعَجمَ وَقَصَرَتْ عَنْ مَقَاوِمَتِهِ جَمِيعُ الْأَمَمِ وَأَقْرَبَ بِالْعِزْزِ عَنْ مَنَازِعَتِهِ مِنْ تَأْخِرٍ وَتَقدِيمٍ وَانْتَهَى كَلَامُهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَرَّةِ وَالْأَعْتَابِ وَاللَّهُ يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا

قال عليه السلام

رحم الله عبدا قال فهم أو سكت فسلم . السعيد من وعظ بنيره والشق من وعظ بنفسه . صنائع المعروف تقى مصارع السوء . الارواح جنود مجندة فما تعارف منها اتف و ما تناكر منها اختلف . جبت النفوس على حب من أحسن إليها . التدمير نصف المعيشة . المسلم من سلم الناس من يده وأسانه . الكيد من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . المرء كثير بأخوانه . الدال على الخير كفاعله . المؤمن مرآة أخيه . الناس معادن . حبك الشئ يعم ويضم . من أصبح معافي في بدنها آمنا في سربه فكانما حذى له الدنيا بحذافيرها . الرزق أشد طلبها للعبد من أجله . نية المؤمن خير من عمله . اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . اغتنم خمس شبائك قبل هرمك وصحنك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شتمك وحياتك قبل موتك . قل الحق وإن كان صرا . استعينوا على حوالحكم بالكتمان . ماخاب من استخار ولا ندم من استشار . ماغال من اقتصد . لا يلدغ المؤمن من جحر صرين . إياك وما يقدر منه . عش ماشت فانك ميت واحبب من شئت

فإنك مفارق واعمل ما شئت فانك مجزي به . افشووا السلام واطعموا الطعام
وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نائم . حفت الجنة بالسکاره . مطل الغني
ظلم . البر حسن الخلق . القناعة مال لا ينفد . من تواضع لله رفعه الله . من
أبطأ به عمله لم يسرع به نسبة . طوبى لمن شغله عيشه عن عيوب الناس . طوبى
لمن انفق من مال اكتسبه من غير موصية لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار . اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله . لا ايمان
لمن لا امانة له . لا يامكم والدين فأنه هم بالليل ومذلة بالنهار . الوحدة خير من
الجليس السوء . لا يعن من أحدهم مهابة الناس أن يقوم بالحق اذا علمه . لا
تظهور الشماتة بأخيك . لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماسا وترجع بطانا . رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا . ان الله عند
لسان كل قائل . ان المعونة تأتي العبد من الله على قدر المؤنة والصبر على قدر
المصيبة . ان الله ينهاكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال .
مامثلكم وممثل الدنيا الا كراكب قال تحت شجرة ثم راح وتر لها . ليس من
مالك الا ما أكلت فافيت او بست فأبليت او تصدقت فابقيت . ان هذا الدين
متين فأوغل فيه برفق ان المنيت لا أرضأقطع ولا ظهر ابقى . خير دينكم أيسره وخير
ال العبادة أخلفها . ان الله يحب الرفق في الامر كله . أحب الاعمال الى الله ادومها وان قل .
كفى بالمرء سعادة ان يوثق به في ثغر دنياه ودينه . لاتزال هذه الأمة بخيار
ما اذا قالت صدقتك اذا حكمت عدلت اذا استرحمت رحمت . الله في
عون العبد مadam العبد في عون أخيه . المجاهد من جاهد نفسه في طاعة
الله . شر الأمور محمد ثالثها . اليـد العليا خير من اليـد السـفلـي . ماقـلـ وـكـنىـ
خيرـ ماـ كـثـرـ وـأـلـهـيـ . منـ أـعـظـمـ الـخـطـاـيـاـ الـلـسـانـ الـكـذـوبـ . خـيرـ الغـنـيـ غـنـيـ

النفس . دَأْسُ الْحَكْمَةِ مُخَافَةُ اللَّهِ . خَيْرٌ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ . الْخَمْرُ جَمَاعُ الْأَثْمِ .
شَرُ الْكَسْبِ كَسْبُ الرِّبَا . شَرُ الْمَاكِلَ مَاذَا الْيَتَمُّ . سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فَسْقٌ . مَنْ يَكْضِمُ الْعَيْنَ يَأْجُرُهُ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرُ عَلَى الرِّزْيَةِ يَعْوِظُهُ اللَّهُ وَمَنْ يَقْرَضُ اللَّهَ
يَضَاعِفُ لَهُ اللَّهُ . شَرُ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ وَشَرُ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ الْقِيَامَةِ . خَيْرُ الْعَمَلِ
مَا نَفْعُ . الْصَّحَّاتُ هَلَالُ الْبَدْنِ . نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا النَّاسُ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ . أَهْلُ
الْمَعْرُوفِ فِي الدِّينِ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ . السُّلْطَانُ ظُلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ . السَّعَادَةُ طَوْلُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ . خَصْلَتَانُ لَا تَكُونَانُ فِي
مَنَافِقِ حَسْنِ سَمْتِ وَفَقْهِ فِي الدِّينِ . فَضْيَحَةُ الدِّينِ أَهْوَنُ مِنْ فَضْيَحَةِ الْآخِرَةِ .
الرَّغْبَةُ فِي الدِّينِ تَكْثُرُ الْهُمُّ وَالْحُزْنُ . الْفَرَاغُ يَقْسِي الْقَلْبَ . الرَّجُلُ فِي ظُلُّ صَدَقَتِهِ
حَتَّى يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ . الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ . الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشَدُّ
بَعْضُهُ بَعْضًا . لِكُلِّ شَيْءٍ عُمَادٌ وَعُمَادُ الدِّينِ الْفَقَهُ . الْمُسْلِمُ أَخْوَهُ الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا
يُسْلِمُهُ . الْوَوْلِيُّ كُلُّ الْوَوْلِيٍّ مَنْ تَرَكَ عِيَالَهُ بِخَيْرٍ وَقَدَمَ عَلَى رَبِّهِ بِشَرٍّ . مَنْ سَرَّتْهُ حَسْلَتَهُ
وَسَاءَتْهُ سَيْئَتَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . دُعَ ما يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ . الْمُتَسْوِّلُ الرِّزْقُ فِي خَبَايَا
الْأَرْضِ . اطْلُبُوا الْفَضْلَ عَنْدَ الرَّحْمَاءِ مِنْ أُمَّتِي تَعْيَشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ . اتَّقُوا دُعْوَةَ
الْمُظْلُومِ . لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْأَيْمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُطَهُ أَبْدَأُمَا
أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِيَهُ أَبْدَا . لَا يَعْجِبُنِّكُمْ اسْلَامُ رَجُلٍ حَتَّى تَعْلَمُوا كَنْهُ عَقْلِهِ . لَا يَسِّرُ مِنْ
مِنْ وَسْعِ اللَّهِ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَرُ عَلَى عِيَالِهِ . الْحَلْقُ كَلَمُهُمْ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحْبَبُهُمْ إِلَيْهِ أَنْصَفُهُمْ لِعِيَالِهِ .
رَبُّ مَبْلُغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ . مَنْ أَوْدَعَ مَعْرُوفًا فَلَيَفْسِهَ فَإِنْ نَشَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ وَإِنْ
كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ . مَنْ صَمَتْ نَجَامَنْ عَامِلُ الْفَاسِ فَلَمْ يَظْلِمُهُمْ وَحْدَهُمْ فَلَمْ يَكُنْهُمْ
وَوَعْدُهُمْ فَلَمْ يَخْلُفُهُمْ فَهُوَ مَنْ كَمَلَتْ صَرْوَتَهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتَهُ وَوَجَبَتْ أَخْوَتَهُ .
أُولُو مَا تَقْدُمُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ وَآخِرُ مَا تَقْدُمُونَ الصَّلَاةُ .

تأثير دعوه صلي الله عليه وسلم

لا يكذب القائل اذا قال ان القوضى في العقول والشراumes والعوايده وكل شيء تستقيم به التكاليف قبل بعثته صلي الله عليه وسلم كانت عامه . وقد وصل الفالون من كل ملة في أنواع الظلم الى حد قليل أن يسمى بالشقاء والفساد . واستولى الاضطراب على المدارك . وثارت الشبهات على العقائد فقلبت وضعها وعكسها طبعها . فالعرب كانت مفرطة في عبادة الاوثان والحجارة والمنافسة في المؤودة والسبابة والتفاخر في اراقة الدماء وتقطيع الارحام . ودولة الفرس والرومان كانت متظاهرة بكل ما فيه نهك القوي وهلاك الاموال وظلم الأمم المجاورة فضلا عن الترف والسرف الذي بلغ مبلغه ووصل أقصى درجات الافراط فها نظرت رأيت بنيناً وحسداً وقطعاً للارحام وتنافساً في الردى وإعراضنا عن ذكر الله وسلطان القوي منحصر في سلب ما يزيد الضعفاء حتى ضاعت عقيمة الامن على الزوج والاموال والاعراض وأصبحت الكرة الارضية كأنها دار حرب والنقوس كلها مشရأبة الى الاذى والضرر فلا تستأنس رشدًا ولا خيراً من أحد أبداً (نسوا الله فأنسهم أنفسهم أولئك هم الفاسدون)

أى علاج لرفع هذه الغم عن الأمم أجمع وأنفع من بعثة رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي لم تمض عليه عشر وعشرون سنة بين دعوه وهجرته . ومناظراته وغزواته . حتى ظهرت القائدة في العمل وقام العدل وانتظم شمل الجماعة بالامر بالمعروف (وصرف الله القلوب عن التعليق بما كان عليه الآباء) وخلقا خلفاً جديداً نسو فيه العداوة والعدوان . ثم لم تمض عشرون سنة أخرى حتى أصبحت

الامة العربية بدعة النظام شديدة البنيان نامية فيها أفنان العزة مستحکمة فيها
أصول القدرة مستعملة آدابها سائدة أخلاقها مستحسنہ عاداتها صاف منها
مستقيم منهاجها الذي موردها غزير منبعها معروفة شرعاً منها مهندم بناؤها متم
منظومها متعدد هواؤها وأهواؤها وقد اتجهت لكل شيء يحفظ وجودها
ويجمع كلها وينهض هم آحادها . حتى تنبت وقوت وسادت وامتنعت
وأشرفت على رؤوس الأمم وتحلت عليهم

بما إذا تم لها ذلك ؟

تم لها بالدين القويم الاصول . الحكم القواعد . الشامل لتنوع الحكم .
الباعث على الألفة . الداعي للمحبة . المزكي للنفوس . المطهر للقلوب . المادي
للقواعل بنور الحق . الكافل لكل ما يحتاج اليه الانسان المشيد لمباني العمران .
حافظ لوجود المعتقد له من آفات الهمtan . المزيل لاوحة . الجامع للصيانة .
حافظ للاستقلال . المذهب للاخلاق . الحرك بوعاظه غير القلوب . الامر
ببيع الارواح في حفظ شرف الامة والملة

اتى على الامة العربية فوحدها وقوتها وهذبها وهدىها وأنار عقولها ذكراها
وقوم أخلاقها وسد أحكامها فسادت العالم أجمع وساست دولة بسياسة العدل
والانصاف وليس ذلك بعيد عن دين أعدته الحكمة الالهية خاتمة الاديان
ل نوع الانسان ينتهي به الى غاية المدنية ويصل الى أقصى مراقب الآداب
 جاء هذا الدين بصورة من العبادات وضرورب من الاختلافات تفسقة
الالباب وتثير العقول وتكتسو الانسان حلقة الانسانية مع ظهور الحجة
واستقامة الحجة على انها من عماد السعادة ومصلحة البشر

طالب هذا الدين كل قادر بالعمل وانه لا يليق بشخص بشرية أن تظهر

في الوجود وقد حميت عن طرق الاهتداء وطمست عن أعينها معالم المداية
فهي كلّ لا تعلم الخير ولا يقين عليه

قال تعالى (وأن ليس للانسان الا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى .
ثم يجزاه الجزاء الاولى) فأصبح للانسان بالدين قوته تدعوه للدأب على
العمل حتى يبلغ الغاية من عمله فرفع الدين بهذا عن النفوس الجبن والخنول
والكسل والمالء وبين ما فيها من العار والشمار والضعف الذي لا يليق
بالانسانية أبداً

نزلت في الكتاب الكريم خمس آيات تأمر الانسان بالسير والحركة
وتدعوه للنظر في آثار من تقدمه وقد نصها الله منصب العظمة والاعتبار
وأقامها مقام الدائم على عمل أصحابها من خير أو شر مجدد في النفوس قوة
للسنافس بالأعمال واباع أحسن الطرق في اقتداء الفضيلة بالجهد والاجهاد
لا يقدرها عنها الناس لاحزنة ولا المعابر الوعرة

قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فدل هذا على أن لا فضل
لأحد على أحد الا بتقوى الله وإن الانسان كلما استفرق في بحار العبودية
خلقه وعرف أن إلهه إله كل شيء قادر على كل شيء المحيط بما في نفسه
وقام بما خلق لأجله من أعمال المداية التي نصها الله سبيلاً للنجاة فلا سلطان
لأحد عليه إلا بحق لانه بهذا التوحيد أصبح عبداً لله خاصة حرماً من العبودية
لكل مساواة له مالا يحتر على الحر

عرف الانسان من هذا بالبرهان القطعى ان مشيئة الرؤساء التي كانت
تسعبد الامم في مرضاتها والروح الخبيثة التي كانت نلامسهم فيدعون الشرائع
الالهية ناحية . ويطهرون الى الشهوات ويدخلون في كل أمر لهم فيه رغبة

بلا رؤية ولا استبصر لا يبني الرضوخ لها ولا التسامح فيها وانه يجب على الانسان انه فضلا عن ان يصون نفسه عن الانتقاد لها كذلك يتقدم لبني جلدته بالنصحية حتى تأتى عنها فقد قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون)

كشف الاسلام عن العقول غمة الوهم ورفع الامتياز بين افراده الابulum أو عمل قال تعالى (لا يسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) وقال تعالى (لا يسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَالْمُجَاهِدُونَ) وقرر لكل طبقة من طبقات العلوم شرفا مخصوصا ودعى لها جميعا حتى دعى الناس للنظر في النجوم بعد البحث في هذه الرسوم وذم الجهل والقصور عن ادرالك ماجاءت به الشرائع من الحكم وغرب له الامثال فقال تعالى حكاية عن المتلبس به (كمثل الحمار يحمل أسفارا) ففتح بذلك باب السعادة للانسان بطهارة العقل من دنس الوهم وخلاص العمل من وساوس الطعام

جمع القلوب على الالفة والحبة بفرضية الزكاة التي افترضها . تؤخذ من أغنيائهم لفقرائهم فاستلت الضغائن والاحقاد التي في القلوب وأصبحت الامة الاسلامية اخوانا لا نهائيمست ولا سوسيلست ولا كومون ولا انارشيست (لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت)

أدب النفوس بالصوم وأذاق الامير البؤس ليعلم ويحس بحال أخيه الفقير الجائع فلا ينساه من الموهبة التي وهبها الله له ولا يخليه من إحسان حتى يكون الغنى المحسن الشاكر كما ان ذاك هو الفقير الصابر

هذه قطرة من بحر الشريعة الغراء تكفينا لتقدير الكلام عليها في هذه العجلة فنقول الى اى مرتبة يصل الانسان المتصف بهذه الاخلاق . حر

فِي نَفْسِهِ . مَعَانِي مِنْ أَخْوَانِهِ . عَالَمُ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مُتَحَقِّقٌ أَنْ
لَا وَصُولٌ لِلْسَّعَادَةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ . وَإِنْ لَا تَعْمَلَ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ رِضَاءُ اللَّهِ . أَتَرَاهُ
يُصْبِحُ وَيُسَى جَاهِلًا بَعْدِ هَذَا «الْتَّعْلِيمُ» وَتَصْبِيهِ الْغُوايَةُ «مَعَ هَذَا الْإِرْشَادِ»
وَيَتَبَلَّسُ بِالْمُنْكَرِ «بَعْدِهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ» أَمْ تَرَاهُ يُرِيقُ بِشَرْفِ هَذَا الْأَسْتَعْدَادِ
حَتَّى يَبْلُغَ دَرَجَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي أَعْدَهَا اللَّهُ وَسُجِّلَهَا لِكُلِّ مَنْ اتَّبَعَ نُورَ هَذَا
الْقَبْسِ وَاسْتَضَاءَ بِهِ

ظهر الدين الإسلامي وبقية الملل قد من قائمها المشارب وفرقها المذاهب
فكان سبباً لهداية الخلق أجمع وأصبحت الناس كلهم امامه بين دجلين (أما
داخل فيه طوعاً وأما مقلد له استكباراً) وكذلك معنى قوله تعالى (وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فالنهاية العلمية في بغداد في عهد المأمون رضي الله
عنه لاختلف عن النهاية العلمية في باريس في أيام لويس الرابع عشر. فان مفتاح
العلوم في كل دين إسلامي الذي دعى للنظر والبصر في كل شيء . ولم يدع
نفساً غافلة لاهية الاعابها . فالدين الإسلامي منشأ كل علم ونيل كل سعادة
ومفتاح كل استقلال للرأي والتفكير والإرادة وبه تكمل الإنسانية وتسعد
لان تبلغ ماهيّاه لها الله من حسنات الآخرة

اتفقت أهل الدنيا على أن دين الإسلام رفع كل الاقوال عن بني الإنسان وأحسن إليهم المعاملة حتى ترامت عليه أهل الملل الأخرى يتغوفون فضلاً من أهله فوجدوا فيه العدل والانصاف والمساواة والأخاء حتى في التقاضي مع المسلمين بين يدي قضاة المسلمين فاستكثروا بالدخول فيه «حتى أثر دخولهم في واردات الجزيه من كثرته» واستخدم الخلفاء من بني أمية وغيرهم من وجدوا فيه المهارة من غير المسلمين كالكتبه والعمال وصعدوا بهم إلى أعلى

المناصب وأسماءها والاسلام يظالمون بظلالة وهم يبذلون في خدمته أنفسهم
انتقل الى أوروبا من طريق الاندلس (باسانيا) فاهتزت وربت وآتت
من كل زوج بهيج . وآتت على آخره حملة الغرب على الشرق وتدخلهم فيه
وفى أحواله أكثر من مائة سنة وانتهت تلك الحروب الجارفة بعودتهم
لبلادهم بخفي حنين استغفر الله بل عادوا خاسرين فى حربهم مستفيدين فى
علمهم حافظين لكل التقاليد الدينية وقد عرفوا من أين غلبو وأدركوا من
أين أخذوا

كانت أهالى أوروبا غافلة عن قلدها الاهية عن مرشدتها بخاءها مارادت
عن قرب فهم هضت لقطع سلاسل الذل الذى لبستها من أيدي ملوکها المغروبين
ونقضت العزائم التى قيدتها بها زعماء الدين ، ورأوا ان اختصاصهم بهذه
الفضائل وعدم مشاركتهم فيها افضل فذابوا على العمل بها ووجهوا همهم
لسلطخها عن أهالها فما زالت تلك الامهات تنمو عندهم حتى مزقت حجب
الجهل وما زالت عواددهم تنتقل علينا ونسعيض بها عما عندنا حتى أبادت
ذلك العلم وانهى الامر بأن أضاء الغرب ذاك القبس وأصبح أهله في
ظلمات لا يبصرون

لم يكتفى المسلم بأن يستعين بالغربي في معرفة سير النجوم والكون الكبير
ومعرفة الفصول والمواسم المأمور هو بالنظر اليها من قبل ذلك بعدهة أجيال
بل أصبح عالة عليه يستعين به في أقل القليل من أموره المعيشية
فقد المسلمين لطائف شرف الاستقلال ودينهما مانحها . وشدوا على أيديهم
الأغلال ودينهما قاطعها . واسترقوا بهم السبب في تحرير الرقاب . وخانوا بهم
الذين حفظوا العهد والوفاء في كل باب . فاض بهم الغدر والذور ودينهما محروم

الخديعة وينحرج الغاش من أهله . ما بالهم لا يتناصرون ولا يعتصمون وقد عادوا
لما كانت عليه الأمم الأولى . الأغنياء يسلبون أهل البأساء . والابناء يقتلون الآباء
والبنات يمفعن الأمهات

قادهم أهل الغرب كيداً لبغ سكينه العظم . أخرجوهم عن مواطنهم
وابعدوهم عن مشارعهم وأزاحوهم عن مواقفهم وأصبحوا على حال من
السذاجة لا يفرقون بين ما يضر ويفعل . يقولون وهم لا يستحقون ان دين الاسلام
من الموارد عليهم والسبب الاول في تهميرهم وقد كذبوا وافتروا وهم من
الماء بمكان لا يفرقون به بين عزهم أمس وذلهم اليوم ولا يدركون أين كانوا
والى أين صاروا

سيأنون غدا حيث لا ينفع الآنين ويبيكون ولا يجدي البكاء لأن البلاء
الذى نزل جرته الذنوب والله كما يثيب على طاعته يعاقب على عصيانه ولن تجد
لسنة الله تبديلا

الهم أناسألك طهارة في العقول وخلوصا في العمل من العوج والرياء
وهداية بالعلم والاعلام ورجوعا لآداب الدين التي فارقناها إنك على كل
شيء قادر

﴿ سيرة سيدنا أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

هو سيدنا عبد الله بن أبي حافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم (بن مرحه بن كعب) بن لؤي بن غالب بن فهر التميمي القرشي يجتمع مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صرة بن كعب . وأمه أم الخير سلمى بنت
صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرحه

ولد رضي الله عنه لستين وأشهر من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم وشب على الأخلاق الفاضلة والسميرة الكريمة وكان أعلم الناس في
جاهليه ومقدما في قريش وهو من أهل مشاورتهم ومحبها فيهم وأعلم لمعاملهم
وكان أعلم أهل زمانه بالأنساب حتى كانت العرب تدعوه (علم قريش) وتهابه
لحرمه وكرمه وفضله فقد كان ذا مال جزيل في قومه ومرارة تامة واحسان
وتفضل فيهم . يصل الرحم . ويصدق الحديث . ويكتب المعدوم . ويعين على
نواب الدهر . ويقرى الضيف . وكانت له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا شرفه الله بالنبوة كان أبو بكر أول رجل أجاب دعوة الإسلام من غير
كبوة فأجمعوا الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر لتصديق الرسول ولازم
الصدق فلم تقع منه هناء ما . ولا وقفه في حال من الاحوال . ثم قام بدعوة أخوانه
ولأنه كان محبيا سهلا كانت رجالات قريش تألفه فسلمه باسلامه كثير وأجاب
دعوته مثل سيدنا (عثمان) بن عفان والزبير بن العوام (وطلحه) بن عبيد الله
وغيرهم من صناديذ الإسلام واشتري من أسلم من العبيد وأعتقهم في سبيل
الله فكانت يده الطولى مبسوطة بالفضل على السادات والموالى
حاز شرف الصحبة بنص القرآن الكريم (إذ يقول لصاحبه لا تحزن

إِنَّ اللَّهَ مَعْنَا) وَمَنْ حَيَنْ أَسْلَمَ إِلَى حَيْنٍ تُوفَى لَمْ يَفَارِقْهُ سَفَرًا وَلَا حَضْرًا إِلَّا فِيمَا
أَذْنَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُرُوجِ فِيهِ وَشَهَدَ الشَّاهِدَ كَلَّا هُوَ حَمْلَ الرَّايَةِ
الْعَظِيمَ فِي آخِرِ غَزْوَاتِهِ وَحِجَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي صَرْضَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَكُلَّ بَابٍ فِي الْمَسْجِدِ سَدَ الْأَبْابَ أَبْيَ بَكْرٌ

قَدْ امْتَحَنَهُ اللَّهُ بِأَشْدِمَا يَعْكُنُ بِهِ الْأَمْتَحَانَ فَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ الْمَوْاقِفُ الرَّفِيعَةُ الْعَالِيَةُ :
ثُبَّاتُهُ فِي قَصْدَةِ الْأَسْرَاءِ وَجُواهِيَّةِ الْكُفَّارِ . وَكُونُهُ مَوْضِعُ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ هِجْرَتِهِ . وَصَاحِبِهِ فِي الْفَارِ عنْدَ تَحْجِبَهِ . وَمَسَارِيَهُ فِي الطَّرِيقِ
عِنْدَ سَيِّرَهُ . وَقَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَوَالِيِّ وَالْمَادِيِّ وَتَرَكَ عِيَالَهُ وَأَطْفَالَهُ
بَيْنَ يَدِيِ الْأَعْدَاءِ . وَكَلَامُهُ يَوْمَ بَدرٍ . وَيَوْمَ الْحَدِيدَةِ حِينَ اشْتَبَهَ عَلَى غَيْرِهِ الْأَمْرُ فِي
دُخُولِ مَكَّةَ . وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ ثَبَاتٍ عِنْدَ المَصِيَّدِ الْعَظِيمِ الَّتِي خَرَسَتْ عِنْدَهَا
فَصَحَّاءُ خَوْلِ الرَّجَالِ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاهْتَامَهُ فِي بَدْءِ جَيْشِ
أَسَامِيَّةِ وَقِيَامِهِ فِي قَتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ وَقَدْ طَعَمَ أَهْلَ الشَّرِكَ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا سِيَّأَتِيكَ
نَفْسِيَّلِهِ وَمَا زَالَ يَحْجُجُ الصَّحَّابَةَ بِالْدَّلَائِلِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدَورَهُمْ كَما شَرَحَ صَدَرَهُ
وَرَزَقَهُ تَعَامِ النَّعْمَةِ وَصَلَاحِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَالْفَضْلُ وَإِنْ كَانَ مَقْسُومًا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكُنَّهُ أَكْثَرُهُمْ أَسْبَابًا فِي اقْتِنَائِهِ وَأَشَدُهُمْ
صَوْبَانِي مَعْرِفَةً طَرِيقَ نُوَالِهِ

وَلِيَ الْخَلَافَةَ لَا حَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى فِي ١٣
وَبَيْعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ أَحَدِ عَشَرَ . وَأَوَّلُ مَنْ بَايعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَتَبَعَهُ الرَّأْيُ
الْفَالِبُ مِنْ أَجْلَهُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنَّهُ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأَمَّةِ
وَأَوْلَاهَا بِالْأَمَّةِ لِفَضْلِيَّتِهِ وَنَخَاطِهِ مِنْزَلَتِهِ وَشَدَّدَ اسْتِحْقَاقَهُ مِنْ إِسْلَامِهِ عَلَى
الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ يَسْلُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عَالَمٍ وَفِي عَصْرِهِ عَلَى حَسْبِ صِحَّةِ الْأَحَادِيثِ

والاسانيد في تقديم أبي بكر لأن رجالها أعم وخيرهم أكثر واسنادهم أصح . وقد صنع أبو بكر ماصنع في ماله وكان المال أربعين ألفا من الدنانير فانفقه على نواب الاسلام وحقوقه ولم يكن ماله ميراثا لم يكده فيه فهو غير لم يشعر بعسر اجتماعه وامتناع رجوعه بل هو ثمرة كد وكسب جوان و تعرض لحكم الليل والايام ثم هو قليل الظهور بالنسل ذابنين وبنات وزوجة وخدم وحشم يعول أبويه وما ولدا ولم يكن فتى حدثا فهزه أريحيه الشباب وغراوة الحداة . والاعجب انه لم يكن باذاء هذا الانفاق وحذاء هذا العطاء رغبة تدعوه أو طمع يحدو لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بلع من رهطه ولا من قومه قوة تصمد عنه أذى المشركون من قريش فيطمع في جاهه بل هم على ما علمت من السطوة والقدرة ثم لم يكن له على أبي بكر يد قبل ذلك مشهورة فيخاف العار في ترك مواساته عليها

قضى الامر بيعلمه فصعد المنبر وقال (أيها الناس قدوليت عليكم ولست بخيركم فان أحست فاعينوني وان صدقت فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة والضعف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه - ان شاء الله - لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا الى صلاتكم يرجمكم الله) قام سيدنا أبو بكر رضي الله عنه بوظيفة الامامة من حراسة الدين وكفاية الامة وصيانة الشرع الشريف فلم ينحرف عن شيء يمنه ولا يسره وسار وكتاب الله يقوده وسنة رسوله تحوطه

- ﴿أَعْمَالهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾ -

نعم رد البلايا الكثيرة عن جماعة المسلمين . فقد مني الاسلام بعد وفاة
الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبية العظمى مصيبة الردة التي لم تدار كهـاـ
حكمة أبي بكر رضي الله عنه لتشتت شمل المسلمين وأصبحوا شذر مذرـ
مالبشت العرب بعد علمها بموت رسول الله صلـى الله عليه وسلم حتى

ارتدت الا قريشا بمحنة وتفيقاً بالطائف وأصبحت الناس على قسمين تارك
للدين كتابع مسيلمة وأهل اليمن وهم الذين اتبعوا الاسود العنسي . ومعطل
لبعض أركانه كالزكاة وهم أتباع مالك بن نويرة

شمر رضى الله عنه عن ساعده غير مبال بهذه الاهوال الجسمام ولا
هيبة لها مع قلة الجيش وكثرة العدد بل مع قلة المسلمين وكونهم كالغنم في
الليلة الممطرة بقلتهم وكثرة عدوهم واظلام الجου عليهم بفقد نبائهم وهكذا الواقع
بوعده سبحانه وتعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقام معتمدا
على ربه مستسرا المصاعب فكالله سبحانه وتعالى أعماله بالنجاح
ما جلت عبس وذبيان مع جماعة من بنى أسد وكنابة وجاءو مانعي الزكاة
وأطمعوا الناس في المدينة لقلة من فيها فأعان الله المسلمين فلم تطلع الشمس عليهم حتى
ولت الاعداء الأدبار ثم جاء أسامه فاستخلفه على المدينة وقاتل المرتدين وهن منهم
وقد كان استراحة جيش أسامه وثاب من حوالى المدينة فمقى أحد عشر لواء
لحاد عشر قائد وسير الجيوش لقتال أهل الردة بغير الاسلام بعد ما كسر
وفض حدتهم وفرق كلتهم وكسروا شوكتهم والحمد لله

خص كل قائد بناحية لقتال من فيها من أهل الردة فـ (١) سيف الله
خالد بن الوليد لطحة بن خويلد الاسدي ومالك بن نويره و (٢) عكرمة بن
أبي جهل الى مسيلمة باليمامة و (٣) شرحبيل بن حسنة لأهل اليمامة و (٤) حذيفة
أبي أمية الى جنود العنسي وهم قوم من الفرس سكنا اليمن و (٥) حذيفة
بن محسن الى أهل دبا و (٦) عرقفة بن هرثمة الى أهل مهروه و (٧) سويد بن
مقرن الى تهامة اليمن و (٨) العلاء بن الحضرمي الى البحرين و (٩) طريفة ابن
حاجز الى بنى سليم وهو اذن و (١٠) عمرو بن العاص الى قضاة و (١١) خالد

ابن سعيد الى مشارف الشام . وزود كل قائد بما شاء الله أن يزوده من الارشاد
أحد عشر باب من أبواب الفتنة فتحت في آن واحد وجراحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يندمل بعد والامر في سره وجهره يحتاج الى المجاهدة الحقة
والقائم لا بد له أن يبدأ بالاستعانت بالمعروف مع من أجاب الدعوة واستمر على
الاقرار ويفاتح من رفضها ولازم الانكار وأصحاب العجلة والفساد من العرب حشو
الاسلام والمسلمين وقد ارتفعت الامانة فالكل عيون على الكل من قبل الاعداء
هذا الموقف من أشد المواقف الحرجة التي ليس لها الا عزم سيدنا أبي
بكر رضي الله عنه يذكى سراج هدى نبيه صلى الله عليه وسلم بنور الحق
الساطع ويدعوا الناس اليه بعد ما أفقهم داعي الشيطان وأدبروا عن الهوى
وأصبحوا بعد ايامهم كفارا

اجتمع المشركون واجتمع المسلمون ونازل كل قائد خصمه وما زالوا ياجرون
حتى هزم الله أعداءه على يد أوليائه كما بينته أصحاب السير في كلام طويل ولم
يسم أحد منهم مع كثرة المقاتلة ولم يغلبوا على قلوبهم ولم يخندلوا على ضعفهم
لأنهم بعيدون عن الهوى غير حاذين عن الصراط السوي

لينظر الانسان نظرة غير ذي هوئ فيري أبي بكر رضي الله عنه ومن
معه من المسلمين كالشمرة البيضاء في الثور الأدهم والعرب كلهم أعداءه ولمن
معه ثم ليتأمل فعله من إعزاز دين الله وقتل من كفر بالله ولا سلاح معه أشد
من الوثوق بوعده الله (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فجازاه الله
بتتحقق قوله هذا من حبه النصر المبين والفتح العظيم ودانت له امم العرب واجتمعت
كلها بعد تفرقها والف له القلوب بعد لشتها وتوجهت همة الجميع لتحقيق قوله
تماماً (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)

﴿ فتوحاته رضي الله عنه ﴾

كانت بلاد العرب مجاورة لا كبر ممالك الدنيا إذاك . مملكة الفرس في الشرق و مملكة الروم في الشمال . ولا حاجة لذكر الكلام في شرح ما كان يعتقده ملوك هاتين المملكتين في نفوسهم من العظمة بعد ما قرأ القاريء في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن كسرى أبرويز مرق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمارا واستعظاما من قراءته . فما بعد هذا دليل على مقدار الجبروت والكبراء الذين كان من فضل تعليم عدل الاسلام ومساواة بين الأمم الأخرى هدمهما بالمرة . وقد كانت الحال من جهة الفرس الى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جيوش العرب فتحت اليمن وضمت اليه البحرين وعمان والكل مما هو تحت حماية الفرس إذاك . وكانت من جهة مملكة الروم قاصرة على كتابة كتاب الى هرقل ملك الروم وتجهيز جيش في السنة الثانية من الهجرة ورضاء بعض عمال هرقل بالجزية

انتدب ابو بكر رضي الله عنه سيف الله خالد بن الوليد لوضع أساس الدين القويم بالبلاد الفارسية وذلك في بدء المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ (بالأية) (١) . وانتدب عياض بن غنم وأمره أن يبدأ (بالمضي) (٢) وأمدها بما شاء الله أن يدها به وأوصاها أن لا يستعينا بأحد من ارتد على غزو وأبدا سار خالد بن الوليد ورتب جيشه ثلاثة فرق وقصد ثغر (الحفير) (٣)

(١) الآية ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسي عند مصب دجلة

(٢) المضي قرية على الفرات شمال العراق

(٣) الحفير موضع قريب من الآية

وكان صاحبه من عظماء الفرس اسمه «هر من» تبغضه العرب وتنقم عليه لكثره
غزوته فيهم فسبق المسلمين على الماء ونزل خالد على غير ماء . ثم تلاقيا
وسط الصف فاحتضنه خالد وقتله وحمل جيش المسلمين وأنهزم المشركون
وأقسمت الغنائم وأرسلت البشائر وخمس الغنائم إلى أبي بكر

اتصل خبر هذه الهزيمة بملك الفرس أزدشير ومقامه (بالمدان)^{١٥}
 فأرسل إلى المسلمين جيشا آخر يقوده عظيم من عظائمهم بجمع المهزومين من الفرس
وسار بهم وبجيشه حتى وصل نهر (الثاني) فالتقى الجيشان هناك فقتل قائد الفرس
وحمل جمع المسلمين على جمع المشركين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق الكثير
منهم في النهر وأخذت الجزية من الفلاحين وساروا زمة ارسلت بشرى الفتح
وخمس الغنائم إلى أبي بكر

اتصل خبر هذه الهزيمة أيضا بملك الفرس فأخذ من عنده ومن صبره ما أخذ
وحال ذلك الجبروت والاستكبار إلى حال آخر صيره ينظر في أمره وأفنته
إلى تلك الطامة المقلبة عليه فسيير جيشا يقوده عظيم وفي أسره آخر يقوده أعظم
منه ولكن كل هذا لم يعن شيئا ولم تلتقي عساكر خالد بن الوليد بعسكر
الجيش الأول حتى مات القائد هزيته وأصاب خالد أبناء من «بكر بن وائل»
وقتلهم فكتب نصارى بكر لملك الفرس بما كتبوا فأصر الجيش الثاني أن يلحق
جماعة المسلمين ويدرك بقية الجيش المهزوم ولكن القائد سير إمامه ذلك الجيش
برئاسة غيره وسار هو إلى أزدشير فوجد أخبار الهزيمة وصلته فاعتلته وأصبح
في مرض عضال

١٥ المدان لا كاسره على نهر الدجلة جنوب بغداد شرقية وضريبة وكان في الشرقية
أيوان كسرى

ثم حصلت واقعة (الليس) (١) وثبتت فيها الاعاجم لتوقيع المدد
وثبتت المسلمون لتقديرهم النصر من الله

وبعيد ما بين طالب رفه من زمان ومن يحاول زخرا
جعل الله كلته هي العليا ولم تخض ضحوة التهار حتى ولـى الفرس الادبار
بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة وسار خالد بن الوليد قاصدا الحيرة (٢) في سفن
في بحر الفرات نخرج اليه (مرزيان) الحيرة وأرسل ماء الفرات في الجداول
والترع المتفرعة منه حتى انخفض منسوب النهر ووقفت سفن المسلمين على
الليس فسار خالد بالخيل وحاصر القصور وشدد حتى خرجت القسس من
ديورها لتصبح بأهل القصور وتطلب منهم الصلح فصالحهم على الجزية فدفعوها
وأهدوه هدايا على عادتهم مع ملوك الفرس فأرسل خالد بالفتح والهدايا الى
أبي بكر فقبلها وعدها من الجزية وأمر خالدا ان يعدها منها
فليما رأى حكام ما بعد «الحيرة» فعل خالد صالحة على الجزية وأخذني
مكتابة ملوك الفرس وسار الى مدينة الانبار (٣) فطلب صاحبها اشيرزاد صالحه
ثم سار متقدما خالدوافتتح عين التمر عنوة (٤) ثم سار عنها قاصدا دومة
الجندل وافتتحها عنوة أيضا
آثار هذا من حميـة العرب الذين تحت حكم الا كاسرة بهذه الجهات
من عهد عظيم بسبب من قتل من العرب إخوانهم بعين التمر ودومة الجندل

(١) ليس موضع على الفرات من قرى الانبار

(٢) هي عاصمة ملوك العرب من قبل الفرس وهي غربى الفرات على قرب الكوفة

(٣) مدينة على شاطئ الفرات شمال الكوفة

(٤) بلد في بريـة العراق بالبعـد عن الانبار بثلاث مراحل

فطلبوها من الفرس جيشاً يكُون لهم عوناً . فأخرجت لهم فارس فارسین عظيمین في عسکرَ کبیر فكان حظهما في مِنَا صبة القتال مع جيوش الاسلام حظ من فات ثم وقعت واقعة « الفراض » وقاتل المشركون فيها قتالاً شديداً ثم انهزموا وأمر سيدنا خالد بن الوليد بالرجوع إلى « الحيرة »

كان من حكم الحال في ذلك الوقت أن ينصرف سيدنا خالد عن حرب العراق ويُسِير إلى الشام مددًا لجيوش المسلمين هناك فصرّفه أبو بكر واستخلف على جيشه في العراق « المشتبه بن حارثة الشيباني » فقام من الحيرة حتى أتى بابل (١) وأقام بها حتى لاقاه « هرمنز » في جيش الفرس فقاتلته جيش المسلمين قتالاً شديداً أفضى إلى هزيمته

كثُرت الاختلافات الداخلية في مملكة الفرس فشغلاهم عن أمرهم مع المسلمين واطمأن الحال في كل ما فتحته جيوش المسلمين من البلاد فرأى « المشتبه » أن يستخلف على جيشه ويقصد المدينة ليفاوض سيدنا أبو بكر في أشياء فوجده صريحاً فاستحضر أبو بكر عمر بن الخطاب وقال إذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع « المشتبه » ولا تشغلك مصيبة عن أمر دينكم ووصيّة وبكم فقد رأيتني وقت وفاة رسول الله وما صنعته وما أصيّب أخلاق بمن شئه وإذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى عراقهم فانه أهله وولاه أمره وأهل الجرأة عليه

هذا ما انتهى إليه أمر فارس في ذلك العهد وإذا استحضر القاريء في ذهنه صورة بلاد العرب يرى أنها كانت محدودة بدولة الروم شمالاً ومملكة فارس شرقاً وإن الدعوة للدين بواسطة جيوش الاسلامية قد انتقلت منها

(١) بلدة قديمة شرق الفرات

في عهد الصديق الى هذه الممالك وان سيدنا خالد بن الوليد اتجه جهة الشرق
وأزال ملك فارس عن كل الاراضي الخصبة التي في غرب الفرات وهو
ما يعبر عنه بريف العراق وأصبح حد مملكة فارس نهر الفرات . وأما من جهة
الشمال فالذى وقع بعد الذى علمت من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذى كتبه الى هرقل والكتاب الذى كتبه لملك غسان بالبقاء والجيش الذى
بعشه رسول الله تحت امرة زيد بن حارثة في السنة الثامنة من الهجرة وقبول
صاحب جراء وائلة بالجزية

وجه سيدنا أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص الى مشارف الشام وأمره
ان يكون رداءً بيضاء لا يفارقه باجزء منه ملك الروم حينها فسار اليهم خالد
فافتراقوه فكتب لأبي بكر بالخبر فكتب اليه بالاقدام فتقدم ولقيه بطريق
روم اسمه ماهان فهزمه خالد وكتب الى أبي بكر يستمدده فاهم بأمر الشام
فاستقدم عمرو بن العاص وكان والياً على صدقات سعد هديم من قضاياه
كان أبو بكر مسيّره اليها يوم عقد الأولوية في ذي القصّة وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعده ولايتها فكتب اليه أبو بكر (انك كنت ردتك
إلى العمل الذي ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى
إنجازاً لم يأْمِد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليتها وقد أحببت أن
أُفرغ لك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذي أنت فيه
أَحَبُّ إِلَيْكَ)

فكتب اليه عمرو (انك سهم من سهام الاسلام وأنك بعد الله الرائي
بها والجامع لها فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارم بها)
جهز أبو بكر أربعة جيوش جعل على أحدهما عمرو بن العاص ووجهته

فلسطين (١). وعلى الثاني شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن (٢) وعلى الثالث يزيد بن أبي سفيان . ووجهته البلقاء (٣). وعلى الرابع أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح . ووجهته حمص . (٤) وساروا جميعاً على بركة الله . وقد ودعهم أبو بكر ماشياً وأوصاهم بما فيه صلاح دنياه وأخر اهـ فظلت الجيوش سائرة حتى نزلت الشام

بلغ «هرقل» أمر هذه الجيوش فقال لقومه أري ان تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحون على نصف ما يحصل من الشام ويقيـ لكم نصفه من بلاد الروم أحـبـ اليـكـ من ان يـغـلـبـوكـ علىـ بلـادـ الشـامـ وـنـصـفـ بلـادـ الروـمـ فـرـضـوـاـ رـأـيـهـ فـسـارـحـتـىـ نـزـلـ «ـحـمـصـ»ـ وـأـمـرـ بـجـمـعـ الجـيـوشـ فـاجـتـمـعـ مـنـ روـمـ عـدـ عـظـيمـ فـوـجـهـ لـكـلـ أـمـيرـ جـيـشـاـ يـفـوقـ عـدـةـ مـعـهـ فـأـشـارـ عـمـروـ بـنـ العـاصـ عـلـىـ الـأـمـرـاءـ بـالـجـمـاعـ فـاجـتـمـعـ مـعـوـاـ بـالـيـرـمـوـكـ (٥)ـ وـكـلـ وـاحـدـ أـمـيرـ عـلـىـ جـيـشـهـ وـالـروـمـ اـمـامـهـ وـبـيـنـ الـفـرـيقـيـنـ خـنـدـقـ فـكـانـ روـمـ يـقـاتـلـونـ بـاـخـتـيـارـهـمـ وـاـنـ شـاؤـ اـحـتـجـزـ وـاـخـنـادـقـهـمـ وـأـقـامـ الـفـرـيقـانـ عـلـىـ ذـلـكـ صـفـرـاـ وـالـرـبـيعـيـنـ مـنـ السـنـةـ الثـالـثـةـ عـشـرـةـ مـنـ الـهـجـرـةـ فـأـرـسـلـ الـأـمـرـاءـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ يـسـتـمـدـوـنـهـ فـكـتـبـ إـلـىـ سـيـدـنـاـ خـالـدـ بـنـ الـوـليـدـ أـمـيرـ جـنـدـ الـعـرـاقـ يـأـسـرـهـ أـنـ يـسـتـخـلـفـ عـلـىـ جـنـدـهـ بـعـدـ أـنـ يـأـخـذـ مـعـهـ نـصـفـهـ وـيـتـوـجـهـ إـلـىـ الشـامـ مـدـداـ لـأـمـرـأـهـ (ـكـمـاـ قـنـادـلـكـ عـنـ قـرـبـ اـعـدـ ذـكـرـ وـاقـعـةـ دـوـمـةـ الـجـنـدـلـ)ـ سـارـ سـيـدـنـاـ خـالـدـ يـنـسـفـ الـأـرـضـ نـسـفـاـ حـتـىـ وـصـلـ إـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ دـيـعـ

(١) كورة في جنوب الشام

(٢) كورة بالشام تبتداً من بحيرة طبرية وتشعى بالبحيرة الميتة

(٣) بلد باشام

(٤) مدينة شامية في الشرق من شهر العاصي

(٥) واد في الجنوب الشرقي من الشام

الآخر وصادف وصوله وصول «ماهان» بجيش مددًا لاروم فولى خالد قتاله
وقاتل كل أمير من بازائه متساندين فرأى خالد ان هذا القتال لا يجدي نفعاً
مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير جمع الامراء وخطبهم
قال بعد ان حمد الله وأثنى عليه

ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغي ولا الفخر . أخلصوا جهادكم
وأرضوا الله بعملكم فأن هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعيبة
وأنتم متساندون فأن هذا لا يحيل ولا ينبغي . ان من ورائكم من لو يعلم عالمكم حال
بينكم وبين هذا فاعملوا بما لم تؤمر وافيه بما ترون انه رأي من واليكم ومحبته
قلوا هات فما الرأي فقال

(يؤمر على الجيش كله أمير واحد ويعاوروا الأمارة حتى يؤمر وا
كلهم وان يؤمر هو في اليوم الاول) . فقبلوا مشورته
خرج سيدنا خالد في تعيبة لم تبعها العرب قبل ذلك . جعل القلب (فرقا)
وأقام فيه أبا عبيدة . وجعل الميمنة (فرقا) وأقام فيها عمرا وشرحبيل . وجعل
الميسرة (فرقا) وأقام فيها يزيد . وجعل على كل فرقة رجالا من الشجعان (١)
وكان عدد الفرق ستة وثلاثين فرقة وكل فرقة ألف رجل

انتسب القتال والتجم الناس وتطارد الفرسان وأظهر خالد عجائب الشجاعة والجحية
الاسلامية . ثم ان الروم سحلوا احملة ازواجا به المسلمين عن موافقهم وأذاحوه عن
موافقهم فنهد سيدنا خالد باللقب حتى حال بين خيل المشركين ورجلهم فانهزم الفرسان
وترکوا الرجال فاخرج لهم المسلمون واستندوا على الرجال فهزموهم وقتلوا خلقا
كثيراً وقاتل نساء المسلمين في ذلك اليوم قتالا شديداً وأبلين بلاه حسنا

(١) في منزلة البكلاشى الآن

انتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة وفي أشأنها جاء بريد المدينة
بموت سيدنا الصديق وخلافة سيدنا عمر بن الخطاب وتولية أبي عبيدة رئاسة
الجيوش فلم يبلغ هذا الخبر الجيش إلا بعد الفتح
ربما يقول قائل الشأن في الحروب أن تكون سجالاً فلما اتفاوت في هذه الواقف
مواهيب القوى والهمة والعزم مع ما هو معروف في دولة الروم من تمام التطاول إلى
اجتناء ثمار الأعمال ولهذا فنحن قبل ذكر خبر وفاة سيدنا الصديق ذاكرون حديثاً
عن واقعة (اليرموك) هذه حدثي وقائع العرب مع الروم. تدربنات الفساد وزغات
الأهواء ان جحث وتعرف الانسان ان هداية الدين وصحة الاعتقاد وكمال العقيدة اذا
تمت لأنسان ترق منه الوجдан وتلطف منه الاذهان وتنبذ منه البصيرة وترفع منه
الفساد لا جتلاء التباكي ويصبح صاحبها وله من القدرة الباهرة مالا يهتم بناؤه أبداً
قال الإمام أبو الحسن سلام الباهلي الاشبيلي في كتابه الذي وضعه في آداب
النفوس ومكارم الاخلاق عند الكلام على مرتب الجود ودرجات السخاء (حديث
حديفه العدوى) قال انطلقت يوم (اليرموك) اطبل ابن عملى ومعي شيء من ماء وانا
أقول ان كان به رقم سقيته منه ومسحت به وجهه فلما وجدته أشرت اليه ان
أسيقه فقال لي ابن عمى نعم. فإذا ب الرجل يقول آه فأشار إلى ابن عمى أن انطلق اليه
بفتشه فإذا هو هشام بن العاصي فلما أشرت اليه سمع آخر يقول آه فأشار إلى
هشام أن انطلق اليه بفتشه فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات
فانصرفت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات
أى شيء أعظم من هذا الا يشار وأى صبر أجل من هذا الاصطبار . لقد تقصّر
الا لسان عن تعديله وتكلّل الافهام عن تحديده ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمُ

وفاة سيدنا الصديق

سبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة . حم أبو بكر فلما استد
عليه المرض جمع كبار الصحابة فاستشارهم في العهد لعم بن الخطاب فكاهم
قال خيرا فدعوا عثمان بن عفان وأمنى هذا العهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده
بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر . ويؤمن فيها
الفاجر . أني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً فأن صبر وعدل
فذلك علمي به ورأي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت
ولكل امرئٍ ما كتب وسيعلم الدين ظلموا أى منقلب ينقلبون
ثم أمر بالعهد فقرئ على المسلمين وقد أطل عليهم فقالوا سمعنا وأطعنا
ثم نادي عمر فقال له (أني قد أنسى تخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عمر إن الله حفأ بالليل لا يقبله بالنهار وحقا في النهار لا يقبله في الليل .
وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضة ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت
موازينه يوم القيمة بأتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا
الآخرة أن يكون ثقلا . ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه
يوم القيمة بأتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا الآخرة
باطلاً أن يكون خفيفاً . ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة
وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يرغب رغبة يتنى فيها
على الله ماليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيده . ألم تر يا عمر إنما ذكر الله

أَهْلُ النَّارِ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ فَإِذَا ذُكِرُوهُمْ قَلَتْ أَنِي لَا أَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مِنْهُمْ .
وَإِنَّا ذُكْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ لَا هُنْ تَجَازُوهُمْ عَمَّا كَانُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِذَا
ذُكِرُوهُمْ قَلَتْ أَنِي عَمِلَ أَنِي مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَإِنْ حَفِظْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونُ غَائِبًا حَبِيبًا
إِلَيْكَ مِنْ حَاضِرِ مَوْتِي وَلَسْتُ بِمُعْجِزِهِ)

توفي الصديق رضي الله عنه وغسلته زوجه اسماء وابنه عبد الرحمن وكفن
في ثوبيه كما أوصى ودفن ليلاً في حجرة عائشة وجعل رأسه عند كتف رسول الله
ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمرو وعمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن
عبيد الله فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين ليل وعشرين ثلاثة وستون سنة
تتوالت هذه الأيام بأعماله فكانت في سلسلة الأيام من أفضل
العوامل في احراز الفضائل لم شعث المسلمين بعد فرقهم بردة الكثير من
العرب . جرد الجيوش على الدولتين العظيمتين المجاورتين بلاد الإسلام (الروم .
والفرس) دعاها الدعوة الدين أو الدخول تحت حكمه حتى يكون عدله
ومساواه عامين لجميع الأمم . اتخلص هاتين الامتين من ملوكيهما الذين يعدون
رعاياهم عبيداً ونفوسهم آلة وشهواتهم مهلاً عاد ضررها على الرعية سنة
وفرضاً . فهزت جيوشه بالنصر في جميع مواقعها

كانت حالة الخلافة الإسلامية إلى عهده (انه الخليفة) وسيدنا (عمر بن
الخطاب قاضيه) وسيدنا (أبو عبيدة أمينة) (وكتابه عمان بن عفان وعلى
ابن أبي طالب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم)

كانت ولائيات الإسلام في عهده عشرة لـ كل واحدة والـ
١ (مكة) وعليها عتاب بن أسيد الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢ (الطائف) وعليها عمان بن العاصي التيفي

- ٣ (صنعاء) وعليها جماعة من المهاجرين من بنى أمية
- ٤ (حضرموت) وعليها زياد بن لبيد
- ٥ (خولان) وهى قبيلة عظيمة تسكن اليمن وعليها يعلى بن منبه
- ٦ (زبيد) وعليها أبو موسى الأشعري
- ٧ (نجران) وهو موضع شهالى اليمن يقيم به قبائل من بنى الحمرث وعليه جرير بن عبد الله
- ٨ (البحرين) من شواطئ بلاد العرب المطل على الخليج الفارسي وعليها العلاء بن الحضرمي
- ٩ (جرش) وهو مخلاف باليمين وعليه عبد الله بن ثور
- ١٠ (دومة الجندي) وعليها عياض بن غنم وقاعدة أعماله الجدة وأمير جند الشام خالد بن الوليد القرشى المخرومى وأمير جند العراق المثنى بن حارثة الشيبانى

سیدنا عمر بن الخطاب رضی الله عنہ

هو عمر بن الخطاب بن نفیل بن عبد العزی بن رباح بن عبد الله بن قرط بن ر Zah بن عدی (بن كعب بن لؤی) بن غالب بن فهر المدّوی القرشی يجتمع مع رسول الله صلی الله علیه وسلم فی کعب بن لؤی . وکنیته أبو حفص . ولقبه الفاروق .

ولد رضی الله عنہ بعد الفیل بثلاث عشرة سنة وهو من أشراف قريش والیه كانت السفارۃ فی الجahلیyah . فإذا وقعت قریش فی حرب بینها أو بین غيرها أو نافرھم أو فاخرھم أحد کان هو السفیر فی أمرھم والنافر والمفاخر عنھم تربی على الشہامة والنجدۃ والجمیع الجahلیyah وکان من أكبر المعارضین للاسلام عند ظهوره ثم من علیه بالاسلام فکان من أكبر أسباب مزته بيركت دعوه صلی الله علیه وسلم (اللهم أعز الاسلام بعمر) فکان اسلامه فتحا . وهجرته نصرا . واما مته رحمة

أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة بعد أربعين رجلا واحداً ي عشرة امرأة فما دان بالاسلام حتى أشار على النبي صلی الله علیه وسلم بترك الاختفاء والتستر وإظهار الدين خرج النبي صلی الله علیه وسلم ومعه المسلمون صفين يقدم أحدهما عمر بن الخطاب (كانه قارعة القدرة العظمى) ويقدم الآخر حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلی الله علیه وسلم فلم يكن منتظراً أنكى في عيون المشركيين من هذا المظاهر يشق مصرأه ويجري صدورهم . يودون لهم من الأذى ما يودون وما هم بالغيه كان رضی الله عنہ نصیراً للدين بما أتاه الله من قوة البطش غير مستخف

بعمله ولا هياب لا جد كان الله قد اختار لسانه للنطق بالحق واختصه بذلك
ليقرع الأذان ويشق الحجب حتى انه عند ما أذن الله له بالهجرة الى المدينة قلم
يسلل لها خفية بل جاء الى الكعبة وأشرف قريش بفناءها فطاف سبعاً ثم صلى
ركعتين ثم أتى حلقهم واحمدة واحدة وصاح بعظامها : شاهت الوجوه .
وأخبرهم بحرثه وقال لهم : من أراد ان شكله أمه ويتم ولده وتترمل امرأته
فليلهني وراء هذا الوادي . فلم يجسر أحد منهم على اتباعه

حضر المشاهد كلها مع رسول الله من بدر اى تبوك (وهو من ثبت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان عجيباً في فعله و عمله حتى قال النبي
صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيها قبلكم محدثون ملهمون فان يكن في أمتي
أحد فانه عمر)

كان الله قد جعل الحق على لسانه وقلبه يقول به . وما نزل بالناس أمر
فقالوا فيه وقال الا نزل القرآن على نحو ما يقول عمر فوقيت مواقف كثيرة
أوصلها بعضهم الى عشرين وأشهرها مسئلة قتل أسرى بدر . ومسئلة الحجاب .
ومسئلة الحمر . ومسئلة الاستغفار . ومسئلة الصلاة على أبي .

هو أول من سمى أمير المؤمنين . وأول من كتب التاريخ المجري .
وأول من أخذ بيت المال وكان ايراده من زكاة المسلمين . وجزية أهل
الذمة . وخمس الغنائم . ومواريث من ليس لهم وارث من موئي المسلمين .
فكأن مطهراً من المظالم تقليعاً مما كانت الملوك تأخذنه من أممها ظلماً . وأول
من دون الدواوين لحصر أمباء الغزاة . وأول من سن قيام رمضان وأثار
المساجد في لياليه . وأول من عس الليل . وأول من عاقب على الهجاء . وأول
من جلد في الحمر ثمانين . وأول من حرم المتعة ونهى عن بيع أمهات الاولاد

وجمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات . وأول من اتخد الديوان وأول من مسح السواد وأول من حمل الميرة من مصر الى المدينة وأول من أخذ زكاة الخيل . وأول من اتخد الدرة وأول من استقضى في الامصار وأول من مصرها . اختط الكوفة ومصرها . والبصرة . والجزيرة . والشام ومصر . والموصل . وأول من اتخد دار المؤون ليعلن منها المنقطع . فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصالح من ذلك

وله من الـكرامتـ الفـريـةـ وـمـنـ أـشـرـهـ رـاـيـاـ وـأـعـجـبـهـ صـيـحـتـهـ وـهـ عـلـىـ المـنـبـرـ (يـاسـارـيـةـ الجـبـلـ) وـكـتـابـهـ نـيـلـ مـصـرـ وـابـطـالـهـ تـلـكـ العـادـةـ السـيـئـةـ وـقـطـعـهـاـ عـنـ أـهـلـ مـصـرـ . وـدـعـاؤـهـ عـلـىـ أـهـلـ العـرـاقـ وـقـدـ حـصـبـوـاـ أـيـرـهـ : اللـهـ قـدـ لـبـسـوـاـ عـلـىـ فـالـبـسـ عـلـيـهـمـ وـعـجـلـ بـالـغـلامـ الثـقـفـيـ يـحـكـمـ حـكـمـ الـجـاهـاـيـةـ لـاـيـقـلـ مـنـ مـحـسـنـهـمـ وـلـاـيـجـاـزـ عـنـ مـسـيـهـمـ . وـالـحـجـاجـ يـوـمـئـذـ مـاـوـلـدـ

وـأـكـبـرـهـ دـلـالـةـ عـلـىـ فـضـلـهـ وـأـشـدـهـ عـلـامـةـ عـلـىـ سـبـلـهـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ مـاـذـ كـرـهـ

بعـضـ الـمـؤـرـخـينـ (١) اـنـ عـمـرـ وـبـنـ العـاصـ خـطـرـ بـالـهـ حـفـرـ بـرـزـخـ السـوـيـسـ

لـاـتـصـالـ الـبـحـرـ الـأـحـمـ بـالـبـحـرـ الـأـيـضـ فـاستـأـذـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ فـنـعـهـ لـثـلـاـ تـعـيرـ

مـنـهـ الـأـفـرـنجـ الـبـحـرـ فـيـكـثـرـونـ بـالـشـرـقـ وـبـلـادـ الـمـغـرـبـ

(١) راجـعـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ كـتـابـ عـلـمـ الدـيـنـ صـحـيـفـةـ ٣٣٩ـ

﴿أعماله في خلافته﴾

لم يغب عن القاريء أنا تركنا جيش المسلمين (بابل) تحت قيادة بشير ابن الخصاچية الذي استخلفه المشتى حينما قصد المدينة للاقابة الصديق (كما ذكرنا في ترجمته) وقلنا ان نهر الفرات أصبح حداً لملكه فارس . وتركنا جيش المسلمين كذلك في حرب الروم باليرومك بعد هزيمة الروم عنها . وسنأخذ الآن في سرد ما افتتحت جيوش المسلمين في بلاد هاتين الممالكتين في مدة هذا الخليفة رضي الله عنه وأرضاه

﴿أمر فارس﴾

ندب الناس مع المشتى وأمر رعائهم أسبقههم انتداباً وكان أبو عبيدة بن مسعود وقال له وأوصاه وصيحة رجل دخل بين الأمم وطبائعها فقال له : ستقدم على أرض المكر والخدع تقدم على قوم تجرأ على الشر فعلموه وتناسوا الخير بجهلوه فانظر كيف تكون . احفظ لسانك ولا تفشن سرك حتى لا تكون

بكضبية

ثم أمر المشتى أن يتقدم إلى أن يلحق الجيش وأمره أن يستنفر من حسنة توبته من المرتدين فسار مسرعاً حتى وصل الحيرة في عشر وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين بعض اختلافات داخلية على من يليل ملوكهم ثم اتفقوا أخيراً على ولایة «بوران بنت كسرى» وأن يقوم بأمرها «رسم» حتى يجدوا رجلاً من بيت كسرى يصلح للملك فاستعد رسم لقتال المسلمين وجهز الجيوش فأرسل جيشاً إلى الفرات وجيشاً إلى كسرى (١) وأخر للاقابة المشتى . وأغرى الملاحدين

(١) كسرى بلد علي الشاطيء الغربي لدجلة بين بغداد والبصرة وعلى اثارها واستط

ان ينتقضوا على المسلمين خرج المشي من الحيرة الى خفان (١) وانتظر ابوعبيدة
حتى وصل بعد شهر فسار منها الى الفرس فهز مهم ولحقوا بكسكرا فقصدها
ابوعبيدة وقد كانت جيوش الفرس تلاحت فالتقى بهم أبو عبيدة وهزمهم
شر هزيمة وبث سرایاه وتجمع بما حواليه من الانهار واعتصم بعاقله حتى
جهز الفرس جيشا آخر تحت قيادة (بهم) المعروف بذى الحاجب ومعه
الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كاويان) (٢) طولها اثنى عشر ذراعا
في عرض ثمانية اذرع مفصلة من جلود خدشت بين المسلمين والفرس وقائم
على الفرات انتهت بهزيمة الفرس وتقدمت العرب حتى مكثها الله من سواد
العراق واجلاء الفرس عنها

تضييق الفرس من امتداد ايدي المسلمين لاخذ الجزية واستعمال
ما افستحوه من البلاد وزوال سلطتهم من غرب الفرات وضعف بلاد الجزيرة
وغير ذلك من الطوارئ التي تتبع المهزيمة والانكسار فقاموا عامه الفرس
وخاصتهم تدارك هذا الاضححال والزوال فاجتمعوا ورأوا من آل كسرى
رجالا اسمه «يرزجرد» فتوجوه ونادوا به ملكا عليهم فجمع القادة وسير الجيوش.
بلغ ذلك سيدنا عمر بن الخطاب فجمع جيشا عظيما تحت قيادة سعد بن
أبي وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاه
بوصية تنفذ في القلوب قبل الاذان فقال له . (يسعد بن أم سعد لا يفرنك

(١) ماسدة قرب الكوفة

(٢) راية فريدون أحد سلاطين العجم وفيما يقول الناس انه كان حدادا في عصر
الضحاك فلم يصبر على ظلمه فجمع الجلود التي كان يستعملها فى صناعته مترارا من هذه
الراية وثار على الضحاك فبعثه الاهلى ثم قتلوا الضحاك ولوه عليهم

من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله . فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس في دين الله سواء وهم عباده يتفضلون عنده بالعافية ويدركون ما عندهم بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمهم فالزمهم) . فسار سعد يقود هذا الجيش الشديد ويستأنس برأس أمير المؤمنين الشديد ومعه أهل البأس والرأي وأهل الجهد والصبر يضم اليه أقصيه وطلائعه ويجمع اليه مكيداته وقوته ويتأمل في عورات عدوه ومكاره مقاتلاته ويرهب عدو الله وعدوه حتى وصل الى « زرود » فبلغه وفاة المشتى من جراحه التي أصابته فجع سعد جيش المشتى وضم رجاله الى رجاله وعي الجيش ورتب المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وسار نزل القادسية (١) فأقام شهرًا لا يطيه عدو . ثم تراسل مع « يزدجرد » ملك الفرس وانتهى الحال على خروج رسم في مائة ألف أو يزيدون لقتال المسلمين

فلما علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رسم أرسل عمرو بن معدى كرب الزبيدي وطليحة بن خويلد الأسدى يستكشفان خبر الجيش فلم يسيرا إلا قليلا حتى رأوا سرح العدو منتشرًا على الطفوف فرجع عمرو وظل طليحة سأراً حتى دخل جيش الفرس وعلم حقيقة ما فيه ورجع تلاقى الجيشان ووقعت واقعة « القادسية » التي استمرت أيامًا وليلًا ولم يكن أشد على المسلمين من القميلة لنفار خيل العرب منها وأشدها ليلة المهرir التي حاربت فيه العرب والفرس من أذان العشاء حتى قام قاسم الخميري وترك المسلمين فيها الكلام فلا تسمع الا صوت الحديد كأنما ساحة القتال سوق القبور وانتهى الأمر

(١) قرية قرب السكوفة ينزل بها حاج السكوفة الآن

بـهـزـيـةـ الـفـرـسـ الـتـىـ لـمـ يـسـعـ بـثـلـهـاـ وـأـخـذـتـ تـلـكـ الرـاـيـةـ الـعـظـمـىـ وـقـتـلـ فـيـهـاـ رـسـتـ
مـعـ الـكـثـيرـ مـنـ مـشـاهـيرـ الـفـرـسـ وـقـوـادـهـمـ وـبـادـ عـسـكـرـهـ قـتـلـاـ وـغـرـقاـ وـأـصـبـحـ
أـمـرـ فـارـسـ بـعـدـ مـاـلـاقـتـهـ مـنـ عـرـبـ فـشـلـاـ لـمـ تـغـنـ عـنـهـاـ الرـجـالـ وـلـاـ الـافـيـالـ وـلـاـ
الـاقـيـالـ

مكث سعد رئيشه استراح جيشه ثم قام عازماً على فتح المدائن فسار
يفتح البلاد التي في طريقه ففتح (البرس) و(بابل) والله ينصرهم بالرعب
والفرس مدحورون لا هز لهم في واقعة القادسية في أسرع من لفترة الرداء وناهيك
بقتل من مليء عبا فهربت قوادهم . قصد أحدهم (نهاوند) والثانى (الاهواز)
وبقية المهزومين قصدوا المدائن فتتبعهم العرب لشردتهم وتشتيتهم ويفتحون
ما يلاقونه ففتحوا (كونى) و (ساباط) وصالحوا أميرها على الجزية ثم سار
الجيش قاصداً المدينة الغربية فرأى المسلمون ايوان كسرى يلوح امامهم أيضاً
ناصعاً فتقدروا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على مارواه مسلم عن
جابر بن معمرة ان رسول الله قال (عصبية) من المسلمين يفتحون البيت
ال ايضاً بيت كسرى أو آل كسرى) فقويت قلوبهم وعظمت هممهم وازاد داد
اقبالم واستاقت نفوسهم الى أن يكونوا تلك (العصبية) المعنية بالذكر في
حديثه صلى الله عليه وسلم فنادى ضرار بن الخطاب (الله اكبر) هذا ايضاً
كسرى هذا ما وعد الرحمن وصدق رسوله وكبار المسلمين وحاصروا المدينة
وفتحت القرى المجاورة . وقد جمعت الفرس المعابر الامبرة واحدة او
مخاضة لصلاح للعبور دل المسلمين عليها أحد هم فزعم سعد على قطعها . فأمر
فعبرت جماعة منهم (عدى) ليحمي الفراص حتى يعبر المسلمين . ثم أمر
المسلمين فعبروا فلم يلتقط الفرس الا والفراس محية والمسلمون يعبرون وقد

سقطت الفرس في أيديهم فهرب «يزدجرد» إلى حلوان (١) ودخل المسلمين المدينة من غير معارض ونزل سعد القصر الأبيض واتخذه مصلى وصلى وقرأ في صلاته قوله تعالى «كم ترکوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمه كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها وما آخرين» وأرسلوا البشائر والفنائس لا أمير المؤمنين فلما رأى رضي الله عنه ذخراً كثري قال (إن قوماً أدوا هذا لذوأمانة) فقال له على (إنك عفت فعفت الرعية) . ثم فتحت (جلاء) وترك يزدجرد حلوان هرباً وسار إلى الري وفتحت (تيكريت) و (نينوى) و (الموصل) و (راس بيضاء) و (هيت)

ثم مكثت «المدائن» قاعدة أعمال العراق زمناً حتى رأى سيدنا عمر في وجود العرب تغيراً وفي أبدانهم ضعفاً فأمر سعد أن يرتاب منزلة فاختار الكوفة (٢) بعد اختيار واختطت وبنيت دورها باللين وجمل الترج (الشارع الأعظم) ٤٠ ذراعاً وما بين ذلك ٢٠ ذراعاً والازفة ٧ أذرع وأسس مسجدها وصارت قاعدة أعمال العراق وتبع لها من أعمال الفرس الباب . وادریجان . وهمدان . والري . واصبهان . ومهان والموصى . وقرقيسae . وكالها في الجهة الشمالية

ثم فتحت «تستر» فتحها جيش البصرة . ثم السوس . وواقعة نهاؤند وتم الانسياح في بلاد العجم لضعف شوكة الفرس فاصبح سيدنا عمر أمير المؤمنين لا يخاف على المسلمين شيئاً من توغلهم في البلاد فعقد الألوية وسارت الجيوش حتى فتحوا تبريز و (الباب) وهو (الفاصل بين الفرس وأرمانيه) ودولة

(١) بلدة بينها وبين بغداد أربعة مساحات وهي تنتهي العراق شرقاً

(٢) ومعناها الرملة الحمراء المستديرة أو التي يحيط بها حصاء

الروسيا) وسار الاخفف الى خراسان ليلاً «يُزدجرد» الذي أقام (ببرو) يشير الفرس على المسلمين فبلغ (هراء) من بلاد الافغان فافتتحها وسار نحو مر والشاه جان وكتب الى خاقان ملك الترك والى ملك الصاغد وملك الصين يستمددها فلم يغناه شيئاً ثم افتتحوا . كرمان . وسجستان . ومكران . واتهوا الى دوين الهر الى الحدود بين الفرس والسندي
الى هنا انتهى ما فعله المسلمون بالبلاد الفارسية جئنا منه بتفصيرة ت ذلك على غايتها مفصلاً

لاشك ان الاشراق النبوى كان ملازماً ل المؤلاء الفاتحين والمدد الحمدى
يعدهم والا فكيف تبتدىء هذه الحروب سنة اثنى عشرة من الهجرة بفتح أول
بلد من بلادهم وهي (الالية) من حدود بلاد العرب غرباً وتنتهي الى ماوراء
النهر وببلاد السندي شرقاً والخليج الفارسي جنوباً وببحر الخزر وآرمينيه والروس
شمالاً في هذه المدة التي لا تكفى من تاداً يريد ان يتعرف طبيعة هذه البلاد
لشدة جسامتها

جاء (الهرمزان) المدينة ولقي سيدنا عمر بن الخطاب وقال له فيما
قال (يا عمر كنا وياكم في الجاهلية كأن الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان
الآن معكم غلبتمونا فقال له عمر انا غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا)
لم يذكر سيدنا عمر بن الخطاب غلبهم للعرب ولم يذكر السبب فانظر لهذا
الائتلاف والاتحاد في القلوب كيف جعلها قلباً واحداً تحرى برأ واحد وان
كانت في أجساد مختلفة

عم الدين الاسلامي جمع الحاذدين للصراط السوى والنجح القويم
وأخرج الناس من الظلمات الى النور ومن جور الملوك الى عدل الاسلام

اجتمع الفرس والعرب في وقائع كثيرة مشهورة ولم ينكسر لقوادهم راية . ولم يفل لهم جيش . ولم ير المسلمون في واقعة من الواقائع مساوين لا قرائهم في العدد والعدد بل كانت الفرس في كل واقعة أضعاف العرب . فما هذا الحال العجيب والنصر الغريب الذي لو أضيف إليه ما هو محقق باليقين في الدرس من المهارة في تعبية الجيوش وإحكام معدات الدفاع ووفرة الأموال والعلم بطرق الدسائس والخداع لعدت مغلوباتهم نادرة وغبة العرب معجزة . انظر لنور الإيمان الذي سطع فأزال كل ما يلحق النفوس من الجبن والذل . والخوف . وصرف الأيدي عن النهب والغارة . وانظر للقواعد الذين لا يخشون تهديداً ولا وعیداً لم يسلكوا بالامة مسلك الاهواء لأنهم لم يكونوا دخلاء يقولون بأفواههم ماليهم في قلوبهم . كانوا متفانين في حب الدين ليس لهم شأن الا اصر بالمعروف والنهى عن المنكر وترك الزهو والكبرياء وحب الدنيا هذه يد يضاء فعلت في الفرس مابين لك اصره فانظر لاختها كيف كان اثرها أيضا مع دولة الروم

قلنا في أول الكلام اننا تركنا المسلمين في حرب جيش الروم باليرموك بعد موقعتها الم Catastrophe وهزيمة الروم عنها وأمير الجند أمين الامة أبو عبيدة عاصم بن الجراح

بلغه رضى الله عنه ان مددأً أتى دمشق فحصرها المسلمين . أبو عبيدة من جهة و خالد بن الوليد من أخرى و دام الحصار سبعين ليلة حتى فتحت . وفتح بعدها . حمص . وحماته . والمعرة واللاذقية . وحلب . وقنسرين . حتى وصلوا إلى قرب انطاكية

ثم بدا سيدنا عمر أن يطوف على المسلمين في بلدانهم لينظر آثارهم فسار

عن المدينة ومعه غلام وبغير واستخلف عليه سيدنا على بن أبي طالب وقدم الشام
فسد فوجها ورتب صوائفها (١) وشوأيتها واستعمل سيدنا معاوية على دمشق
وعزل شرحبيل عن الاردن وقال ماعزته عن خيانة ولا جور ولكن أريد
رجالاً أقوى من رجال

ثم قيل له لو أمرت بلا فاذن فأذن فأمره فلم يبق أحد أدرك النبي
صلى الله عليه وسلم إلا بكى حتى بل حيته وعمر أشد الناس بكاء

ثم استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر وذكر له خبرها وأنها قوة
عظيمة لملكة الروم وكان عليها وال من قبلها يقيم بالاسكندرية . فسيره .
فقام لها بجيش كيف . ثم اتبعه الزبير بن العوام وفتحت وعقد أهلها على الأمان
ونزل المسلمون «القسطاط» واحتضروا حوله وأسس عمرو مدینته . وشيد مسجده
ثم سار إلى الاسكندرية واجتمع له بينها وبين القسطاط جماعة من الروم والقبط
فأنجحهم ثم وصل الاسكندرية وطلب من أهلها التزول على صلح مصر فلم
يقبلوا ففتحها عنوة وغم مافيها وجعلهم ذمة وارتحال الروم إلى القدس طينية
وأقام المقوس والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو وأبقى المقوس على
رئاسة قومه وكان المسلمون يشاورونه فيما ينزل من المهمات إلى أن توفي وكان
يقيم بعض الأوقات بأسكندرية وفي بعض الأوقات ينبع بمصر

وبفتح مصر انتهى مأفعله المسلمين أيضا مع الروم في مدة سيدنا عمرو .
أخذوا ولايتين عظيمتين . الشام . ومصر وجزء من الاناضول وبالاجمال أضعفوا
شوكتهم وأزالوا ملوكهم وأذلوا دوائهم

انظر لهذه الفتوحات التي أطاش أمرها الأحلام وحير الأفكار والأفهام

(١) (الشوائي والصوائف) هي السريات التي تحارب صيفاً وشتاءً

وتأمل لمنصب الخلافة الحقيقة في تلك الأيام وما يحفل جماعة المسلمين من حرية في دين وعلم في يقين وسعة في الوسائل المدنية الحقة والأمة فريدة العين بما تغنمها من نهضات الهم بالفتح والصلاح والأمور مستقيمة على مثل مادعا إليه الإسلام . ونوره ساطع على الديار التي بلغها أهلها والقلوب تقىض غيرة منه واللسنة تتدفق فصاحة به وكأنما المسلمون رباع يساقون إلى جدب فلم ينزلوا أرضا حتى يحيى الله موتها بهم وينفع غلتها بير كتهم النظر لمقام الخلافة مقام النبوة عن رسول الله تراهم شغلو لا بحراسة الدين وسياسة الدنيا مستمدوا لافعاله وأعماله وأقواله من كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . والامة باذلة له الطاعة في سرها وجهرها وهو لا يعتقد في نفسه انه أرقى درجة منها . يقول سيدنا أبو بكر (قد وليت عليكم واست بخلكم) والفاروق رضي الله عنه يقول (من رأى في اعواجا فليقومه) وحاله بين المسلمين في مالهم وجيابهم وخرابهم كوصى اليتيم ان استغنى استغفف وان افتقر أكل بالمعروف . وشغله بعد هذا النظر في طلبات الرعية وفقد أحوال البالسين من الأمة حتى لا يكون لأحد عليه حجة يوم لا ينفع مال ولا بنون فتراه يحمل الدقيق على ظهره ليوصله إلى الفقراء والمساكين او يدرك بالطعام صبية يتضاغون وأمهم تلهمهم حتى يناموا وهو رضي الله عنه (غلق الفتنة) كما قال صلى الله عليه وسلم : لا يزال بين المسلمين وبين الفتنة بباب شديد الفلق معاش هذا بين ظهورهم وأركان الدين قائمة . الصلاة الصلاة . امامية المسلمين في الصلاة راجعة إلى أرفع وظائفه . (والزكاة) القاطعة لكل احتيال بين افراد الأمة فلا سلب ولا سرقة ولا ضغينة تولدها عداوة . والحج من بقاع

الارض يجددون به للأمير عهدهم ويشهرون طاعتهم والصوم الذي به تهذب
النفوس وتدوق بها الاغنياء من ارة الفقر فترحم الفقراء . والحدود قائمة لا يختل
نظامها أبداً والجهاد على ما علمت من أخبار هذه الفتوى
انظر لموضع الشبه والزعمات الفكرية تجدها واقفة عند حمد سلامه
الاعتقاد . والفقه عبارة عن علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس
ومفسدات الاعمال وقوه الاحاطة بمحاربة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة
واسطلاع الخوف على القلب (ليتفهوا في الدين ولينذرروا قومهم اذا رجعوا
الىهم لعلهم يحذرون) . والتوحيد عبارة عن أن يرى الموحد الأئمه كلها من
الله عن وجل رؤيه تقطع النفأة عن الاسباب والوسائل وهكذا والناس في
شغل شاغل بنصرة دين الله والاجتهد في تعليم أمره عن المشاخص فيه .
ماذا يعده الدهر المؤون من البلايا والمصائب ينزل بها على المسلمين وهم في
أهنا أوقات حياتهم وزيادة عنهم وسلطانهم ؟ وبماذا تخرج الأيام عليهم وقد
ظفروا بكل ما شتهروا ونالوا جميع ما يبغوا فتحرمهم لذة ماذا قوا وتقطع عليهم
ما يتذوقوا ؟ أي مصيره تعددهااليالي افسادا لحفظها هذا النظام وسلبا للروح
هذا البقاء ؟

— مقتل سيدنا عمر بن الخطاب —

ليس بعد المصدقة برسول الله أعظم ولا كبر منها به قاصم الظهور وجائع النفوس
نزعت نفس الشقى أبو لؤلؤة الجبوسي نزعه كانت من أشأم الزعمات
على العالم الانساني . قوضت الاصل وخرمت العلاقة بين الصحب والأهل
ولا حول ولا قوة الا بالله

أَتَتْ مُصِيَّةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَانُوكُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِالْمُصَاصَبِ وَيَجْهُوكُمْ طُرُقُ
الْعَزَاءِ فِيهَا فَأَدْهَشْتُهُمْ فَهُمْ إِلَى أَنْتُمْ مَذْهَلُوكُمْ مِنْهَا أَكْثَرُكُمْ مَحْزُونُوكُمْ
أَصَيبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ مَا كَبَرَوْ سَمِعَ عَنْهُ يَقُولُ قَتَنِي أَوْ
أَكَلَنِي (الْكَلَبُ) حِينَ طَعْنَهُ أَبُو لَؤْلُؤَةُ . وَهُوَ غَلامٌ مَجْوُسٌ كَانَ بَعْنَهُ الْمُغَيْرَةُ
ابْنُ شَعْبَةَ وَهُوَ عَلَى الْكُوفَةِ لَمْ يَلْعَمْهُ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَالْأَعْمَالِ الَّتِي فِيهَا مَنْافِعُ النَّاسِ
فَضَرَبَ عَلَيْهِ مَا تَدْرِهُمْ فِي الشَّهْرِ فَاشْتَكَى إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ مَا خَرَاجُكَ
بِكَثِيرٍ فَانْصَرَفَ سَاخْطَا يَتَذَمَّرُ ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ سَأَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْيَ تَطْحَنُ
بَارِيعَ كَانَ أَوْصَاهُ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ سَأَصْنَعُ لَكَ رَحْيَ يَحْدُثُ النَّاسَ بِهَا فَقَالَ عُمَرُ
لَا صَحَابَهُ لَقَدْ أَعْدَنِي الْعَبْدُ ثُمَّ كَانَ مِنْهُ الَّذِي كَانَ مِنْ طَعْنَهُ بِخَنْجَرِهِ وَطَعَنَ كُلَّ مَنْ
يَرَى عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ يَيْنِنَا وَشَمَالًا حَتَّى لَقَدْ طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رِجَالَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ
ثُمَّ اتَّخَرَ

نَظَرُ عُمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ وَأَوْصَى بِوْفَائِهِ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا إِنْ يَدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ فَإِذْنَتْ لَهُ ثُمَّ قِيلَ لَهُ أَوْصَى يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَا أَتَحْمِلُهَا
حَيَاً وَمِتَّا أَنْ اسْتَخَلَفَتْ فَقَدْ اسْتَخَلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي (يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ) وَإِنْ أَتَرَكُكُمْ فَقَدْ
تَرَكْتُكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي (يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ فَأَوْصَى
بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَعْرَابِ وَاسْتَقْبَلَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأَرْضَاهُ

سیدنا عثمان بن عفان ﷺ

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشى بن قصى بن كلاب بن مررة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى الأموي

ولد في السنة السادسة من الفيل وأسلم قدماً وهو من أجابوا دعوة الصديق حين دعاهم للإسلام . وهاجر المجريتين الأولى إلى الحبشة . والثانية إلى المدينة . وشهد المشاهد كلها (إلا بدرأ) لشغلها بتبرير زوجته بنت رسول الله وأئسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنيمتها وزوجه بنته الثانية ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبى غيره ولذلك سمي ذا النورين فهو من السابقين الأولين وله خصائص جميلة منها انه هو أول المهاجرين . وأحد العشرة المشهور لهم بالجنة . وأحد السادة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض . وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن . (جمع الناس على مصحف واحد) .

وله أوليات . منها . انه أول من أقطع القطائع . وخفض صوته بالتكبير وخلق المسجد . وأمر بالاذان الاول يوم الجمعة . وأول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة . وأول من فوض للناس اخراج زكائمهم . وأول من اتخذ صاحب شرطة . وأول من اتخذ في المسجد مقصورة . مخافة أن يصيدهم ماأصحاب عمر (وما أغني حذر)

بويع له باخلافة بعد مادفن عمر بثلاث ليال والناس تستشير وتحتار الى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه في من يلي منصب الخلافة . ولا يخلو به رجل ويمثل بعثمان أحداً . وكذلك كان رأى أكثر أعيان الصحابة وأغلبية الشورى

شب عثمان رضى الله عنه على الاخلاق الكريمة والسير المحسنة
والحياء الذى خصه الله منه بأجل السهام وضرب فيه بأوفر الحظوظ والاقسام
حتى كانت تستحق منه الملائكة . كانت له اليد البيضاء في تجهيز جيش العسراة
إلى تبوك فقد أنفق من ماله ما لا يجود به غيره وحضر بئر (دومة) وتصدق
بها وكان رشاؤه فيها كرشاء واحد من الناس

زاد في مسجد المدينة ووسعه وبناه بالحجارة وجعل عمده من الحجارة
وسقفه بالساج وجعل طوله ١٦٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً وناهيك برجل
ماصرت به الجمعة منذ أسلم حتى اعتق فيها رقبة . كان عاملاً أميناً للخلفيتين رضي
الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وعمل في خلافته ست سنين لا ينقم
عليه أحد وكان أحب لقرיש من عمر بن الخطاب . لأن لهم ووصلهم
وفعل معهم خيراً

﴿أعماله في خلافته﴾

في حفظ القاريء اننا ذكرنا ما وصلنا اليه من أمر عسكر المسلمين
الفاتحين في مملكتي الروم والفرس في عهد الخلفيتين . الصديق . والفاروق .
ولنذك الآن مازاد على ذلك من الفتح في أيام الخليفة ذي التورين وما جري
في هذه البلاد

﴿الكوفة﴾

استفتح سيدنا عثمان في بدء خلافته باستعمال سعد بن أبي وقاص عليهما
عملاً بوصية عمر رضي الله عنه ثم عزله خلاف وقع بينه وبين ابن مسعود
الذى كان على خراج الكوفة . وعين بعده الوليد الأموي وعزل عتبة بن

فرقد عن (اذريجان) فانتقض أهلها فغرام الوليد وأغار على أهل (موقان) و (الطيلسان) ففتح وغنم صالح كور (اذريجان) وسيرجيشا إلى أهل ارمينية فشتهم وأقام واليًا على الكوفة حتى شرب خمراً وشهدت عليه جماعة فأفتقى على رضي الله عنه بعزله بعد جلده فعزله عثمان وجلده وولي مكانه سعيد بن العاص فقبلها على كره لأنه من أحسن بالفتنة هناك خصوصاً قد حمله عثمان رضي الله عنه على تفضيل أهل السابقة . والقدم . ومن فتح الله على يده تلك البلاد فشت القالة في الكوفة في حق سيدنا عثمان وسعيد عامله رضي الله عنهما . ثم سار الكوفيون لفتح (طبرستان) ففتحوها فلما بلغوا (اذريجان) تلاقوا بجيوش الشام وكانت بليدة حب الرئاسة دبت في النفوس واستقرت في الصدور بسبب التنافس في الأراضي . فاختصم رجال الجيش . ثم وقع من الكوفيين ما وقع من الاستخفاف بأولياء أمورهم وكثرة وقائهم فحملت رؤساؤهم إلى الشام لمعاوية رضي الله عنه فلم تفدهم نصيحته ببعثوهم إلى (حمص) لعبد الرحمن خالد بن الوليد فأدبهم . ثم اتفق أهل الكوفة على خلع سعيد نخلع وتولى أبو موسى وبقي مع أهل الكوفة يناديهم ويذاعونه حتى مات سيدنا عثمان .

﴿ البصرة ﴾

وكان والي البصرة « أبو موسى الأشعري » فعزله أيضاً وولي عبد الله ابن عامر وبعد قليل انتقض أهل فارس على أميرهم عبد الله وقتلوه ثم غدرت أهل « اصطخر . وخراسان » فسار إليهما عبد الله بن عامر وصالح أهلها ثم انقل لغيرها من البلاد حتى مكن الله الأمان في تلك الجهات وبينما هو كذلك وإذا بعبد الله بن سبا اليهودي نزل على حكيم بن جبالة العبدى بأراء غير مقبولة فأُوغر الصدور على سيدنا عثمان ثم طردوه فدار الامصار حتى أتى مصر وكان

من أكابر الأسباب التي دعت لشق الطاعة فيها والافتراق والاختلاف

﴿ الشام ﴾

أما الشام فقد كان جمعها في أول خلافته رضي الله عنه لمعاوية بن أبي سفيان فقام بالغزوات البرية والبحرية حتى بلغ عمورية وتمكن من الحصون التي ينبع منها وبين طرسوس وانطاكية ثم افتتح (جزيرة قبرص) وكان المستعمل على غزو البحر عبد الله بن قيس ففاز خمسين غزواً لم ينكب فيها ثم قارب طليعة فانتهى لمرأة من الروم جاءوا فقتلوه وبينما الحال كذلك خرج أبوذر الغفارى في الشام بمذهب يشبه مذهب الاشتراكيين (استغفر الله العظيم) الآن لأنه كان ينادى يامعشر الاغنياء واسوا القراء وكان يستدل بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والنحضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمحى عليها في نار جهنم فتكلوى بهاجياهم وجنوبيهم وظهورهم هذا ما كنتم لا تنسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فشكى الاغنياء ماليقونه لمعاوية وحق لهم أن يشكوا لأن أول واجب على أهل السلطان تأمين الناس على حياتهم وأعراضهم وأموالهم وهذا الحال من أكبر مواضع الخوف فكتب إلى عثمان رضي الله عنه في شأنه بما كتب فطلب منه أن يشخصه إليه فلما وصل المدينة ولقي سيدنا عثمان رأى الأولى به أن يسيره إلى الربذة (١) فأقطعه قطعة من الإبل وأقام منفردًا إلى أن مات

﴿ مصر ﴾

أما مصر فقد كان فيها فاتحها عمرو بن العاص فعمله سيدنا عثمان على الجندي وولى عبد الله بن سعد خراجها فلم يتلقا جمع سيدنا عثمان لابن سعد الخراج

(١) موضع قرب المدينة

والجند وعزل ابن العاص عنها ثم رأى ان يغزو أفريقيا فسير جيشاً للغزو فيها
وفتح ماشاء الله أن يفتح وقتـل جرجير ملكها وما كاد هذا الحال يتسع
ويستقر حتى وصلها عبدالله بن سبأ يحمل أسباب الفتنة ودعوى الشر كـما
سيجيء اليك

﴿ فصل ﴾

تأمل تجد في كل مصر من الامصار بادرة كأن الدين وقع في يد
من لا يفهمه أو فهمه وتعالى فيه أعلم يمزح حبه بقلبه أو امترزح ولكن ضيق
عقله ضل عن تصريفه . أو كما افتكت من المسلمين العزيمة الأصلية أو اختلت
دعائم الاعتقاد القديم فاما إفراط باسم الدين كمقالة أبي ذر الغفارى التي لاتنطبق
على مصالح البشر وأما تفريط كالكلام في التسفير والانحراف عن سيدنا عثمان
رضى الله عنه كدعوى عبدالله بن سبأ (والعياذ بالله)

يعجب الانسان ان اهل الدعوة للخير أصبحوا وليس لهم قدرة في
استعمال أي ضرب من ضروب القوة في حمل الامة على الآداب الدينية كأن
نورها الذي كان اخترق القلوب نفذ منها

ساعت حال أمة انتقل بأسرها من أعدائها لنفسها فهي أقرب الى الفوضى
من الاصلاح وادعى للتفرقة من الالئتم والسبب العظيم لهذا البلاء الجسيم
هي الفتنة لعن الله مثيرها . ولذلك قال تعالى (الفتنة أشد من القتل) وقال
(واتقوا الفتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقيل في الاثر (الفتنة
نائمة لعن الله من أيقظها)

قلنا ان سيدنا عثمان ولـى الخلافة واستمر ست سنين لا ينقم الناس عليهـه
شيئاً وانه لأـحب الى قريش من سيدنا عمر بن الخطاب لأن عمر رضى الله

عنه كان شديداً عليهم فلما وليهم عثمان لأن لهم ووصلهم ثم تواني في أمر بعضهم لما رأه فيهم .

اضطررت حالة ظهور القالة وفسو المنكر في الامصار ان يستعمل عليها اقرباؤه وأهل بيته في الاست الاواخر من عهد خلافته لاختصاص أولئك به أكثر من غيرهم فكان هذا العلاج من دواعي استفحال الداء وزيادة الانحراف عن باب الخلافة

استكملاً لفتح الأمة . واستكملاً للملك . ونزل العرب بالأمسار على حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكونية ومصر فالمحتصون بصحابة رسول الله وهم المهاجرون والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم يمتنون بذلك ويترفون به (ونعم الشرف) وسائر العرب الذين كان لهم في الفتوحات قدم يرون لأنفسهم فضلاً ويفخرون به (وحق لهم الفخر) . بنيهم لذلك وأفتقهم لمعنى التفضيل والسابقة الغلاق بباب الفتوح وتناصي ذلك الحال وذل العدو وزواله واستفحال الدعوة الإسلامية لهم وعظم ملوكها فيهم فأخذت عروق الجاهلية تتبيض وأنوف نفوسهم تشمخ .

وافق ذلك أياماً من أواخر عهد سيدنا عثمان وقد كانوا أخذوا عليه قبلها اخراج أبي ذر الغفارى إلى الربذة (وقد سمعت خبره) وزيادة النداء الثالث يوم الجمعة (وانما فعله لكثرة المسلمين وانتشارهم في أنحاء المدينة) واتمامه الصلاة في مني وعرفة وكان الامر في عهد رسول الله والخلفتين على القصر . (وعذره في ذلك ان حاج المين جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاته رضى الله عنه فلم يرض بذلك لأن المخذل عبارة أهلاً وله بالطائف مال) . وتنازله لمروان بن

الحاكم عن خمس مفاصم أفريقية ولم يمنع الشرع ان ينفل من شاء من المسلمين وقد كان رسول الله ينفل . نعموا هذه الامور على سيدنا عثمان ولم يكن فيها ما يشينه ولم يخرج في شيء منها عن حدود الشرع ولكن أولئك قوم بطروا فطلبوا الانفسهم ماليس لهم فحققت عليهم العقوبة

قال الامام العيني في تاريخه عقود الجمان (وقد ذكر السبب في ذلك)
ما معناه روى أرباب السير منهم هشام . والواقدى . وسيف . وغيرهم عن
عقبة عن يزيد النقعنى . كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صناعة وأمه
يهودية سوداء أسلم في أول خلافة سيدنا عثمان بن عفان وكان قصده بوار
الاسلام . كان يتنقل في البلدان يحاول الفتنة فطاف الحجاز والشام والعراق
ومصر وطاف كورها وأظهر الامر بالمعروف وهو ينفر الناس من عثمان
نخرج معه جماعة من مصر من أهل خريتا وهو أول وقد قدم المدينة يحاسب
سيدنا عثمان على أعمال عمالة الامويين بالأمسار

دارت رحى الفتنة في المدينة وملؤها كلاما في حق أمراء الامصار
وبعث سيدنا عثمان الى عمالة ان يوافوا الموسم فقدموا عليه وهم عبد الله بن
عاصم امير البصرة . وعبد الله بن سعد امير مصر . ومعاوية ابن أبي سفيان
امير الشام وبعد كلام كان معهم استشارهم في تسكين هذه الفتنة فقال عبد الله
بن عاصم (اشغلهم بالجهاد) . وقال ابن سعد (استصلاحهم بالمال) . وقال معاوية
(اجعل كفایتهم لأمرائهم وانا أكفيك الشام) وقال عمرو (أرى انك قد لنت
ورضيت عليهم وذديهم على ما كان يصنع عمر فأرجى ان تلزم طريق صاحبيك
فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين) فقال سيدنا عثمان قد سمعت كل
ما أشرتم به ولكل أمر باب يؤتى منه . ان هذا الأمر الذي يخالف منه على هذه

الأمة كائن . وان بابه الذي يغلق عليه ليفتح فنكففة باللين الا في حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد على حجة وقد علم الله ان لم آل الناس خيراً وان رحى الفتنة دائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحرها . سكنا الناس . وهبوا لهم حقوقهم فادا تعوطي حقوق الله فلا تذهبوا ثم نفر ونفر الامراء الى بلادهم

اما أصحاب الفتنة الناقون على عمال الامصار المنحرفون عن عثمان فلم يرتدعوا عن غيりهم وجاءتهم كتب من المنحرفين بالمدينة يقولون لهم فيها اقدموا علينا فان الجماد عندنا فاتعد جميعهم شوال يخرجون فيه مظاهرين الحج . اجتمع الكل بالمدينة ٥٠٠ من مصر وعليهم الغافق بن حرب . ومثلهم من الكوفة وكذلك من اهل البصرة . وكل هذه القلائل متفقة على الانحراف على عثمان (مختلفة فيمن يتولى الخلافة بعده) لـ كل منهم رأى وهو فالـ كوفيون يريدون طلحة بن عبيـد الله . والـ بـصرـيونـ الـ زـيرـ بنـ العـوـامـ . والمـصـريـونـ «ـعلـيـاـ»ـ بـخـاءـ كـلـ قـبـيلـةـ لـمـنـ هـمـ فـيهـ هـوـيـ وـسـلـمـواـ عـلـيـهـ وـعـرـضـواـ عـلـيـهـ أـصـرـهـ وـأـتـىـ أـهـلـ مـصـرـ «ـعلـيـاـ»ـ فـسـالـمـواـ عـلـيـهـ وـعـرـضـواـ عـلـيـهـ أـصـرـهـ . فـصـاحـ بـالـمـصـريـينـ وـطـرـدـهـ وـقـالـ لـقـدـ عـلـمـ الصـالـحـونـ اـنـكـ مـلـعـونـونـ عـلـىـ لـسـانـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـكـذـلـكـ قـالـ طـلـحـةـ وـالـزـيرـ . ثـمـ اـسـتـقـرـ الـحـالـ عـلـىـ الـاذـعـانـ بـاـ طـلـبـوـهـ مـنـ اـعـفـانـهـ مـنـ الـعـمـالـ الـذـيـنـ يـطـلـبـوـنـ عـزـهـهـمـ وـاسـتـعـمـلـ عـلـىـ مـصـرـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـكـتـبـ لهـ عـهـدـهـ وـخـرـجـ مـحـمـدـ وـمـنـ مـعـهـ يـرـيدـوـنـ مـصـرـ وـانـحـرـفـ الـجـمـيعـ مـظـاهـرـينـ

الرجوع

لم تفرق اهل المدينة الا والتکبير في نواحيها وقد أحیط بدار عثمان ونودى من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيتهـم واستغربوا من دجـوعـ

الثوار بعد الاذعان وجاء محمد بن مسلمة المصريين وقال لهم ما الذى ارجعتم
 بعد ذهابكم فقالوا أخذنا كتابا من البريد مع خادم عثمان لعامل مصر يأمره
 فيه بقتلنا فسأل البصريين عن مجئهم فقالوا النصر اخواننا وكذلك قال
 الكوفيون فقال كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم من صاحبه على مرافق
 حتى رجعتم علينا جميعا (هذا أمر أبرم بليل) فقالوا أجعلوه كيف شئتم
 لا حاجة لنا بهذا الرجل ليتعذرنا فأخذوا منه الكتاب . فإذا هو من سيدنا
 عثمان الى عبدالله بن أبي سرح . يقول له فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان
 فاحتل في قتلهم . فقالوا لهم وكيف اتصل بكم هذا الكتاب قالوا بينما نحن
 مع محمد بن أبي بكر على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا بغلام أسود على بعير
 ينبط البعير خطأ أنه رجل يطلب أو يطلب قتلنا له ما قصتك وما شأنك كذلك
 هارب أو طالب فتجلجلج ومرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا
 غلام مروان فقتلناه فوجدنا معه اداوة يبست فيها شيء يقلقل فشققناها فإذا
 فيها ذلك الكتاب . فلم يبق أحد من أهل المدينة الا حق على سيدنا عثمان
 وسؤاله في ذلك فقال والله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال «على» ومن
 معه من كبار الصحابة صدق عثمان فقال المصريون اذاً من كتبه فقال عثمان
 لا أدرى قالوا فيجيئنا عليك . ويبعث غلامك . وجعل من ابل الصدفة .
 وينقض على خاتمك . ويكتب الى عمالك بهذه الامور العظيمة وأنت لا تدرى .
 قال نعم قالوا ماؤت الا (صادق) او (كاذب) فان كنت كاذبا فقد استحققت
 الخلع لما أمرت به من قتلنا وان كنت صادقا فقد استحققت الخلع لضعفك
 عن هذا الامر ولا ينبغي ان يترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه
 فالخلع نفسك فقال لا أخلع قيضاً لبسنه الله

امتد الشقاق بقوة سلطان المغالبين فلم يلهم الله أحداً إن يتحقق أمر هذا الكتاب ويبين للناس ما اختلفوا فيه ويكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه. أو يتذكر في كيفية رجوع هذه الفرق معاً بعد افتراقها وبعد سلوكها طرقاً مختلفة. أو يكشف الغطاء عن ذلك السُّم السارى من قديم الذي دعى مثل عبد الله بن سبأ لخروج والتجول في الامصار. أو يوفق الله جماعة الصحابة إلى الوقوف أمام هذه الفتنة وقد كسرت عن نابها. بل ضاع السداد وضعف الرشاد وقامت نزعة الحرب بين أهل الدين وقد كان اطفاء مثل هذه النار من أسهل الأمور قبل ذلك على أيِّ رجل من الجهود الإسلامية دافع سيدنا عثمان رضي الله عنه كثيراً عن نفسه وكتب للناس كتاباً قرأه عليهم ابن عباس يوم التروية وأكثراً من الرضوخ إلى مطالبهم وكلما سدوا باباً فتحوا غيره. حتى منعوا عنه الماء فإنه على رضي الله عنه فقال يا إيه الناس كيف تقطعون الماء والماءه والروم وفارس لتأسر وتطعم وتسقي فقالوا والله ولا نعمه عين

ثم أن الثوار منعوا الناس عن مخالطيته ومكالمته وقصدوا باب داره وحاصروه فقاتلهم جمُع من أولاد الصحابة فأمر عثمان بالكف عن القتال (انظر إلى وazu الدين الذي كان في نفس هذا الخليفة رضي الله عنه جعله يؤثره على أمور الدنيا وان أفضى ذلك للهلاك وحده دون الكافية فمنع المقاتلين عنه) ثم جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فأبى ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظاً لخلافة التي بها حفظ الكامة ولو أدى ذلك هلاكه ثم أحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله مارأى

عن تلاوته ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهداً فنا صابر عليه ولم يحرقو الباب الا وهم يريدون اعظم منه وأصر هم بالانصراف ثم دخل على عثمان الدين كتب عليهم الشقاء فقتلوا هذه النفس الزكية
قتلوا خليفتهم . وزوج بنتي نبیهم . ذى النورین . قتلوه ظلم . فقاتلهم ظالم .
وحاذه معذور . مات شهيداً بشراً بالجنة على بلوى واختبار بعد السب والتعطيش
والحصار الشديد والمنع من القوت . واطنوا (١) أصبعين من أصابع زوجته
ولم يكن مافعله من تجهيز جيش العسرة وحمد رسول الله مسعااته وقوله له ما على
عثمان بن عفان ما عمل بعد اليوم ولا على احتجاجه عليهم ولا اخمامه رادعا لهم
ولا كسراما من غربهم حتى وطئوا أضلاعه بعد موته وألقوا على التراب جسده
بعد سحبه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نعم . قد قرر الاسلام العبودية لله وحده . والحرية في ضمن دائرة الشريعة
المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات واطلاق الارادة والتفكير من سلطة
كل زعيم وسيطرة كل رئيس ومقدمة ذلك ان يكون المسلم عبداً كاملاً لله
حراً كاملاً بالنسبة لما سواه

نعم . كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي قائلين
له هل هذا شيءٌ قلته من عندك يا رسول الله . أو نزل به وحي فأنا قال هو
من عندي جاؤا بما عندهم من الرأي وربما راجع النبي الى رأيهم كما قد جرى في
بعض الغزوات والأمور المعيشية وقوله صلى الله عليه وسلم (أنتم أعلم بأمور
دنياكم)

نعم . وقع أبلغ من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم طعن سواد بن غزية

(١) أطن أصبعه قطعه

(١) بقدح في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال قدأ وجعنتي
فأقذني فكشف له عن بطنه وأذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده
فليطلبه وإذا كان نحو ضرب فليقتض منه . وأذن لرجـل ان يضرـبه حين
ادعـي انه ضـربـه يومـا فقال اتنـى كـنت عـارـى الكـتف او الـظـهر فالـقـ الرـداء
عن عـاقـه الشـرـيف . وشـأنـ الرـجـلـينـ انـ يتـسـحاـبـهـ ويـتوـصـلاـهــذاـ الشـرـفـ
الـعـظـيمـ . نـعمـ . انـ الصــدـيقـ . والـفـارـوقـ . اقتـديـاـ بالـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـالـيـهـ وـسـلـمـ فـ
مـثـلـ هـذـهـ الـاعـمالـ فـأـوـقـفـ سـيـدـنـاـعـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ «ـعـلـيـاـ»ـ معـ رـجـلـ مـنـ آـحـادـ
الـيـهـودـ لـمـحـاكـمـةـ فـعـاتـبـهـ (ـعـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ)ـ بـعـدـ الـحـاكـمـةـ بـأـنـ لـمـ يـسـوـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ
خـصـصـهـ . كـنـاهـ هوـ . وـسـحـىـ ذـاكـ وـفـيـ التـكـنـيـةـ تـعـظـيمـ . وـرـاجـعـهـ اـمـرـأـ وـهـوـ
عـلـىـ المـنـبـرـ فـمـسـأـلـةـ تـحـدـيدـ الـمـهـرـ مـحـتـجـةـ بـآـيـةـ (ـوـآـيـتـمـ اـحـدـاهـنـ قـنـطـارـاـ فـلـاـ تـأـخـذـوـاـ
مـنـهـ شـيـئـاـ)ـ فـقـالـ أـصـابـتـ اـمـرـأـ وـأـخـطـأـ عـمـرـ

كان هذا كله وحسن التربية شائع في الأمة على منهاج الكتاب والسنة وكل فرد حاصل على دقائق الأدب . والتهذيب علماً وعملاً وتخلقاً وتحفظاً جار على أكمل نعْط . وطهارة الظاهر تحاكي طهارة الباطن صافية عن الـكدر .

والآداب راقية بذويها وأهلها إلى مصاف الملك فضلاً عن البشر
أهين بهذا التطرف والغلو في الأفشتات مقام الخلافة الذي كان حفاظ
الدين. وكانت تلك الصنمة الأولى. أهين ذلك المنصب الشريف الذي كان
إليه المرجع في حل المشكلات. والضياء في ظلمة الشبهات. واحتلبو بذلك دما
لاتطير رغوته. ولا تسكن فورته. ولا يكل طالبه. وكيف يضيع دمه وقد انفصمت
 بذلك عروة الوحدة وانحلت رابطة الاجتماع ونجم عن التفرق في الخلافة

الافتراق في الدين نفسه فآلت الأمة إلى الشقاق وافتقرت على مئات من المذاهب المختلفة وابتلي الدين وأهله بالمنازعة التي انقضى الزمان والأمة تتكلف علاجها ولا تمانع عليه وصدق «علي» رضي الله عنه في قوله «إن قتلته ثمموا في الإسلام ثلثة لا تسد إلى يوم القيمة». ومن يرد التهدى توحدوا وافتراق إلى الاجتماع وهو من وظائف الخلافة التي حدث عنها هذا الشقاق

من غصّ داوى بشرب الماء غصته فيكيف يصنع من قد غص بالماء هذه نتيجة الخروج على أولياء الأمور وأهل السلطان. فليندب المسلمون حظهم بعد هذه البلوى التي أصابت مستقر الحقيقة بسبب الاسراف في حرية الدين والفكر إلى هذا المقدار وجعل من زاياه الشريفة من العوادي عليه بسبب سوء الاستعمال. ولتيق الله كل واحد من الزعاف الذين لعبت بهم الأهواء وأشارت قلوبهم الأعداء بليل هذه الظنون السيئة

استقامت الدنيا في عهد الصالحين ففتحت الفتوحات العظيمة التي لا نزال نفاخر بها الأجيال المتأخرة ولو استمر الحال على ما كان لأمسى الدين الإسلامي نطاقا على الكورة الأرضية لا بدعاوة الغلبة والقهر على لسان السيف كما يدعون ولكن بدعاوة الحجة والبرهان على لسان الحق أن كانوا يعقلون

هذه بعض آياته . اتفاق ووافق . وارادة سامية . وحرية فكر مطلقة . ومحافظة على الجمار والجوار . ومحبة اتصالات بأعمق القلوب . وجد في العمل وكراهة القعود والكسل . وميزان قسط قائم بالحق بين الناس . وبصيرة في كل شيء . وقواعد عدل تمنع الاسترقاء . وتحظر الاستعباد . وحفظ عهود وصدق ووفاء . وتحريم لافواحش ماظهر منها وما بطن فلا غدر ولا خيانة . ولا خديعة .



سیدنا علی بن ابی طالب

هو علی بن ابی طالب بن عبد المطلب بن هاشم الماشمی القرشی بن عم رسول الله صلی الله علیه وسلم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهو أول خلیفۃ ابواه هاشمیان . ولد رضی الله عنه فی السنة الشانیة والثلاثین من میلاد رسول الله صلی الله علیه وسلم وبویع له بالخلافة لخمس بقین من ذی الحجۃ سنة ثلث وثلاثین فأقام بها رضی الله عنه نحواً من خمس سنین لم یعیف له فیها يوم وکان أمر الله قدرًا مقدوراً بعث علیه الصلاة والسلام و «علی» رضی الله عنه دون البلوغ . وکان معه فی منزله فاهتدی بهدیه وسلک سبیله . ولم یتدنس بدنس الجahلیة . ولم یعبد وثناً قط . فهو أحد السابقین الى الاسلام وأحد العلماء الربانیین . والزهاد المذکورین . وانخرطباء المعروفین . وأحمد من جمع القرآن الکریم . وَاکرم أهل العباء والمباهلة وأخ رسول الله فی المؤاخاة . (آخر الترمذی عن بن عمه قال آخی رسول الله بین أصحابه بخاء «علی» تدمع عیناه فقال آخیت بین أصحابك ولم تؤاخ بینی وبين أحد فقال النبي أنت آخی فی الدنيا والآخرة شهد الغزوات کالها (الا غزوة تبوك) فأنه استخلفه النبي علی المدینة فلما أسف رضی الله عنه قال له النبي صلی الله علیه وسلم (أما ترضی أن تكون مني بمنزلة هارون من موسی) . كان له القدم الثابت فی جميع الغزوات . فهو أول المبارزین يوم بدر . وأول الثنایین يوم أحد وحنین . أصابته فيـه ستة عشر ضربة . وأول الفاتحین يوم خیر . وأول السابقین يوم الفتح . انبأه عنه صلی الله علیه وسلم فی الأقامة بعد هجرته بمکة أياماً اُدی فیها

الامانات والودائع وقام بالوصايا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم افتداه بنفسه ونام على فراشه والمشركون يظنون انهم يحاصرون النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبهوا ووجدوا عليا رضي الله عنه . ثم أنابه أيضا في قراءة أوائل التوبة في موسم الحج ايدانا ببراءة رسوله من المشركين

ماذا يقول القائل في هذا الامام . وكل وصف منسوب الى العجز لقصيره عن الغاية منها انتهى به التول وكفى بشهادته صلى الله عليه وسلم بأنه باب مدينة العلم دليلا على مكانته السر الذى فيه . فهو أول في العلوم . أول في الشجاعة . أول في السخاء . أول في الحلم والصفح . أول في الفصاحة . أول في الزهد . أول في العبادة . أول في التدبير والسياسة . أشد الناس رأيا وأصحهم تدبيراً لولا تقاه لكان أدهى العرب

كأنما أفرغ من كل قلب . فهو محظوظ الى كل نفس . ظهر من حجاب العظمة بعاليه فاستولى الا ضطرب على الاذهان والمدارك وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشريعة . أهل الذمة تحبه والفلسفه تعظمه . وملوك الروم تصوره في بيوتها وبيتها . ورؤساء الجيوش تكتب اسمه على سيفها . كأنما هو فالخير وآية النصر والظفر

ينقطع الحاج مع هذا القضاء الحالى الذى ألم بالامام رضي الله عنه في أيام خلافته فلم يستطع ان يأتى فيها بشئ مع هذا المرفان العظيم وأصبحت أيام خلافته قضاء (النجاة من تبعته السكوت عنه)

لابد للقارئ أن يستحضر في ذهنه الحال الذي كان فيه المسلمون بعد قتل خليفتهم المظلوم ويشخص في فكره حالة الحيرة التي أطلق لها الذهول العنوان بخالت في الضمار بما يسعه الامكان . فوضى لا ملجأ ولا سند . حيارى لا قوة ولا عضد

واماهم فتنة كانت شاكة من كل طرف . والاضطراب قد ألم بمستقبلهم
وماضيهم وحاضرهم
قتل سيدنا عثمان كما علمت فبني (الغافقي بن حرب) أميراً على المدينة
خمسة أيام . وعلى ممتنع عن البيعة . وأتى السكوفيون الزبير . والبصريون
طلحة فامتنعوا أيضاً . وأهل الامصار رأوا ان رجوعهم الى الامصار بغیر امام
يوقع الخلف والفساد فبغىوا لهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً .
وهرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام ومعهم قيس عثمان وأصحاب زوجته
فأنثروا الشعور وهيجو الأفكار ونصبوه على منبر دمشق وقامت الناس تطلب
القود . وطار الخبر لمكة واتصل بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي عائذة .
ونادوا في المدينة برجوع الاعراب الى بلادهم فأبوا

رأوا ان هذا الامر لا يتم الا بمعايعة الزبير وطلحة فذهب اليهما جماعة
وأتوا بهما بمعايعاه . قال قوم (كرها) وقال قوم . اشتربطا عليه اقامة الحدود .

(يريدون القود من قتل عثمان) ثم قام الناس فبایعوه وتخلف عن بیعته جمع كبير من أکابر الصحابة في المدينة . كسعد بن أبي وقاص . وسعید بن زید . وعبدالله بن عمر . وأسامة بن زید . والمغيرة بن شعبة . وعبدالله بن سلام . وقدامة بن مظعون . وأبی سعید الخدري . وكعب بن عبارة . وكعب بن مالك . والنعماں بن بشیر . وحسان بن ثابت . ومسلمة بن خلدد . وفضالة بن عبید وغيرهم رأى الإمام رضي الله عنه ان بیعته تمت بالاغلبية فقام وخطب الناس ودعاهم الى الخير وحذرهم الشر وبدأ في اعماله

﴿أعماله في خلافته﴾

بدأتغيير عمال الامصار (ولم يسمع رأي القائلين باستيقائهم حتى يستقر الامر) وكيف لا يبدأ بهم وهم داعية الفرقة وسبب الشتات ومن نجم من بينهم الاختلاف فبعث على (البصرة) عثمان بن حنیف الانصاري بدل عبدالله بن عامر . وعلى (الكوفة) عمارة بن شهاب بدل أبي موسى الاشعري وعلى (اليمين) عبید الله بن سعد . وعلى (الشام) عثمان بن حنیف بدل معاوية ابن أبي سفيان . وعلى (مصر) قيس بن سعد بن عبدة بدل عبدالله بن سعد . فاما صاحبها فرقه دخلت في الجماعة . وفرقه اعزلت وقالت لانکون مع « على » الا ان قتل قتلة عثمان وفرقه قالت نحن مع « على » الا ان استقاد من اخواننا (١)

(١) انظر لهذا الخلاف في الافكار فرقه ترى لزوم القود من المصريين الذين اشتراكوا في قتله وفرقه ترى العفو

ولاق صاحب (الكوفة) وهو قريب منها طليحة بن خويد الاسدي فقال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فرجع وقابل صاحب الشام عند تبوك خيلا عليها رجال من الشام فردوه وامتنع سيدنا معاوية عن مبايعة «علي» لانه ظن فيه هوادة (١) في نصرة عمان على قاتيه ومعاوية يرى لنفسه حقاً عظيماً في القصاص من قتلة عمان لانه ولية والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل) ولم ير في الامتناع عن البيعة خروجاً على الامام لمعدم انعقاد البيعة لتخلف كثير من أكابر الصحابة عنها ولم تكن باجماع الحل والعقد فأرسل رجلاً بطاومار ليس فيه شيء من الكتابة وعنوانه (من معاوية . الى على بن أبي طالب) وأمره اذا قدم المدينة ان يرفعه ليعلم الناس انه مخالف فعل الرجل ما أمر به حتى رفعه الى على رضي الله عنه فقضاه فلم يجد فيه كتاباً فقتل للرسول ماؤراءك فقال . آمن أنا . قال نعم . قال تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود . قال . ومن . قال . منك . وترك ستين ألف شيخ ي يكون تحت قيس عمان منصوباً على منبر دمشق . فقال لهم اني أبدأ إليك من دم عمان . قد نجا والله قتلة عمان الا ان يشاء الله .

أصبحت الأمة مضطربة مختلطة المقاصد (ووجهها كلها الحق وهو ضالتها) . معاوية يرى ان البيعة لم تتعقد والأئم يرى ان مقادها . وطلحة والزبير فضانها لأنهما اشترطا اقامة الحد على قتلة عمان . والامام يقول لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدى الناس وتنظر الأمور وتؤخذ الحقوق . وعاشرة أم المؤمنين رضي الله عنها منادية في الناس بدم عمان لأنها متحققة بأنه قتل مظلوماً

(١) الهوادة اللين أو ما يرجى به الصلاح

في البلد الذي يأْمن فيه الطير في الشهر الحرام.
خطبت أم المؤمنين في الناس وانتصرت لسيدنا عُمَان وطلبت القود له
من الغوغاء والعيid الذين اجتمعوا عليه وتبعها كثير لأن معظم الناس ذهب
عقولها ولم يبق من خصال العرب الكريمة الا أشدّها (ثوران في المقول
لأخذ الثار) وأكثر الصحابة يرون ان أول واجب على المسلمين في هذا الوقت
تتبع القتلة . والقصاص منهم إقامة حمد الله الذي لا يصح تأخيره مهما نتج منه .
جعلوا إقامة هذا في عنق كل مسلم وهو ملزم بالقيام بما يوصله إليه ولذلك لم
ير الزبير ولا طلحة في هذا خروجا على الامام لأن البيعة لم تنعقد له
الوقت الذي يؤول فيه أمر الانتقام على الخليفة إلى قته ويتناهى الناس فيه
ذلك الحال القديم من احترامه وتكون فيه الأفكار صرطا خطوات الخروج
من كل طرف لا يهدان يكون من مصائب الامام «على» فيه رميء بأنه منحرف
عن الحق في حق قتلة عُمان

استقام رأى طلحة والزبير وأم المؤمنين على قصد البصرة فقصدوها فلما
قاربوا راسلها أميرها فأعلمه أنها جاءت لتخبر الناس بمقتل عُمان وان الغوغاء
استحلوا الدم الحرام وسفكوه وقتلو الامام المسلمين بلا تردد ولا عذر وأظهر الزبير
وطلحة انها بايما (كرها) فضم صاحب البصرة أولا على منها ثم أراد أن
يعلم هل أحد في البصرة يمالئ طلحة والزبير فدس لأهلها واحدا من الناس
فظهر له ان فيها أنصارا لهذا الامر خرج معه حتى نزل ميسرة المريد
وأقبلت أم المؤمنين فنزلت ميمنته وخطبت الناس قبعتها جمع من أصحاب عُمان
وخرج لها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة وقاتلهم حتى اذا ذقوا حز السلاح
تنادوا الى الصلاح حتى يرسلوا الى المدينة ليعلموا أن كانت بيعة طلحة والزبير طوعا

أو كرها فان ثبت أنها أكرهاترك ابن حنيف البصرة فذهب كعب بن سور
قاضي البصرة رسولا من عند أهلها فلما قدم المدينة قال يا أهل المدينة أنا رسول
أهل البصرة اليكم أسلكم أكره طلحه والزبير على البيعة أم أيها طائعين فقال
اسامة بن زيد بأنها أكرهاتلقى اسامة بن زيد من والي المدينة سهل بن حنيف
أخي عثمان بن حنيف اهانه وبلغ هذا الخبر عليا فأرسل الى عثمان بن حنيف
يقول والله ما أكرهها على فرقه . ولقد أكرهها على جماعة وفضل فان كانا يريدان
الخلع لا عذر لهم وان كان يريدان غير ذلك نظرنا ونظر افلاما زاع خبر اكره الزبير
وطلحه طلبا من أبي حنيف أن يخرج من البصرة فامتنع محتجا بكتاب من «علي». .
فاستولوا في ليلة على السکوفة وحبسو ابن حنيف فبلغ ذلك حكيم فا قبل وقاتل
حتى قتل كثير ثم أقامت أم المؤمنين ومن معها بالبصرة

كل هذا والامام بالمدينة يعي في جيشه الى الشام فلما بلغه الخبر دعى وجوده
أهل المدينة لانه يرجو أن يلحق الزبير وطلحه قبل ان يصلوا البصرة خلف قوم
وتقاتل قوم وظهر آخرون برأى مثل أبي موسى الاشعري وقد سألهوا اخر ورج
والقتال مع «علي» فقال (ان بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكم فان لم يكن يد
من قتال فلا نقاتل أحدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا) .

أصبحت هذه الفتنة صماء لا يعلم فيها . ان كان النائم خير من اليقظان . أم
القائم خير من القاعد . فكم من رجل أغمد السيف وآخر نصل السهم . وكثير
الجدال فمن عرض على اخر ورج مع أمير المؤمنين ومن مثبط عنه حتى قام الفقاع
ابن عمرو وقال (أيها الناس لا بد من امارة تنظم الناس وتنتزع الظلم وتعز المظلوم
وهو يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه
في الدين فمن هبض اليه فانا سارون معه) ثم قال الحسن بن علي رضي الله عنه

(أجيروا دعوة أميركم وسيراوا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من يسفر
اليه والله لأن يدعيه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة
فأجيروا دعوتنا وأعينونا على ما ابتنينا به وابتليتم . وان أمير المؤمنين يقول قد
خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً وانى أذكّر الله رجلاً روى حق الله الا
نفر فان وجدنى مظلوماً أعانتى وان وجدنى ظالماً أخذ منى . والله ان طلحة
والزبير أول من بايعنى وأول من غدر . فهل استأثرت بمال أو بدلت حكمها
فانفروا فروا بالمعروف وانهوا عن المنكر) فأثر فيهم هذا القول ورضوا بالخروج
فنفر معه قريب من تسعه آلاف ثمّهم في نهر الفرات والباقيون ركبًا فالتحقوا
بأمير المؤمنين فرحب بهم وأتى عليهم ثم ندب القعقاع بن عمرو ليكون بينه
 وبين طلحة والزبير فقدم القعقاع البصرة وبدأ بأم المؤمنين فقال أى أمّه ما أقدمك
هذه البلدة قالت أى بني الاصلاح بين الناس قال فابعثي الى طلحة والزبير حتى
تسمعي كلامهما وكلامهما فبعثت اليهما فحضرتا فقال القعقاع أى سألت أم المؤمنين
ما أقدمها ف وقالت الاصلاح فهل أنتما متابعان قالا نعم قال فأخبراني ما وجه هذا
الاصلاح قالا قتلة عثمان فان هذا الامر إن ترك كان تركاً للقرآن قال قد
قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم
اليوم قاتلتم ستة وسبعين رجلاً فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وطلبتم حرقوص
ابن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموه كنتم تاركين لما تقولون وان
فانتقموا هم والذين اعتزلوكم فاديلوا عليهم فالذى حذرتم وقوبتم بهذا الامر اعظم
 مما اراككم تكرهون وهذا امر دواوه التسكين فان سكن اختجوا فان اتيتم
باليعتموا فعلامة خير وتبشير رحمة ودرك بشار وان أبيتم فعلامة شر قالوا
أصبت وأحسنت فان رجع «على» وهو على مثل رأيك صلح الامر فرجع الى على

وأخبره الخبر وأشرف القوم على الصالح وأقبلت الوفود من كل جهة وأصبح
الكل متفقين على الصالح

سمع بذلك السبطية (أصحاب بن سبأ) وتحققوا أن الصالح إنما يعود عليهم
بالوبال لأنه إن تم كان على قتلهم لأنهم هم الذين أثروا أمر عثمان فباتوا شر
ليلة وقد أشرفوا على المملكة . باتوا يتشارون فلم يجدوا غير انتساب الحرب
ثم أصبح الناس والتي الجيشان خارج البصرة وخرج الزبير على فرسه بين
الجيشين خرج اليه على حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال على لازير لعمري لقد
أعددتما لاحا ورجالا ان كنتما أعدتما عند الله عذرا فاتقى الله (ولا
تكونا كاتي نقضت غزلا من بعد قوة أنكاثاً) ألم أكن أخاك في دينكم
تحرمان دمي وأحرم دمكم فهل من حدث أحل ذلك . فقال طاجة البت على
عثمان فلعن على قتلة عثمان . ثم ذكر الزبير باشياه منها انه قال له (أنذك يوم
مررت مع رسول الله في بني غنم فنظر إلى فضحك وضحكت إليه فقلت
له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس بزه لفقاته وانت ظالم) فرجع الزبير وهو حالف أن لا يقاتل علياً . وشعر
انه أخطأ في اجتهاده وأصبح الرجوع لحق أولى لانه يعلم لله ثم رجع الناس
والجميع لا يشكرون في الصالح وباتوا بأهنا ليلة وبات الدخلاء بأسوأ حال .

فلما كان الفلس قاموا من غير أن يشعر بهم أحد وقصدوا مضرهم . مضر
البصرة وربعتهم دبيعة البصرة . وينهم عن البصرة واعملوا السلاح وثار كل قوم
في وجوه أصحابهم ودسوا الكل طرف من يعلن الخبر فسأل طاجة والزبير عن
الخبر فقيل لهم طرقنا أهل الكوفة ليلاً فقالا قد علمنا ان علياً غير متنه حتى
يسفك الدماء وسائل على فقيل له ما شعرنا إلا وقوم منهم يعملون فيما السلاح

فقال قد علمت إن طاجة والزبير غير منتهين حتى يسفك الدماء . ونادى في الناس ان كفوا وآخر جوا أم المؤمنين في هوجها لعل الله يصلح بها فرموها بالليل وهي تبادى (اذ كروا الله والحساب) ولا يأبون الا اقداما واشتدت حمية أهل البصرة لحرم رسول الله ولم يكن محيس عن القتال فاقتلوه وترك ابن الزبير القوم ورجع فتبعه من يعرف بابن جرموز وقتلها وهو يصلى بوادي السابع أم سك بن خطام الجمل كثير من أرباب الشجاعة والنجدة فقتل دونه نحو السبعين من قريش وعدد عظيم من غيرهم واشتد أهل الكوفة على الجمل لأنهم رأوا ان البصريين لا يهزمون مادام واقفا فرامه كثير وكل من رامه قتل فعقرموا الجمل وتفرقوا عنه ثم حملوا هوجها وهو مثل القنفذ من كثرة السهام وظهرت آثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث الذي لم يكن فيه لاحد مأرب ثم دفت القتل وأطاف عليهم «علي» فلما أتى على طلحة قال له في عليك أبو محمد أنا الله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى وانت كما قال

الشاعر

فتي كان يديه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
سیرت أم المؤمنين الى مكة ورجع على الى الكوفة التي اخذها مقر
خلافته وأرسل يدعو معاوية للدخول فيها دخل فيه الناس فامتنع حتى تقتل
قتلة عثمان ويختار المسلمون لانفسهم إماما

سار الامام لحاربة أهل الشام وسار اليه معاوية والتقي الجيشان في سهل
صفين ومشت السفراء بين الطرفين فكان في سفراء الامام من يجهل باب
الاصلاح والفساد فاحتدى في الكلام حتى اشتد معاوية في الخصم وقال
ما يبنتنا الا السيف

تناوشاً وقتاً حتى دخل شهر المحرم لسنة ٣٧ فعقد على معاوية هذه
مسدتها شهر طمعاً في الصلح وختلفت بينهما الرسل وانتهت المخارات على
اصرار على مبايعة ثم النظر في أمر قتلة عثمان وأصر معاوية علىأخذ
القود من قتلة عثمان أولًا ثم النظر في البية

نبذ كل طرف عهد هدنته وابتدا القتال أول يوم من صفر طول النهار
وهكذا الأيام التالية فلما كان مساء اللثانـي يامن صفر أجمع على ملاقة
جيش معاوية بجيشه كله فلما أصبحوا التقى الجيشان وانصرفا وكل غير غالب ثم
دارت رحى الحرب بشدة يوم الخميس عاشر صفر ودخل الليل ولم يصد الناس
عن القتال اقبله فاستمر وافلما أصبحوا أكان الملل والساقة في جيش الشام بين
ورأى ذلك معاوية وعمرو بن العاص فقال عمرو ندعوه لكتاب الله أن يكون
حكمـاً بيننا وبينهم فرتفعوا المصاحف على الرماح وتادي مناد يقول هذا كتاب
الله بيننا وبينكم من لغور الشام بعد أهل الشام من لغور العراق بعد أهل العراق
فلما رأها أصحابـاً اختلفوا ثم اتفقا على ارسال رسول يسأل عما أريد من
رفع المصاحف فقالوا الرجوع إلى ما أصر الله في كتابه تبعـون رجلاً ترضـونه
ونبعث رجلاً نرضـاه يعملـا بما في كتاب الله لا يعـدوـانه ثم نتبع ما تتفقـا عليهـ.
ورضـيت الناس بهذا وقبلـتـ اختارـ أهلـ الشامـ عمـروـ بنـ العاصـ واختارـ أهلـ
العراقـ أباـ موسـىـ الأـشـمـريـ وكتـبـواـ بذلكـ بهـداـ وـانـ يجـتمعـ الحـكمـانـ بـدوـمةـ
الـجنـدلـ أوـ باـذـرـحـ فـرمـضـانـ

انصرـفـ الناسـ منـ هذاـ المـكـانـ المـشـؤـومـ الـذـيـ اجـتمـعـتـ فـيـهـ قـشـتانـ عـظـيمـتانـ
منـ الـمـسـلـمـينـ يـقـاتـلـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاًـ.ـ وـلـكـنـ الـذـيـ يـخـفـفـ الـبـالـيـةـ انـ الفـرـيقـيـنـ كـانـاـ
پـرـيدـانـ اللهـ بـعـلـمـهـاـ الـآنـ الـجـمـيعـ لـمـ يـقـصـدـوـافـيـ مـحـارـبـهـمـ غـرـضاـ دـنـيـوـيـاـ لـأـيـثـارـ باـطـلـ

أو لا تستشار حقد كما قد يتوهمه متوجهون إليه ملحد وإنما اختلف
اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فأقتتلوا
عليه وإن كان المصيب علينا فلم يكن معاوية قاتلاً بقصد الباطل إنما قصد
الحق وربما أخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق

رجع الإمام إلى الكوفة ووقع الشقاق في جيشه . فريق راض بالتحكيم
وفريق كاره له وهو لا اعتزلوا الإمام ونزلوا حرر راء وباعوا شيش بن ربى
على القتال وإن يكون الأمر شوري بعد الفتح والبيعة لله عزوجل والأمر
بالمعرفة والتهي عن المنكر ثم جاءهم الإمام وتصح لهم فتابوا إلى رأيه ودخلوا مصر هم
انقضى الأجل وحل رمضان واجتمع الحكمان من السنة السابعة
والثلاثين وخلع كل منهم صاحبه وأثبتت عمرو معاوية وكتبا شيئاً رأى الإمام
إن كل واحد تبع فيه هواه وافتلقا ولم يفيا بما تعهدوا به فصمم على حرب
معاوية مرة ثانية ولحق عمرو بالشام وباعيه مع أهلها

أصبح الحال وجيش أمير المؤمنين موطن فتنة كلها أطفيت واحدة
قامت أخرى فن خوارج عليه . ومن غلاة فيه . ومن محاربين معه .
ومن مقاتلين لا جله . والسلطة تسير إلى الوراء . وأصبح المقاتلون معه محرضين
بالفضحة والبلاغة لا بالطاعة والامتثال لأنما حررهم معه بحملة . ومعاوية
بالشام مستقيم له الأمر وجنده أحسن جند في طاعة الأمراء . بعث
عمرو بن العاص إلى مصر وفيها قيس بن سعد بن عبادة فباعيه أهلها
وهو أخbir بطرق استجلابهم . واعتزلت طائفة منهم عليهم يزيد بن الحارث
الدجلي بخبرتها وقع الخلاف بين الإمام وبين قيس في شأنهم فعزله ولاها
محمد بن أبي بكر . وعلم أمير المؤمنين أن معاوية بن خديج دخل مصر مطالباً

بعد عمّان ورأي أنّ مُحَمَّداً لا تمكنه المقاومة فولى على مصر الاشتير بن الحارث النخعي وكتب إليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة ولكن قدر الله بموته في الطريق وبقي في مصر محمد بن أبي بكر حتى دخلها معاوية بن خديج وقتلوه وحرقوه في جوف حمار . وبقتل محمد بن أبي بكر صارت مصر في طاعة معاوية وبایع له أهلهما . وبعد أن تم له ذلك سير إلى البصرة عبد الله بن الحضرمي وسیر السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين حتى دخلت الحجاز واليin في طاعة معاوية وأصبح الإمام في وسط من الخاق مضطرب بالخلاف والشقاق . فريق شيعته آخرون خوارج (لاعليا ولا معاوية) وفريق منافق يظهر الطاعة ويخفي العداء وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف وتغير الناس حتى سأله رجل عليا رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر قال لأن أبي بكر وعمر كانا واليin على مثل و أنا اليوم والى مثلك ومل أمير المؤمنين الإمارة وسئلها وكأنه استشعر راحته من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصي بضميه إلى إخوانه من الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفقاء فصرح بذلك في كثير من خطبه ومواعظه الأخيرة

اجتمع ثلات من الخوارج وتذاكرروا ماحل بأخوانهم من الخوارج وكرهوا المقام بعدهم فاتفقوا على أن يذهب أحدهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى الكوفة ليقتل عليا . ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمي إلى الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمر بن بكر التميمي إلى مصر فيقتل عمرو بن العاص واتعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقا وهي صبح ليلة الجمعة لسبعين عشرة خلون من رمضان فاما البرك فذهب إلى معاوية وانتظره في صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع في إلتهه ولم ينته فاصر به معاوية فقتل .

واما عمر بن بكر فذهب الى عمرو بن العاص فلم يخرج الى الصلاة لعد
أصابه واستناب خارجة بن حبيب السهري فضر به الخارجى فقتله ظنا منه انه
عمرو نفأب ضنه وقبض عليه فقتل وضرب به المثل «أراد عمرا وأراد الله خارجة»
وقصد عبد الرحمن بن ملجم أشقى البرية الكوفة وانتظر عليه فيينا أمير المؤمنين
يندى الصلاة الصلاة الصلاة إذ ضربه بسيفه قاتلا (الحكم لله لا لك ياعي ولا
لأصحابك) فقال على (لايفوتكم الرجل) فشد عليه الناس وأخذوه ثم قال على
«النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني ضربه بضربه ولا تمثروا به وان
بقيت رأيت فيه رأيي» ثم دخل جندي فقال إن فقدناك ولا نفقدك فنباع
الحسن فقال ما آمركم ولا أنهاكم أتم بصرك ثم دعا الحسن والحسين فقال
لهم (أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بعثتكما ولا تبكيا على شيء ازوى
عنكم وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضائع واصنعا للأخرى وكونا للظالم
خصيما وللمظلوم ناصرًا واعمل بما في كتاب الله ولا تأخذ كما في الله لومة لأم)
ثم نظر الى محمد الراكم ابن الحنفية فقال له (هل حفظت ما أوصيتك به أخيك
قال نعم قال فاني أوصيك بهله) ثم لم يزل يذكر الله حتى مات فغسله ولداه
الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس
فيها قيصص

ليتأمل القاريء مقدار تبدل الأحوال واختلاف العقائد وتشتت الاهواء
بالفتن . قتل سيدنا عمر رضى الله عنه سرًا . وتولى بعده سيدنا عثمان فازداد
الطيش حتى قتل رضى الله عنه جهراً . وتولى الأئمما فكان بين جاج وعناد
حتى جهزت لحربه الجيوش . وهكذا كل أمر يصعد منزلة منزلة حتى يبلغ
الغاية ولا سبب لذلك الا مغارةة ادب الدين . وقد مكث رضى الله عنه في

الامارة ماشاء الله ان يمكث وكان الله سبحانه وتعالى أراد ان يظهر سخطه من عصى ورضاءه ملئ اطاع فاذاق الامة كأس الضر في نكث بيعة خليفة رسوله وقتلها ظلماً . او أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يمثل للمسلمين عيانا من ايا الوحدة والحبة والاتفاق . وضرر التعدد والعداوة والشقاق . فأوقع بأسمائهم حتى يتوبوا ولا يعودوا لتفريق كلمتهم وشق الاوصا بينهم وبين أنفسهم ول يجعل جماعة المسلمين في كل آن أن نصر الله بعيد عنهم كلما فشلوا وتنازعوا وصرفوا التعلق عمما كانت عليه الناس في عهد السلف الصالح

لو أصلحت دعوة من النفوس فاسدها وادوت مرضها لكان لدعوه رضي الله عنه في صلاح حال المسلمين جميل الآخر . ولو ساعد الدهر لارتقت الامة العربية في عصره حتى شقت الفلاط بارتقائها ونافست بواسطته الامم في كل شيء وناهيك بمن جمعت بعض حكمه ففاقت بها الأسفار وتيمت بعض معجزات بلاغته فنزلت على ليها ما استحجر من الارواح . أى وجдан لطيف هو يخاطب الناس بمساقيمهم ويعيدهم وينعشهم ويرقي بهم بسلم البرهان الى الكمال . تغلق الأفكار دون الآتيان بمثل عهده رضي الله عنه للأشتر النجحي الذي ملأه بالأوامر الصادعة والزوابجر الرادعة وطالب الناس بالطاعة عليه وحملهم باتباع مافيه . هو أول قانون لسير العمال في الامة الاسلامية جل فيه رضي الله عنه عن الغاية بما لم تصل مدارك الكثير الى مر ماه . ولما كان هو من أحسن ما تعلق به النفوس وتشوق لرؤيه العيون بعد سيرته رضي الله عنه أتينا به خاتمين سيرته الشريفة بخير أعماله . وليشهد الناس هذه الحكم التي تفيض من الافندة والفضاحة التي تتدفق عن الاسنة . والله على كل شيء قادر لولا عجائب صنع الله ما بنت هذى الفضائل في لحم وفي عصب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أصر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتهر في
عهده اليه حين ولاد مصر : جباية خراجها . وجihad عدوها . واستصلاح
أهلها . وعمارة بلادها .

أمره بتقوی الله . وايثار طاعته واتباع ما أصر به في كتابه من فرائضه
وستنه التي لا يسعه أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها واعتراضها وإن
ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره
وإنما ذكره من أعزه .

وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها ^(١) عن الجحارات فان المفسس امارة
بالسوء الا مارحم الله

ثم اعلم يا مالك أنى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من
عدل و Görور . وان الناس ينظرون من أمرورك في مثل ما كنت تنظر فيه من
أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين
 بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن أحباب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالحي
فاما لك هو اك وشح ^(٢) بنفسك عملا يحمل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها
فيما أحبت أو كرهت واسعرا قلبك الرحمة لارعية والمحبة لهم والاطلاق بهم ولا

(١) يكتفى عن مطابقها

(٢) شح بنفسك أي يخل بها عن الوفوع في غير الحال

تكون عليهم سبعاً ضارياً تقتضي أكلهم فانهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلال ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ فأعطيتهم من عفوك وصفتك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحة فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من لاك وقد استكفاك (١) أمرهم وابتلاك بهم

ولا تنصب نفسك لحرب الله فانه لا يدى (٢) لك بمقتها ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو . ولا تجحنج بعقوبة . ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوبة ولا تقول انى مؤمر (٣) امر فاطاع فان ذلك ادغال (٤) في القلب ومنكهة للدين وقرب من الغير

واذا أحذث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانتظر الى عظم ملوك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طاحنك (٤) ويكتف عنك من غيرك وفيه إليك يا عزب عنك من عقلك . اياك ومسامة الله في عظمته والتشبّه به في جبروته فان الله يذل كل جبار وييهن كل مختال

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هو يمن رعيتك فانك الا تفعل ظالم . ومن ظلم عباد الله كان الله خصمهم دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان الله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس

(١) طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم

(٢) لا يدي لك بمقتها أى يدر لك ان تدفع مقتها أى لطاقة لك بها يقال ليس لي بأمر كذا يدان أى طاقة

٣ ، الأدغال ادخال الفساد

٤ ، الطماح الشوز

شئ ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيز نعمته من اقامه على ظلم فان الله سميع دعوة
المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد

ول يكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق وأعمدها في العدل وأجمعها الرضى الرعية
فأن سخط العامة يجحف (١) برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى
ال العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي موهنة في الرخاء وأقل معونة
له في البلاء وakerه للانصاف واسأله بالاخاف (٢) وأقل شكر عند الاعطاها وباطاً
عذرً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل الخاصة . وانما عماد
الدين وجماع المسلمين (٣) والعدة للأعداء العامة من الامة في يكن صفووك لهم
وميلك معهم

ول يكن أبعد رعيتك منك واشنأهم عنك أطلاهم لعائب الناس فان في
الناس عيوبا الوالي أحق من سترها . فلا تكشفن عما غاب عنك منها فاما
عليك ذطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العوره ما استطعت يستر
الله منك ما تحب ستره من رعيتك .

اطلاق عن الناس عقدة كل حقد . واقطع عنك سبب كل وتر (٤) وتغاب عن
كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فأن الساعي غاش وان تشبه
بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويدلك الفقر .
ولا جيانا يضعفك من الأمور . ولا حريرا يزين لك الشره بالجحود . فأن

(١) يجحف اي يذهب برضى الخاصة فلا ينفع الثاني معه اما لو سخط الخاصة
ورضى العامة فلا اثر لسخط الخاصة فهو مفتقر

(٢) الاخاف الاخاف والشدة في السؤال

(٣) جماع الشيء بالكسر جمعه اي جماعة الاسلام

(٤) الوتر بالكسر العداوة والواتر العداوات

واعلم انه ليس شئ يأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم
وتحقيقه المؤونات عليهم وترك استكراهه ايابهم على ما ليس قبلهم (٣) فليكن
منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع
عنك نصباً طويلاً وان أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان

(١) بطانة الرجل بالكسير خاصة

(٢) يطروك أى يزبدوا في مدحك ولا يحيوك أى يفر حوك بنسبة عمل عظيم
الىك لم تكن فعلته

(٣) قبلهم بالكسر أي عندهم

أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده
ولا تنتقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة
وصلاحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنين
فيكون الأجر لمن سبها والوزر عليك بما نقضت بها
وأكثر مدارسة العلماء ومنافسة الحكماء في ثبات ما صلحت عليه أمر
بلادك وإقامة مالاستقامة به الناس قبلك

واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا بعض ولا غنى ببعضها عن
بعض . فمما جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة . ومنها قضاة العدل .
وممنها عمال الاصناف والرفق . ومنها أهل الجزية والخارج من أهل الذمة
ومسالمة الناس . ومنها التجار وأهل الصناعات . ومنها الطبقة السفلی من ذوي
الحاجة والمسكنة وكلا قد سمي الله سبهم ووضع على حده فريضة في كتابه
او سنة نبيه صلى الله عليه وآلہ علیہ اے عہدنا محفوظاً

فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأء من
وليس تقوم إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا ما يخرج الله لهم من الخارج الذي
يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم
ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب
لما يحكمون من المعاقد (١) ويجتمعون من المنافق ويؤمنون عليه من خواص
الأمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون
عليه من مرافقيهم . ويقيموا نهـ من أسوائهم وكفوا لهم من الترفـ بأيديهم مـ لا يبلغـ
رفـقـ غيرـهم ثم الطبقة السفلـى من أهل الحاجـةـ والمسـكـنةـ الذين يـحقـ رـفـدـهمـ وـمـعـوـتهمـ

(١) وفي نسخة المعاهد

وفي الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلاحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألم به الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانت بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل فول جندك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولا مامك . وأتقاهم جيما وأفضلهم حلما من يعطي عن الغضب . ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو عن الاقواء ومن لا يثير العنف ولا يقعد به الضعف .

ثم أصدق بذوي الاحساب وأهل البيونات الصالحة الله وابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والبسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتقد المداران من ولدهما ولا يتفاقن (١) في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفاما تعهدتهم به وان ذيل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكلا على جسيهمها فان لليسير من لطفاك موضع ينتفعون به ولا جسيم موقعا لا يستغنوون عنه وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل (٢) عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف اهاليهم حتى يكون همهم ها واحدا في جهاد المدو فان عطنك عليهم يعطف قلوبهم عليك وأن أفضل قرة عين الولاية استقامـة العدل في البلاد وظهور مودـة الرعية وانه لا اظہر مودـتهم الاسلامـة صدرهم ولا تصح نصيحتهم الا بمحـيطهم على ولاية امورهم وقلة استئصال دولـهم وترك استـبطاء اـنقطاع مـدـتهم فأفسحـ في آمالـهم وواصلـ في حـسن الشـاء عليهمـ وتعـديـد مـأـبـلى ذـوـ البـلاءـ مـنـهمـ . فـانـ كـثـرةـ الذـكـرـ لـحسـنـ

(١) تفاقم الامر عظم

(٢) افضل عليه وفضل بمعنى

أَفَعَالُهُمْ هُنَّ الشَّجَاعُ وَتَحْرِضُ النَّاسَ كُلَّاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَعْرَفُ لِكُلِّ امْرَىءٍ مِّنْهُمْ
مَا بِأَبْلَىٰ وَلَا تُضْيِغُنَّ بِلَاءَ امْرَىءٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَلَا تَقْصُرُنَّ بِهِ دُونَ غَايَةٍ بِلَاءَهُ وَلَا
يَدْعُونَكَ شَرْفَ امْرَىءٍ إِلَىٰ أَنْ تَعْظِمُ أَكْثَرَ مَنْ بِلَاءَهُ مَا كَانَ صَفِيرًا وَلَا ضَعْفَةً امْرَىءٍ
إِلَىٰ أَنْ تَسْتَعْصِرَ مِنْ بِلَاءَهُ مَا كَانَ عَظِيمًا

وَارْدَدَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يَضْلِعُكَ مِنْ الْخَطُوبِ وَيُشْتَبِهِ عَلَيْكَ مِنْ
الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِقَوْمٍ أَحَبُّ إِرْشَادَهُمْ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ
وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ) فَالْأَرْدَدُ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِحِكْمَتِ كِتَابِهِ وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنْتِهِ
الْجَامِعَةُ غَيْرُ الْمُفْرَقَةِ

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحِكْمَ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رِعْيَاتِكَ فِي نَفْسِكَ مِنْ لَا تُضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ
وَلَا تُحَكِّمُهُ الْخُصُومُ وَلَا تَمَادِي فِي الزَّلَةِ وَلَا تَحْصُرَ (١) مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ
وَلَا تُشَرِّفَ (٢) نَفْسَهُ عَلَى طَمْعٍ وَلَا يَكْتُفِي بِأَدْنِي فَهُمْ دُونَ اقْصَادٍ . أَوْفُهُمْ فِي
الشَّهَابَاتِ وَآخِذُهُمْ بِالْحَجَجِ . وَأَقْلَاهُمْ تَبَرِّ مَبْرَاجِعَهُ الْخُصُومُ وَأَصْبَرُهُمْ عَلَى كَشْفِ
الْأُمُورِ وَأَصْرَمُهُمْ عَنِ التَّضَاحِ الْحِكْمَ مِنْ لَا يَزِدُهُهُ إِطْرَاءً وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءً
وَأَوْلَئِكَ قَلِيلٌ ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاوَدُهُ قَضَائِهِ وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَذَلِ مَا يُزِيلُ عَلَتِهِ وَتَقْلِيلِ
مَعِهِ حَاجَتِهِ إِلَى النَّاسِ وَاعْطَهُ مِنَ الْمُتَزَلَّلِيَّاتِ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصِّتِكَ
لِيَأْمُنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا فَإِنْ هَذَا الْدِينُ
قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يَعْمَلُ فِيهِ بِالْهُوَى وَيَطْلَبُ بِهِ الدِّينَ
ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لَكَ فَاسْتَعْمَلْهُمْ اخْتِبَارًا وَلَا تُوَلْهُمْ مُحَايَةً وَأَثْرَةً فَإِنْهُمْ مَا

(١) حَصْرٌ كَفْرٌ حَضَاقَ صَدْرَهُ أَيْ لَا يُضِيقُ صَدْرَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ

(٢) الْأَشْرَافُ عَلَى الشَّيْءِ الْأَطْلَاعُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ

جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منها مـ أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المقدمة فـ انهم أـ كرم أـ خلـاـقاـ وـ أـ صـحـ اـ ضـ اـضاـ وأـ قـلـ فيـ المـ طـ اـ مـ اـ شـ رـ اـ فـاـ وـ أـ بـ لـغـ فيـ وـ اـ وـ اـ قـ بـ الـ اـمـوـرـ نـ ظـراـ . ثم اـ سـ بـ عـ لـ يـ ٤ـ مـ الـ اـ رـ زـ اـ قـ فـانـ ذـلـكـ قـوـةـ لـهـمـ عـلـىـ اـسـتـصـلـاحـ اـنـفـسـهـمـ وـ غـنـيـ لـهـمـ عـنـ تـاـولـ مـاـتـحـ اـيـدـيـهـمـ وـ حـجـةـ عـلـيـهـمـ اـنـ خـالـفـواـ اـمـرـكـ اوـ سـلـمـ اوـ اـمـانـتـكـ ثـمـ تـفـقـدـ اـعـمـالـهـمـ وـ اـبـعـثـ الـ عـيـوـنـ مـنـ اـهـلـ الصـدـقـ وـ الـوـفـاءـ عـلـيـهـمـ فـانـ تـعـاهـدـكـ فـيـ السـرـ لـأـ مـوـرـهـ (١)ـ لـهـمـ عـلـىـ اـسـتـعـمـالـهـمـ اـمـانـةـ وـ الـرـفـقـ بـالـرـعـيـةـ وـ تـحـفـظـ مـنـ الـاعـواـزـ فـانـ اـحـدـ مـنـهـ بـسـطـ يـدـهـ اـلـىـ خـيـانـةـ اـجـتـمـعـتـ بـهـ عـلـيـهـ عـنـدـكـ اـخـبـارـ عـيـونـكـ اـكـتـفـيـتـ بـذـلـكـ شـاهـدـاـ فـبـسـطـتـ عـلـيـهـ الـعـقـوبـةـ فـيـ بـذـنـهـ وـ اـخـذـتـهـ بـماـ اـصـابـ مـنـ عـمـلـهـ ثـمـ نـصـبـتـ بـعـقـامـ الـمـذـلـةـ وـ وـسـمـتـهـ بـالـخـيـانـةـ وـ قـلـدـتـهـ عـارـ التـهـمةـ

وـ تـفـقـدـ اـمـرـ الخـرـاجـ بـماـ يـصـاحـ اـهـلـهـ فـانـ فـيـ صـلـادـهـ وـ صـلـاحـهـ صـلـاحـاـ مـنـ سـوـاـهـمـ وـ لـاـ صـلـاحـ مـنـ سـوـاـهـمـ الاـ بـهـمـ لـاـنـ النـاسـ كـلـهـمـ عـيـالـ عـلـىـ الخـرـاجـ وـ اـهـلـهـ وـ لـيـكـنـ اـنـظـرـكـ فـيـ عـمـارـةـ الـارـضـ اـبـلـغـ مـنـ نـظـرـكـ فـيـ اـسـتـجـلـابـ الخـرـاجـ لـاـنـ ذـلـكـ لـاـ يـدـرـكـ الاـ بـالـعـمـارـةـ وـ مـنـ طـلـبـ الخـرـاجـ بـغـيـرـ عـمـارـةـ اـخـرـبـ الـبـلـادـ وـ اـهـلـكـ الـعـبـادـ وـ لـمـ يـسـتـقـمـ اـمـرـهـ الاـ قـلـيلـاـ فـانـ شـكـوـاـ ثـقـلاـوـ عـلـةـ اوـ اـنـقـطـاعـ شـرـبـ اوـ بـالـلـهـ اوـ إـحـالـةـ اـرـضـ اـغـمـرـهـاـ غـرـقـ اوـ جـحـفـ بـهـ اـعـطـاشـ خـفـفتـ عـنـهـمـ بـماـ تـرـجوـ اـنـ يـصـلـحـ بـهـ اـمـرـهـ وـ لـاـ يـقـلـنـ (٢)ـ عـلـيـكـ شـئـ خـفـفتـ بـهـ المـؤـونـةـ عـنـهـمـ فـانـهـ يـذـخـرـ يـعـدـونـ بـهـ عـلـيـكـ فـيـ عـمـارـةـ بـلـادـكـ وـ تـرـيـنـ وـ لـاـ يـتـكـ مـعـ اـسـتـجـلـابـكـ حـسـنـ

(١) حـدوـةـ أـىـ قـدـوةـ يـسـارـونـها

(٢) نـقـلـ المـضـرـوبـ . اوـ زـوـلـ آـفـةـ . اوـ اـنـقـطـاعـ بـالـلـهـ أـىـ مـاـ يـبـلـ الـارـضـ كـالمـطرـ اوـ تـحـوـيلـ الـبـدـرـ الـيـ فـسـادـ بـالـعـفـنـ لـاـ اـغـمـرـهـاـ الغـرـقـ

شأنهم وتبين لك باستفاضة العدل فيهم معتقداً فضل قوتهم بما ذكرت عندهم من
اجمامك (١) لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما
حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتمالوه لطيبة أنفسهم به فان
المران محتمل ماتحمله وإنما يؤتي خراب الأرض من اعواز أهلها وإنما يوز
أهلها لأشراف أنفس الولاية على الجموع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر .
ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم وأخصص رسائلك التي تدخل
فيها مكانك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق من لا يطرد الكرامة
فيجتري به عليك في خلاف ذلك بخسارة ملايين لا تقدر به العقول عن ايرادات كتابات
عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذك ويعطي منك ولا
يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجعل مبلغ
قدر نفسه في الأمور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل . ثم
لا يكن اختيارك ايهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك . فان
الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنيعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك
من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولما للصالحين قبلك فأعمد
لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فان ذلك دليل على
نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم
لا يظهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثیرها ومها كان في كتابك من عيب فتفايدت
عنه ألمته

ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم
والمضطرب بماله والمترافق ببناته فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلبها من

(١) اجامك أي اراحتك لهم

المبعاد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلائم الناس
لمواضعها ولا يجتازون عليها فأنهم سلم لاتخاف باقته (١) وصلاح لاتخفي غائتها
وتفقد أمورهم بحضورتك . وفي حواشى بلاذك . واعلم مع ذلك ان فى كثير
منهم ضيقاً فاحشاً وشحناً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البيعات وذلك بباب
ضررة للعامة وعيوب على الولاة فامنعوا من الاحتكار فان رسول الله صلى الله
عليه وآله منع منه ول يكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف
بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حركة بعد نهيك اياه . فتكل به وعاقب
في غير اسراف

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبْقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينُ وَالْمُتَابِحُونَ
وَأَهْلُ الْبُوْسِيِّ وَالزَّمْنِيِّ (٢) فَإِنْ فِي هَذِهِ الطَّبْقَةِ قَانُوناً وَمُعْتَراًً . وَاحْفَظْ لَهُ
مَا سَتَحْفَظُكَ مِنْ حَقَّهُ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قَسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكٍ وَقَسْماً مِنْ غَلَاتِ
صَوَافِي (٣) الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلْدٍ . فَإِنْ لَلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلُ الدُّنْيَا . وَكُلِّ
قَدْ أَسْتَرْعَيْتُ حَقَّهُ . فَلَا يُشْغَلُنَا عَنْهُمْ بَطْرُ فَانِكَ لَا تَعْذَرْ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهِ (٤)
لَا حُكَمَكَ بِالنَّظَرِ فِي الْكَثِيرِ الْمُهْمَمِ فَلَا تُشْخَصُ هُمُكَ عَنْهُمْ . وَلَا تَصْعُرْ خَدَكَ لَهُمْ .
وَتَفْقَدْ أَمْوَارِهِنْ لَا يَصْلِي إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِنْ تَقْتِحْمِهِ الْعَيْنُونَ . وَتَحْقِرْهُ الرِّجَالُ .
فَقَرْغَلَا وَلَائِكَ تَقْتِيكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشِيشَةِ وَالْتَّوَاضِعِ فَلَيْرُفْعَ إِلَيْكَ أَمْوَارِهِنْ شُمْ اعْمَلَ
فِيهِمْ بِالْأَعْذَارِ إِلَيْهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ . فَإِنْ هُؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ

(١) المُلاعنة الظاهرة

(٢) الزمني بفتح أوله جمع زمين وهو المصايب بالزمانة بفتح الزاي أى العاهات يريد أرباب العاهات المألأة لهم عن الاكتساب

(٣) جم صافية وهي أرض الغنيمة

(٤) التافه القليل

من غيرهم وكلّ فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه . وتعهد أهل اليم . وذوى الرقة في السن من لا حيلة له ولا ينصلب لمسئلة نفسه وذلك على الولاية ثقيل . والحق كله ثقيل . وقد يخففه الله على أقوام طلبو العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعد الله لهم

واجعل لنوى الحاجات منك قسما . تفرغ لهم فيه شخصك وتحلّس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك . من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلّمهم غير متعنّ . فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن . (ان تقدس أمة . لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متعنّ) ثم احتمل الخرق منهم والى . ونحو عهم الضيق والأنفة . يبسّط الله عليك بذلك أكنااف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واط ماعطيت هنيأ . وامنع في اجمال واعدار .

ثم أمر من أمورك لا بذلك من مباشرتها . منها . أجابة عم الملك بما يعي عنه كتابك . ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور اعوانك . وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيها بينك وبين الله أفضل تلك المواثيق وأجزل تلك الاقسام . وان كانت كلها الله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية

وليكن في خاصة ماتخلص به لله دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بذلك في ليلاك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاما لا غير مثولم ولا منقوص . بالغا من بذلك مبالغة واداقت في صلاتك للناس فلا تكون منفرا ولا مضينا . فان في الناس من به العلة ولها الحاجة وقدسألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجئي الى المين كيف أصلى بهم فقال

(صل كصلة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيمًا)

وأما بعد فلا تطيلن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاية
عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم
علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن
ويحسن القبيح ويشأ الحق بالباطل وإنما الوالى بشر لا يعرف ماتوارى
عنه الناس به من الامور وليس على الحق سمات تعرف بها ضروب
الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين : إما اصرأ وسخت نفسك في
البذل في الحق فقيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه . أو
مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك اذا آيسوا من بذلك . مع
ان أكثر حاجات الناس اليك مما لا مسؤولة فيها عليك من شكاوة مظلمة . او

ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة
فاحسّم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال . ولا تقطعن لا حدمن حاشيتك
وحامتك (١) قطيبة . ولا يطمعن منك في اعتقاد (٢) عقدة تضرر بن يليها من
الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهناً (٣)
ذلك لهم دونك . وعييه عليك في الدنيا والآخرة . والزم الحق من لزمه من
القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك
حيث وقع . وابتغ عاقبته بما ينفل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة . وان

((١) الحامة كالطامة الخاصة والقراءة

(٢) الاعتقاد الامتناعي

(٣) مِنْهَا مَنْفَعَتِه

ظننت الرعية بك حيًّا فاصحُر (١) لهم عذرَك . واعدل عنك ظنونهم بأصحابِك
فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا بريعيتك واعذارا يبلغ به حاجتك من
تقويمهم على الحق

ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك والله فيه رضى فان في الصلح دعة
لجنودك وراحة من همومك وأمنا بلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك
بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليغفل نخذل بالخزم واتهم في ذلك حسن
الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البيسته منك ذمة خط عدوك
بالوفا . وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ماء طيت . فإنه ليس من
فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهواهم وتشتت أراائهم من
تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين .
ما استطروا من عواقب الغدر . فلا تغدرن بذمتك ولا تخسِن بعهدك ولا
تحتلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمه
امنا أفضاه بين العباد برحمته . وحرى ما يسكنون الى منعه ويستفيضون الى
جواره . فلا ادغال ولا مدارسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العال
ولا تعوان على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمالك
فيه عهد الله الى طلب انساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو
انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تحالف تبعته وان تحيط بك من الله فيه
طلبة فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخر لك

اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شئ ادعى لنقطة ولا اعظم لتبعة
ولآخر يبزو والنعمه وانقطاع مدة من سنهك الدماء بغير حقها والله سبحانه

مبتدئ بالحكم بين العباد فيما ت safkوا من الدماء يوم القيمة فلا تقوين سلطانك
بسفك دم حرام فان ذلك مما يضنه ويوهنه بل يزيله وينفعه ولا عذر لك
عند الله ولا عندى في قتل العمد لأن فيه قود البدن وان ابنته بخطأ او افراط
عليك سوطك . او سيفك او يدك بعقوبة فان في الوكرة فما فوقة مقتلة فلا
تطمئن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدى الى أولياء المقتول حقهم
واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء . فان
ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليتحقق ما يكون من احسان المحسنين
واياك والمن على رعيتك باحسنانك او التزيد فيما كان من فعلك . او ان
تعدهم فتتبع موعدك بخلافك فان المن يبطل الا حسان والتزيد يذهب بنور
الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس . قال الله تعالى (كبر مقتا عند الله
ان تقولوا مالا تفعلون) .

واياك والهجلة بالامر قبل اوانها والتسرّط فيها عند امكانها . او اللجاجة فيما اذا
تنكرت او الوهن عنها إذا استوضحت فرض كل امر موضعه وأوقع كل امر موقعه
واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتعابي عما يعني به مما قد وضح
لعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الامور
ويتصف منك للمظلوم

املاك حمية اتفاك وسورة حدرك . وسطوة يدك . وغرب سلطانك . واحترس
من كل ذلك بكف الابادة وتأخير السلطة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار
ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تذكر همومك بذكر المعاد الي ربك
والواجب عليك أن تذكر ماضي من تقدمك من حكومة عادلة أو سنة
فاضلة أو اثر عن بنينا صل الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله ففتقدي بما شاهدت

مما عملنا به فيها . وتجهد لنفسك في اتباع ما هدتك اليك في عهدي هذا واستوْقِت
به من الحجة لنفسك عليك اـ كيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هو اها
وانا اسأـ الله بسعة رحمته وعظم قدرته على اعطاء كل رغبة اـ يوفقني
وإياك لما فيه رضاـه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقـه مع حسن
الثناء في العباد وجميل الاـثـر في الـبـلـاد وتمام النـعـمة وتضـعـيف السـكـراـمة وان يختـم
لى ولـك بالـسـعـادـة والـشـهـادـة إـنـا إـلـيـه رـاغـبـون . والـسـلام عـلـى دـوـرـوـلـه صـلـىـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ الطـيـبـينـ الطـاهـرـينـ وـسـلـمـ تـسـلـيـمـاـ كـثـيرـاـ وـالـسـلامـ

﴿ فصل ﴾

﴿ في خلافة سيدنا الحسن ﴾

لابد لنا من كلية على خلافة سيدنا الحسن يتصل بها الكلام ويلعلم منها
كيف استقام الأمر لسيدنا معاوية فقد تركنا أغلب الناس فوضى بعد قتل
الامام في العقل والشريعة معاً

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره
على الموت ثم بينما هو يجهز للمسير قتل فبائع الناس وهذا الجيش ولده الحسن
وبنمه ان معاوية سأر اليه في أهل الشام فتجهز هو أيضاً بهذا الجيش الموثق
بالإيان والوعود الى لقاء معاوية . فلما نزل الحسن المدائن حدث في جيشه
من الشقاوة والنفاق ما دعاه لتأخير ما عنزم عليه . رأى ان جند العراق لا تقوم
به دولته لما هو واقع بينهم دائماً من النزاع والتطلع الى مالييس لهم (حتى نازعوا
الحسن في بساط كان يجلس عليه) .

رأى ان بيته كبيعة أبيه ليست عامة ولكنها قاصرة على شيعتهم من أهل
العراق . فراسل معاوية بن أبي سفيان يبذل له الصالح واشترط عليه شروطاً
وقال له ان أنت أعطيتني هذا فأناس يسمع مطيع . وكان معاوية قبل وصول كتاب
الحسن اليه ختم صحيفته في أسفلها وكتب لاحسن يقول له اشتربط في هذه الصحيفه
ماشتئت فاشترط وأهم شروطه تأمين جيشه وشيعته على كلهم فقبلها معاوية وقدم
العراق فقابلته الحسن بجيشه وبايده بخلافة هو وجنته وصدق رسول الله في
قوله عن الحسن (ان ابني هذا سيد ونعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين
من المؤمنين)

تم دور الخلافة بالخلافاء الرشدين بتسليم سيدنا الحسن الامر وانتهى دور الفتن والشقاق الذي ابتدأ من قيام الشوار على سيدنا عثمان بن عفان ونهايته قتل الامام على رضى الله عنهما .

فتمن دامت عشر سنين لو كانت في أمة أخرى لمدتها وقوتها ولكن الله نظر إلى دينه القويم بعين عنايته فألف كلية أهله وحفظه كما وعد (إذ نحن نزنا الذكر وإن الله لحافظون) . ثم انقسم المسلمون على أنفسهم وأصبحوا فرقاً فهم الشيعة ومنهم الغلاة والرافض والخوارج وغيرهم من أهل الملل والنحل . يقفون في وجه كل اصلاح ويصفون عصا كل طاعة لحد الآن كما سيأتي تفصيله إلا مخبر يخبرني لوم يقدر الله هذه الفتنة إلى أى درجة من أدرك الدنيا كان يصل الإسلام . وإلى أى درجة كانت ترفع كلامه . وإلى أى عدد كانت تتهمى شيعته . وإلى أى شرف كانت تصل درفعته ؟ .. أظنه كان يسأله بقوته أعظم قوى الكون ويصبح كل شيء دونه منحطًا ومتضائلاً خاضعاً ومستكيناً إليه لو نظر الناظر لما وجد لهذا الشقاق الذي حصل إلا تطاول الأيدي لقتل سيدنا عثمان وتفضي بيته له في أعقابهم مع ان الخروج عن طاعة الامام لم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم له سبباً إلا الكفر البوح الظاهر الصريح الذي لا تأويل فيه ولم يقل بذلك أحد منهم . وكأن مصيبته هذه لم تكشف حتى أعقبها الله باقتراق الأمة في داخليتها فكان لكل جماعة رأي وليس هذا بالامر المبين . وكيف يكون هيناً وقد أدى للقتل والخروج على الامام وعمل السيف في رقاب المسلمين ماعمل ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم دالت الدولة لبني أمية وتوالت فتوحاتها بـ را وجرا وانتظم الشمل بعد شتاته وجر الوهن بعد ثلمه وشرأبت أعناق أرباب الدولة إلى إعزاز جانبهم

وادلال مجانبهم واظهار دينهم وقد نما فيهم احساس الحماقة عن الموزة فاتجهت جيوش الدولة وأساطيلها إلى الفتح فلم تمض الأيام ولم تصرم اللباب حتى فتحت الجزر في البحرapis المتوسط والمدن والمحصون في قارة آسيا وأصبح كثف الامة مكينا يكلؤ الوادعين فيه . ثم ما زال أرباب الدولة قائمين بشريفها بالرأي الشديد والعزم الشديد حتى أخذت الجزية من ملك بالقسطنطينية بعد الحصار والتضييق والمعذاب الأليم واستدامت لها المدعاية إلى أن أنسى الله سبحانه وتعالى بعض القوم أدب الدين وحدود المحافظة على المواريث والعقود ونشرت طوائف منهم زائفة عن السداد ومتذكرة عن الصواب والرشاد فادت حالتهم إلى اضمحلال بعض الاطراف من ملوكهم خرجت عليهم منها غارات وفتن كانت مقدمة لانتقال الدولة من بنى أمية إلى بنى عباس كاسايرد عليك ببعض التفصيل بعد هذا فتدرك منه ما يؤدي إلى الزيادة والبركة وما يورث الفشل والاختلال (وتلك الأيام نداولها بين الناس)

ان الصدور لا تزال تتمكن ما فيها . ولذلك فان شيعة على رضى الله تعالى عنه لا تزال ترى هذا الامر في أولاده يطلبونه متى ستحت لهم الفرصة وقد صارت لهم مذاهب ونحل يعجز القلم عن استقصائها والخوارج لا تزال ترى التحكيم ضلاله ولا ترى البيعة الا شوري ولا تنتخب الرجال على مذهبهم ومعتقداتهم وتفرقوا شيئا كل له مذهب يتبعه (ولو بغير امام) وجماعة منهم يقولون ان معاوية هو الذي أحال الخلافة ملكا (وانى معاوية ذلك) وانما الذي أحالها ملكا هي العوامل الطبيعية التي اذا عرضت للامة تضطر ها لطلب الانفراج بالتجدد والاستئثار به وقد وقع هذا بالفعل لبني أمية ولم يكن معاوية ان يدفع تأثيره عن نفسه

وَقُومٌ لَا تَهُنْ أَصْرٌ طَبِيعِي ساقِتُهُ الْعَصِبِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَاسْتَشْعَرُهُ الْأُمَّةُ فَاسْتَهَانَتْ
دُونَهُ وَلَوْ حَمْلُهُمْ مَعَاوِيَةً عَلَى غَيْرِ تَلْكُ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفُوهُمْ فِي الْإِنْفَرَادِ بِالْأَصْرِ
لَوْقَعَ فِي افْتِرَاقِ الْكَامِةِ وَلَمْ يَكُنْ لِلْحَسْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ بَلْ كَانَ الْقَوْمُ فِي
نِهايَةِ الشُّقَاقِ . يَدْلِي عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ تَرَاسَلُ مَعَ سَيِّدِنَا مَعَاوِيَةَ فِي أَصْرٍ تَسْلِيمِ الْخَلَافَةِ
خَطْبِ النَّاسِ . حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَشَاءُنَا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ شَكَّ
وَلَانَدَمْ وَانْعَاكَنَا قَاتَلَ أَهْلَ الشَّامِ بِالسَّلَامَ وَالصَّبْرِ فَشَيَّدَ السَّلَامَةَ بِالْمَدَاوَةِ
وَالصَّبْرِ بِالْجَزْعِ وَكَنْتُمْ فِي مَسِيرِكُمْ إِلَى صَفَيْنِ وَدِينِكُمْ أَمَامُ دِينِكُمْ . وَأَصْبَحْتُمُ الْيَوْمَ
وَدِينِكُمْ أَمَامُ دِينِكُمْ . إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ بَيْنَ قَتِيلَيْنِ قَتِيلٍ بِصَفَيْنِ تَبْكُونُ عَلَيْهِ
وَقَتِيلٍ بِالنَّهْرِ وَإِنْ تَطْلُبُونَ بَثَارَهُ وَأَمَا الباقيُ خَافِذٌ وَأَمَا الباقيُ فَثَاثِرُ . إِلَّا وَإِنْ مَعَاوِيَةَ
دُعَانًا لِأَصْرٍ لَيْسَ فِيهِ عَزْ وَلَا نَصْفَةٍ فَإِنْ أَرَدْتُمُ الْمَوْتَ رَدَدْنَاهُ عَلَيْهِ وَحَاكَنَاهُ إِلَى اللَّهِ
عَزْ وَجَلْ بِظَبَابِ السَّيِّفِ وَإِنْ أَرَدْتُمُ الْحَيَاةَ قَبْلَنَاهُ وَأَخْذَنَاهُ بِالرَّضَا . فَنَادَاهُ النَّاسُ
مِنْ كُلِّ صُوبٍ وَنَاحِيَةٍ « الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ وَامْضِ الصَّالِحَ »

فَأَيْنَ هَذِهِ الْعَصِبِيَّةُ مِنْ عَصِبِيَّةِ بْنِ أَمِيَّةِ وَمِثْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي عَمِلَهُ حَجَّةٌ وَفَعَلَهُ قَدْوَةٌ يَخْشَاهَا . كَانَ إِذَا رَأَى الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ
أَبِي بَكْرٍ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَصْرِ شَيْءٌ لَوْلَيْتُهُ الْخَلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْهُدَ
إِلَيْهِ لِفَعْلٍ . وَلَكِنَّهُ كَانَ يَخْشَى مِنْ بْنِ أَمِيَّةِ أَهْلِ الْخَلْلِ وَالْعَقْدِ لَمَذَكُورَنَا فَلَا
يَقْدِرُ أَنْ يَحُولَ الْأَصْرَ عَنْهُمْ لَثَلَاثَ قَرْفَةٍ وَمِثْلُ هَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ لِلْمَأْمُونِ
مِنْ ذِعْمَدِهِ لِلرَّضَا وَمِنْ هَذَا أَيْضًا الَّذِي نَرَاهُ فِي أَهْمَالِ الدُّولِ الْمُتَمَدِّنَةِ الَّذِينَ
يَحْرُصُونَ عَلَى تَقَالِيلِهِمْ فِي عَصِبِيَّةِ تَامَّةٍ يَخْيِفُونَ بِهَا الْحَكُومَةَ وَيَغْرِسُونَ
فِي قُلُوبِ أَرْبَابِهَا بِذُورِ التَّقْيَةِ وَالْحَذْرِ فَلَا يَتَأْتَى لِحُكُومَاتِهِمْ أَنْ تَجْلِبَ لِبَلَادَهُمْ
مِنَ الْبَصَائِعِ إِلَّا مَا لِيْسَ لَهُ وَجُودٌ عِنْهُمْ فَضْلًا عَنْ أَنْهَا تُسْتَخَدِمَ الْغَيْرُ فِي عَمَلِهَا . عَلَى

ان الملك انا ذم منه الشارع التغلب بالباطل وتصريف الآدميين طوع
الاغراض والشهوات ولم يذم منه الغلب بالحق وفقر الكافية على الدين ومراعاة
المصالح . واذا كان الملك مخلصاً يحمل الناس على عبادة الله وجihad عدوه .
لم يكن مذوماً . والملك الذي يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر
عنها بالكسرمية وخلافة سيدنا معاوية لم تكن كذلك بل من رأى
كثير من المؤرخين الذين لم يصح عندهم حديث (الخلافة بعدي) ان تابعه
دولته بدولة اخلفاء الراشدين وأخباره باخبارهم فهو تاليهم في الدين والفضل
والفتح العظيم برا وبحرا ومن بعده من خلفاء بنى مروان وبنى العباس الذين
فتاحوا الفتوحات وأعلوا كلمة الله في الارض وان شق ذلك على جماعة في هذه
الايات شغلو اأنفسهم بما لا طائل تحته من تقضييل وتضليل وجلسوا مجلس
الحكم في هذه القضية من قبل ان يتحرروا او ثق مصادرها والا يام تسوق لهم
كل يوم حديثاً عن سياسة دنياه وقد صرف الله قلوبهم عن النظر فيه او أولى
بهم ان يتناصحوا في خيرها وشرها ولا يتركو الناس افذاً لا يعلم أحد هم
بما يكون من عمل أخيه
اللهم ألف كلمة المسلمين ولم شعثها ووقفها لما تحبه وترضاه بمناك وكرماك
انك على كل شيء قادر

سیدنا عمرو بن العاص رضی اللہ عنہ

هو الفاتح لأعظم ركن من أركان الخلافة الإسلامية . البلد الذي هو
واسطة عقدها . أموية . وعباسية . وتركية . البلد الذي لم يتمصر قبله مصر .
ولم يذكر قبل أهله حى . البلد الذي كانت أعمال أهله ولا تزال
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

نقدمه على غيره لعلاقة السلطان . الذى بينه وبين هذا البلد وأهله لانه أول
أول فاتح اسلامى تولى فتحه بسيفه وحكمه بعدله . ولعلاقة الدين . لانه أول
من شرح الله صدور أهله إليه على يده وأطلع في صدورهم نبراسه بواسطته .
وأول مسجد خشت فيه الا صوات للرحمون وسجدت فيه الجبال للديان
مسجده الذى أسس في مصر منذ فتحها ووقف على اقامته قبلته (أى على
تحريرها) ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أجلاهم
هو سیدنا عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد (بالتصغير)
ابن سهم بن عمرو بن هصيص (بالضم) بن كعب بن لؤي القرشى السهمي
اختلف الناس في وقت اسلامه فقاتل قبل الفتح وقاتل بين الحديبية
وخيبر وقاتل بأرض الحبشة . وعاش تسعين سنة وكان يذكر ليلة ولد سیدنا
عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكان أدعيج أبياج قصير القامة عليه مهابة
الأمراء وسيماؤها . أخرج ابن أبي خيثمة من طريق الليث قال : نظر عمر
ابن الخطاب الى عمرو (رضى الله عنهما) يمشي فقال ماينبغى لأبي عبد الله
أن يمشي على الارض الا أميراً

وكان لسناً بادى الحجة يسد برأسه ثلمة السيف (وقد سدتها) ويفل

بالروية حدها (وقد فله) . قائل لم يقل بغير تفكير ولم يعب بغير تدبير . قال ابراهيم بن مهاجر عن الشعبي عن قيسة بن جابر : صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبین قرآنًا ولا أكرم خلقًا ولا أشبه سرًا بعلانية منه بلغ مقدار لحنه بحجهته ودهائه في ما يريده وما يراد منه ان سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين كان اذا رأى الوسائل يتجلج في كلامه يقول : أشهد ان خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد (يعني خالق الاصناد)

وذكر الزبير بن بكار ان قريشاً بعثت لعمرو تناظره بعد ان اسلم فقال لرسولها : أشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعسك نحن أهدى أم فارس والروم ؛ قال نحن أهدى . قال فنحن أوسع عيشاً أمة هم ؛ قال لهم . قال فما ينفعنا فضلنا عليهم ان لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها إصراراً في كل شيء وقد وقع في نفسي ان الذي يقوله محمد من انبعث بعد الموت ليجزي المحسن بالحسنة والمسيء بسوءاته حق ولا خير في التقادى على الباطل . وكان شديد الحياة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع طرفه اليه . وكان للغضبات حلالاً . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقربه ويدنه لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة الجراح رضي الله عنهم وكان أميراً لهم وكانوا يصلون خلفه .

وبعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليك ثيابك وسلامك ثم أنت فلما أتاه قال له اني أريد أن أبعثك على جيشي فيسلمك الله وينتمك واغرب لك من المال رغبة صاحبة فقال يارسول الله ما أسلمت من اجل المال بل أسلمت رغبة في الاسلام فقال يا عمر ونعم المال الصالحة لمرة الصالحة وأئى النبي صلى الله عليه وسلم على ثيابه إذ فزع أهل المدينة فزعا فتفرقوا

ففظ عمو بن العاص الى سالم مولى أبي حذيفة في المسجد فاذ ا عليه سيف
فعمل مثله خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال الا يكون فزعكم الى الله ورسوله
ا لا فعلكم كما فعل هذان الرجال المؤمنان

ذاق لذة الحاضرة وعرف حال استيطان الريف وأدرك صعوبة جلافة
البدو وما زجفاء الاعراب فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب
وكثرت الحواضر وزرعت البوادي الى القرى وفسا التأدب لم يعجزه استكمال
شيء دون استعماله مع أهله على الوجه الذي يحسن مسمعاً ويلطف من القلب
موقعًا

نظر الى دولة الروم ومملكتها نظرة اخترقت حجابها المستور وسر
تركيبها بمسبار الحكمة مع شدة احتفاظهم وقوتها بسياسة الحفاء في مجتمع رجال
دولتهم المعروفة عند جماعة المؤرخين بـ(سوسيتيه سكريت) فتبدي له من
أصر الدولة الفراق في فرافقها وأدرك أن قد آن وقت استباحة هذه المدحالت
وتخضيد شوكة هذه الدولة عن مصر

فلما كانت سنة ثمان عشرة وقدم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
(الجایة) قام اليه وخلابه وقال له فيما قال إذن لي أن أسير الى مصر وحرضه
عليها وقل انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر الأرض
أموالاً وأعزهم عن القتال وال الحرب فتخوف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله
عنه على المسلمين وكره ذلك فلم ينزل به من تعظيم أمرها وتنبيه خاطره الشرييف
إلى مزروعها ومنافعها ومحاصيل أرضها وببرها وخيبرها وفيضان نيلها وحال
أهلها حتى ركن لذلك وعقد له على ثلاثة آلاف وخمسة وأربعين ألفاً من رجال
وقال له سر وأنا مستخير الله في مسيرك فسار وافتتحها (وفي كونها فتحت

صلاحاً أو عنوة خلاف) ولم يخن الرأى في شيء مما قال ولم تعرف له كذبة فيما روى كما نشأ الرجل بين أهل هذا المصر وربى فيه
 كان نظره في ذلك على الغيب (والبلاد في عالم العماء والخلفاء) أثقب وأصدق من نظر كثير من حكومات اليوم على الشهادة (والكرة الأرضية أبسط من كف) فكم قدروا قوة أخصامهم واحتلوا وكم وطئوا بلادهم فضلوا حتى دفعوا في حروب انہکتھم ظنواها في أول أمرها العباً ولهموا ثم وصفها لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصفاً يحصر عنده المخالف والعشير فنه انه قال له عنها (بينما هي لجة بيضاء اذا هي زبرجة خضراء نيلها عجب . وترابها ذهب . وأمراؤها جلب . وهي لمن غالب)
 كيف يرى المصري الآن . هل قدر بعد ثلاثة عشر قرناً أن يفلتها من وصف عمرو بن العاص ام هي فمهما عمرو ليعلمها وعامها يحكم عليها . وكيف يرى الناظر مكان العظمة في مقال هذا البدوى ومقدار العظة والاعتبار فيه مع انه لم يتحكك بعلوم أصول الكلام ولم يحنك بفلسفة الحكماء ولم يشهر علمه بشهادات التدريس ولم يعل عليه الانور بصيرته التي هي نتيجة حسن المثبت وطيب المغرس وصيغة الأدب الدينى الذى هو فردوس النقوس تنقد بواسطة الحقائق ويحكم عليها حكماً صحيحاً تؤيده الأيام ويتحققه المستقبل
 وكان مع هذه الدنيا المقبلة والسعادة الخادمة والسلطنة القاهرة النافذة وقوله وهو على المنبر (لقد قدمت مقعدي هذا وما لا حدم من قبط مصر على عهده ولا عقد إإن شئت قتلت وإن شئت حمست وإن شئت بعت) وأسبق الناس لحق وأبعد الناس عن باطل فلم يعهد عليه أثناء ولايته عليها تقضه لم يهد ولا خفره لذمة ولا هتكه لعرض ولا نظره لما في يد الناس من الأموال والثمرات

والعروض ولم يستثمر لنفسه خيراً دون من يعول ويرعي
يستظاهر على ذلك من تأنيه وتؤدته في ارسال ما كان يحمل من مصر
إلى المدينة من الطعام ونظره في ذلك لطوق البلادو العباد وكتاب أمير المؤمنين
بلي الكتاب بطلب ذلك وهو يتحمّل العقب منه ولا يحول عن سبيله. وكما يوخذ
من جياباته لها أقل من جيابه غيره . وقول سيدنا عثمان رضي الله عنه له (ان
اللقاء بعصر قد درت أيامها بعده فقل له لأنكم أبغفهم أولادها)
ثم أزال عن أهل مصر كثيراً من البدع واذاقهم حلاوة الدين وحسبك
بعروس النيل وببدعة الجبر من بدعة ومن ازالتها من حسنة

وحسبك من مناقبه الاسلامية الغراء رضاوه بالحق على نفسه وادعاهه
له . أخرج ابن عبد الحكم عن أنس قال أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن
الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عاذ بك من الظلم قال عذت بمعاذ قال سابت
ابن عمرو بن العاص فسبقته بجعل يضرني بالسوط ويقول أنا ابن الأكرمين
فكتب عمر إلى عمرو بن العاص يأمره بالقدوم عليه ويقدم ابنه معه فقدم
فقال عمر أين المصري خذ السوط فاضرب بجعل يضر به بالسوط ويقول عمر
اضرب ابن الأكرمين ثم قال للمصري ضعه على صلة عمر فقال يا أمير المؤمنين
إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو (بم استبعدتم الناس
وقد ولدتهم أمها لهم أحرازاً)

وناهيك بهذه المنقبة الاسلامية من أمير المؤمنين وعامله رضي الله عنهم
وحسبك هذه الكلمة الطيبة خير شرعة يستقي منها جميع العالم معاني الحرية
والمساواة والأخاء والعدل والاحسان

أفلا يأسف المصري على نفسه اذا قايس بين رقيها في ذلك العهد وبين

المحطاطها الآن . شتان بين نفس تsofar لوقتها من مصر الى الحجاز للتشكيو
ضربة من سوط وبين أخرى ترى حقها من جميع الوجوه مضاعاً وهي مستأنسة
بالظلمة لانحس بالألم فضلاً عن أن تهم بالشكایة منه

أفلا ينبغي للمتبحح بفضل الاجانب أن يقصر بعد هذا الفضل وأمثاله
من مكارم الاخلاق عن الافراط في الاطراء عليهم . أفالاً يجب عليه العدل
أن يشرك قومه معهم ويضعهم في طبقتهم فيذكرهم اذا هوذ ذكر (الكونت
ميرابوه) أو (الجنرال دولا فيت) أو (روبسبيير) أو (مارا) وغيرهم من
الفرنساويين أو (كرومويل) أو (أولييفيه) الانكليزيان أو (واشنطون)
أو (فرنكلين) الاميريكانيان أو (چوردانولورونو) أو (جريبالدي) أو
(كافور) التلنيسين لأن سعي هؤلاء في تحرير أنفسهم ومساواتهم ببعضهم لم
يكن بأشرف من المعنى الذي قصده أمراء الاسلام ولكن هؤلاء نشأوا في
قوم عرفوا فضلهم فاذاعوه وسمعواه فوعوه وفضلنا ضياعه أصحابه ولا حول
ولا قوة الا بالله

هذا بعض الشيء من سيرة هذا الفاتح وبقى شيء لا بد من ذكره
والثنوية به تذكره لأخوتنا القراء . قال ابن حجر في الاصابة : « ان عدالة
الصحابية ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم و اختياره لهم
فمن ذلك قوله تعالى (كنتم خيراً ملة أخرجت للناس) و قوله (وكذلك جعلناكم
أمة وسطاً) و قوله (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة
فعلم ما في قلوبهم) و قوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسنان رضي الله عنهم ورضوا عنه) و قوله (يائيا النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين) و قوله (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من

— سيدنا معاوية رضي الله عنه —

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية
عبدشمس بن عبد مناف القرشي الاموي
كان أبوه أبو سفيان أحد أشياخ مكة أسلم بعد الحديبية على ماحكاها الواقدي
وقال غيره بل يومها وكم اسلامه عن أبيه وأمه حتى أظهره يوم فتح مكة
(وهو مثل الذي وقع لعباس رضي الله عنه اذا أسلم بدر وكم اسلامه الى
قبيل الفتح)

قال أبو نعيم : « وكان من الكتبة الفصحاء وهو من كتب الوحي بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أمينه على وحي ربه جل وعلا »
وكان من أكبر العرب نسباً وقرباً منه صلى الله عليه وسلم حاز شرف
الإسلام وشرف الصحابة وشرف النسب وشرف المعاشرة المستلزم لرافقته
له صلى الله عليه وسلم في الجنة وشرف الحلم وشرف العلم وسودد الامارة
والخلافة وكفى بنسبيه خيراً قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح « من
دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ». ميزه بذلك صلى
الله عليه وسلم دون غيره زيادة في اعلان شرفة و مجده
روى عن أجيال الصحابة كأبي بكر و عمر وأخته أم المؤمنين أم حبيبة
وروى عنه أجيالهم وفقيهاؤهم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله
ابن الزبير وغيرهم فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى مائة وثلاثة
وستين حديثاً

كان عاقلاً لبيباً عالماً حكيماً ذاهية في السياسة والكباشة وهو الذي

قال «لو كان بيني وبين الناس شرة مانقطعت» قالوا وكييف ذلك يا أمير المؤمنين
قال « اذا جذبوها أرخيتها وان أرخوها جذبها »

حسن التدبير حكيمًا فصيحةً بليغاً يحل في موضع الحلم ويشتدد في موضع
الشدة والحلم عنده أغلب . كريماً باذلاله يكرم الوافدين ويحسن القرى
ويقضى الحوائج . اختلفت الناس في حبه ولم يختلف في فضله
مخايل فضل نسأله فيه وثبتت ونعت معه حتى صرف شمائل كالوخلال
خير وجلال . اخرج أبو سعيد المدايني قال نظر أبو سفيان إلى ولده معاوية وهو
غلام فقال إن ابني هذا العظيم الرأس وانه خلائق أن يسود قومه فقالت أمه
(قومه فقط ! ! ثكنته ان لم يسد العرب قاطبة !!)

قال ابن عباس رضي الله عنه وكان من النقاد « مارأيت للملك أعلى من
معاوية ». رواه البخاري في تاريخته أو قال : « مارأيت اليق من اعطاف معاوية
بالرأسة والملك » وقال عبد الله بن عمر مارأيت بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسود من معاوية بن أبي سفيان . قالوا وأين أنت من أبي بكر وعمرو وعثمان
وعلى ؟ قال أولئك أفضل منه وهو أسود منهم

ووصفه عبد الملك بن مروان عند ماصر قبره فقال : « انه كان ينطق
عن علم ويسكت عن حلم . كان اذا أعطى أغنى واذا حارب افني »
نعم لقد كان سائس أمم ومربي دول وداعي ممالك وكفى بقول سيدنا
عمر بن الخطاب جلسائه يوما : « تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم
معاوية ؟ » دليلا على انه سباق للعظائم من الامور

وكان يهون عليه كل شيء اذا ابتسم أمر الملك وبدا صلاحه فابتكر في
الدولة اشياء لم يسبقها اليها أحد . منها الاسطول لحية التغور ووقاية فروج

البلدان من تطرق الاعداء . والبريد لسرعة وصول الاخبار بتجددات الاحوال وناهيك بها من نعمة علمت من ايها الملل الان فما زالت ترقى حتى كان من بعض خدامها تيار الكهرباء وأجنحة البخار . وديوان الخاتم وهو ديوان به نواب فاذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الامور ووصل التوقيع الى ذلك الديوان اثبتت فيه نسخة وختم عليه بالشمع وختم بختم ذلك الديوان لضاهاته عند المزوم لمراجعة الحساب

وفضائلها كلها غير منها مارواه البخاري ان مولى عبد الله بن عباس قال له انی رأیت أمیر المؤمنین معاویة بن أبي سفیان أوتر برکة فقال له «ان معاویة فقهه» ومنها مارواه الترمذی وقال انه حديث حسن ان رسول الله صلی الله علیه وسلم دعا معاویة فقال : «اللهم اجعله هادیاً مهداً» ومنها ما أخرجه الحارث بن أسامه من انه صلی الله علیه وسلم ذكر مناقب الاربعة اخلاقه وجماعة آخرين من أصحابه ثم قال : «معاویة بن أبي سفیان أحلم أمتی وأجودها» . مما عنه بهذه الدعوة المباركة المقبولة مضائق النفس وثورانها وزرع عنه حب الدنيا الذي هو رأس كل خطية . ولا أحسن من هاتين الصفتين كالأقبح من الغضب والبخل . وأخرج مثله «المنلا» في سيرته ونقله عنه الحب الطبری في رياضه انه صلی الله علیه وسلم ذكر مناقب اخلاقه الاربعة وجماعة من أصحابه ثم قال : «ومعاویة بن أبي سفیان أمنی وصاحب سری» ومنها انه دخل صلی الله علیه وسلم على زوجته أم حبیبة ورأس معاویة في حجرها وهي تقبله فقال : «التحبینه فقالت وما لأخبأ أخرى ؟ فقال صلی الله علیه وسلم ان الله ورسوله يحبانه»

ومنها مارواه الحافظ أحمد بن منیع قال قال النبي صلی الله علیه وسلم

«عزيمة من ربى وعهد عهده الى أن لا أتزوج الى أهل بيته ولا أزوج بناتي
بناتي لأحد إلا كانوا رفقاني في الجنة»

ومنها بشارته بخلافة فقد روى أحمد بسنده حسن ان معاوية رضى الله عنه أخذ الاداوة (١) لما اشتكي أبو هريرة وسار بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فینما هو يوضئ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع رأسه اليه مررة أو مرتين وهو يتوضأ فقال يا معاويه ان وليت أمر افلاق الله واعدل ولی قيادة الجنود في الشام وثور الروم في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (وذلك بعد موت أخيه يزيد الخير الذي كان قائداً لهذه الجنود فرض فاستنابه منابه حتى مات فأقره سيدنا عمر بن الخطاب) وناهيك ببصيرته الفاروقية في الانتقاد والانتقاء لمثل الشام في ذلك الوقت المتهبة فيه قلوب أهل البلاد بinar الحقد على جماعة المسلمين إثر الفتوحات الإسلامية والمصاعب المكتنفة بذلك المقام فأقام فيها نحواً من عشرين سنة عاماً لسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان ثم أضاف إليها مصر ثم تسمى بخلافة ومكث نحواً من عشرين سنة أخرى خليفة ولم يشك أحد من معاويه رضى الله عنه بل كانت الناس راضية عنه عاماً وهم في عبد خلافته أرضى .

ومن عجائب فراسته انه قال «ان أهل مكة أخرجوه سول الله فلا تكون الخلافة فيهم ابداً . وان أهل المدينة قتلوا عثمان فلا تعود الخلافة اليهم ابداً» مثل اذا شئت معرفة فضل سياساته وشخص انت اردت الوقوف على مقدار مدارك عقله ونبه الموضع الذي صارت اليه الامة الاسلامية

(١) الاداوة المطهرة وهي آناء لاما من جلدي دف خلف الرأك وهو ما يعبر عنه في العرف (بالزمنية)

بعد فتح الشام وثوره والمقام الحرج الذي صار فيه قائلها وحاكمها وتأمل
كيف كان حالها في نظر أمّة الرومان وجمهورية روما أولاً. ثم امبراطوريتها
ثانياً. لاعتبارهم ايها أقدس مكان لانها وطن الانبياء . ومكان العجزات .
وميدان الاديان . وبعد فتح مصر التي أقل وصف لها ما قاله الاسكندر
المقدوني « ان مصر من كنز للعالم بأسره اذا انبعثت منها أنصاف اقطار فانها
ترجع جميع الامصار فيسهل على القابض عليها أن يصل منها الى حيث يريد
ويختار » لأنك تدرك من كنز الشرق الاسلامي ازاء هذا الحال .
ومن كنز العرب إزاءه أيضاً وتعتقد انه من أعسر المواقع واحرجها

أنشاً سيدنا معاوية رضى الله عنه في سنة ٢٨ وهو عامل الشام في خلافة
سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه استطولاً سافر به في البحر فافتتح جزيرة
قبرص وكان في عمله هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم
حرام . أخرج البخاري عن أنس بن مالك عن أم حرام (بالفتح) بنت ملحان
وكان خالتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من القيلولة) في بيتهما
فاستيقظ وهو يضحك فسألته فقال « عرض علىّ أناس من خيار أمّتي يركبون
سبعين البحر الأخضر كملوكه على الأسرة قالت فقلت يا رسول الله أدع الله
أن يجعلني منهم قال أنت من الاولين » قال فتزوجها عبادة بن الصامت
فاخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعها . وقال بن الاثير وكانت تلك
الفزوة غزوة قبرص فدفت فيها (١) وكان أمير ذلك الجيش سيدنا معاوية

(١) أم حرام لأم هانيء كا زعم بعضهم (عند ذكر خبر المسجد الذي شيد
مولانا السلطان في قبرص) قالوا على قبر أم هانيء
وأم هانيء لم تهاجر من مكة والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أبي سفيان وضرب عليهما جزية عظيمة
ثم فتح من الجزر إقريطش (كريد) وجزيرة (كوس) وجزيرة
(رودس) وجزيرة (ارواده) قرب القسطنطينية ومن البلاد لحد قيسارية
(قىصرىه)

انظر اعمله رضى الله عنه في فتح هذه الجزر تجده أدرك بصيرته المعنى
الذى لا حظته دول أوروبا فيها الآن وأصبحت تناثر علىها من أجله وان عمله
في ذلك الوقت عمل الحكيم الحليم العاقل الحازم الذى قيل فيه
البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها

صان كرسى الملك بالآبرة والمعظمة وجلب اليه القلوب بحسن الجاملة
وملكتها بجميل المعاملة فهابه العدو وطماع في كرمه الصديق وجيش المسلمين
في ذلك الوقت لم يصل الى مائة ألف مقاتل وجميعه منتشر في البلاد من الشام
إلى أرمينية ومنها إلى مصر وغيرها من الجزر القصوى والأراضى التي افتتحت
من بلاد العرب إلى الصين

كانت الدولة في عهده بدوية حضرية فكان اجتماعها وتعاونها في حاجتها
بالمقدار الذي لا يورث الرفة والدعة والترف البالغة وبالغها في عهد المعاش
والمسكن فكانت الأمة مقبلة على الدنيا بالمقدار الضروري فقط . محافظة

خطبها بعد هرب زوجها هبية الى اليون وبقائه على كفره حتى مات فقالت له اني مصيبة
فأخاف أن يؤذوك يا رسول الله فأنهى عليها فقال (خير نساء ركبنا الأبل صواتهن نساء
قربيش احنا على ولدوا رعاهم على زرج في ذات يد) ثم لما نشبنا بنوه اعرضت نفسها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الآن فلا فقد أنزل الله قوله تعالى (انا أحملنا لك
أزواجك اللاتي أتيت اجرهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات
عماتك اللائي هاجرن معك) فأم هانيء ما هاجر مع الرسول فضلا عن الذهاب لقبرص

على بعد من الانفاس في الترف وأسباب الشهوات التي لا توجد دواعيها إلا في نهاية العمران والحضارة اللذن هما نهاية الشر والبعد عن الخير

ثم انفرد له الامر خارب الروم بمحيرا وغزاهم برّا وأغرق من سفن
قسطنطين الثاني جزاً عظيماً في خليج (الصيالوق) بسواحل اقليم (ليسيا)
من الأناضول في سفح جبل (فينكس)

ثم زاد في مقدار اسطوله وسیره في زمن الربيع حتى بلغ به سواحل
مرسرا فنزل غرب القسطنطينية وحاصرها ست سنتين يؤخر في كل سنة
(في تشرين الثاني) الموافق (نوفمبر) أساطيله إلى مينا (سيزونقه) التي كان
استولى عليها ثم يعود للحصار زمن الربيع

ثم سير جاشه الكثيف وأمر عليه سيد ناسفيان بن عوف وأمر ابنه
يزيد بالغزاة معه فتقاتل واعتقل فأمسك عنه ثم أصاب الناس في غزاته مجموع
ومرض شديد وسم عن يزيد بيتهن وهذا

اذا جلست على الامانات من تفاصيل دير سمعان حول أم كلثوم
فما أبالي بما لاقت جنسودهم بالفرقدونة من حمى ومن مسوم
فعلم انه أراد بتشافله اتمام لذاته فاقسم ليلحمن بسفيان بن عوف في
أرض الروم ليصييه ما أصاب الناس وسار وكان في الجيش سيدنا أبو أيوب
الأنصاري فاقتتل المسلمون واشتدت الحرب بينهم وتوفي أبو أيوب عند
القسطنطينية بالقرب من سورها وهو من شهد المشاهد كلاماً مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وصفين مع «علي» وغيرها من حروبه
وفي تشديده على يزيد في اللحاق بالجيش مالا يخفى من انه لاتأخذنه
في الحق لومة لأم ولا يعرف فيه قرابة ولا رحمة ولا يصون نفسه ولا أولاده

عن الجماد في سبيل الله ومقاسمه المسلمين فيما هم فيه من خير ومن شر ثم استمرت الغزوات برأً وبحراً وقوادها فيها (بسر بن ارطاه) و (سفيان ابن عوف) و (فضالة بن عبيد الانصاري) و (مالك بن عبد الحثمي) و (عمرو بن يزيد الجهني) حتى فتحوا من البلاد في مدة وجيزة مالوا أردا ذكر خبرها لاستلزم أسفاراً ضخمة

اختصوا بالغاية الاهلية خالقهم القوة واحتضنهم السعادة فلم يخرفوا عن سن الاعتدال ولم يغلب الرجل منهم على رأيه غالب. ولم يلتفته عن هادئ الرضا وأدئي السخط . وتقوا من أنفسهم فوثقت بهم الأمة وأصبحوا متدينين في أداءهم غير مختلف الاهواء

والى هنا يحق للقلم أن يقف دون وصف غربابه هذا المشهد الذي تقاوت فيه مراتب الهمة والعزمية الى أعلى ما يمكن من منازلها الرائعة . يحق له أن يقف دون العجب من هذا الحال الذي فات سعة العلم وتمدى قوة العقل واصالة الحكم وذهب بكثير من الناس الى ما وراء عجب المحسوسات وعلاهم فوق ماتتخيله الافكار . الا عارف يخربني كيف كان ذلك : مقام الخلافة يحفظ . ومعظم جزر البحر المتوسط تؤخذ . وبالاد الى حدود الصين تفتح . والروم تهدد وتحصر وجيش الدولة لا يبلغ مائة ألف نفس على الاكثر منشر في الجهات كما ذكرنا وعلى فرض اجتماعه فهو جزء من ثمانين من الثمانية ملايين الذين تحت حكومة هولاندا من مسلمي الجاوه الان فضلا عن بقية الملايين المنتشرة على وجه الارض

ما بالهم تعددوا بعد توحدهم وتفرقوا بعد تجمعهم ؟ أين التناصح بالحق والتواصي بالصدق والاعتصام بالصبر ؟ أين الحق الذي فرض على كل مسلم

القيام به لدينه ونفسه وأهله وبلده ووطنه ؛ اللهم اما ان أولئك كانوا ارقوا عن أفق الإنسانية الى عالم سماوى أو تكون هــذه الملايين انحطت عن أفقها الانساني الى أفق العجاوات !

اذا كان لابد من مذــكر بالخير ومشير بالرأى فايتحقق لمن هو مطلوب منهم الاصلاح وهو كول اليهم أمر الامة وهم المسؤولون عن كل صغيرة وكبيرة تلامسها بين يدى الخالق والخلق . ان البدع والتعاليم الفاسدة التي فرطوا في منعها جعلت المسلمين شيئاً وأذاقت بعضهم بأس بعض حتى صار السكل غرضاً لسهام مظالم الاعداء . ولا تزال الامة تزداد تفريقاً حتى تزعزعت عقائدها وفسدت آدابها وتجبرأت الناس على استباحة المحظورات وأصبح لها أثــير في العوائد والأخلاق

ان بــاب هذه الفتــن انما فتح على الــمة بــانصراف كــبارها عن الجادة المستقيمة وان الله لم يطلع على احوالهم عــالم بما اضــاعوه من أمر عــباده ولقد كان لهم سوءــ الأثر في تضليل هذه العقول وفسادــ الاخلاق وانحطاط شأنــ القوم الذين رزــوا بهم فــيليقوا الله في هذه الــمة ولــتعلم هــي انــما اسرــفت على نفــسها وانــ هي افــاقت اسفــ كلــ اسفــ على ما فــرطت وندمت وانــ كان النــدم لا يــفعــلــها على مــافــات فــربــما يــنــبهــها الى ما هــوــ آــتــ

هــذا بــعضــ الشــئــ منــ هذهــ الســيــرــةــ الجــلــيلــةــ ســيــرــةــ هــذــاـ الفــاتــحــ وــأــصــاحــبــهــ وــرــجــالــ دــولــتــهــ الــذــينــ جــمــعــوــاـ أــصــرــهــ بــعــدــ الشــقــاقــ عــســانــاـ نــعــظــ بــهــ فــنــلمــ شــعــثــ الفــرــقةــ . وــقــدــ نــبــعــ قــوــمــ يــنــتــقــصــوــنــ فــعــلــهــ وــيــنــالــوــنــ مــنــهــ وــهــ أــقــلــ مــنــ اــنــ يــعــدــوــاـ فــيــ مــصــافــ الرــجــالــ (ــوــإــنــ يــســلــبــهــمــ الــذــيــابــ شــيــاـ لــاـ يــســتــقــذــوــهــ مــنــهــ)ــ وــلــكــنــ أــهــلــ الســنــةــ جــمــيعــاـ عــلــ حــبــ أــصــاحــبــ النــبــيــ صــلــيــ اللــهــ عــلــيــهــ وــســلــمــ وــدــفــعــ التــأــيــمــ عــنــهــمــ كــالــشــأنــ فــيــ الــمــجــاهــدــيــنــ لــاـنــ

الله امتن عليهم بعنة لم يشار لهم فيها أحد وهي حلول نظر رسول الله صلي الله عليه وسلم فيهم وامداده لهم بما قطع غيرهم من الاجوقة لهم في باهر فعلهم وكالمتهم وعظيم استعدادهم وسعة علومهم وحقيقة شرفهم فallahم ارض عزهم واحشرنا معهم واجزنا بهم حبهم خيراً واهدنا لبعض عملهم هذا . آمين يا رب العالمين

الوليد بن عبد الملك

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف أبو العباس الاموي بويع له بعهد أبيه يوم الجمعة النصف من شوال سنة ست وثمانين وهو ثانى الخلفاء المروانيين أى بلا دفتتح وأى مساجد عمرت وأى آية للحضارة والعمران ظهرت في عهده - هذا الخليفة المجاهد المقدام الفاتح أى الايات وثمال اليتامي وملجأ العجزة والمساكين الذى شرح القلوب المهزومة ببره وفتح البلاد المستحكة بسيفه وعدله شيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في فعله وفتحه وانتشار الاسلام بفضله حتى قالوا وأيامه ك أيامه كأنما كان في فعله مت Hwy ما كان الوجدان من القلوب ومقبر التصديق من العقول . لذلك تجد الذى عمره من المساجد وشيده من مواضع العبادة من أنفس ما يتقرب به إلى الله العامل العايد . وما فتحه من البلاد والممالك من أشرف ما يفتخر به الانسان الفاتح القائد . فتراه مثلًا يجدد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشرق ويفتح الاندلس للمسلمين بالغرب . إن ذلك لم أعظم نتائج الفطنة وثمرة المعلم . ولذلك كان عصره من أرقى العصور مدينة وأغزرها فتحاً واسعاً وعمراً وأجلها عظمة وأبهة لاشتراك الامة في أعمال الخير وانصرافها في سبيل المجد والاجتهد وتوجه سعيها في التغلب على الغير والذب عن الحوزة ولـى الخلافة في أواخر سنة ست وثمانين كما قدمنا فـا دخلت سنة سبع وثمانين عليهـا وهو مقسم أوقاتها بالفـكر والخيال جـاعـلـ أيامـها وساعـاتـهاـ يـانـبعـ

سعادة ووسائل ارتقاء

بدأت بعيين عمالة في البلاد التابعة للخلافة الإسلامية بانتقاء وانتقاد يفوقان حد الوصف ويتعديان موضع التحري وحسبك انتقاء مثل سيدنا عمر بن عبد العزيز أميراً على مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد جمع بين المسجد وحاجاته وخلي بين الخطيب ومنبره

ثم شرع في بناء جامع دمشق الذي هو احدى عجائب الدنيا جمع فيه مائة ألف ماهر من الصناع وحمل إليه أربعين حملاً من الفسيفساء هدية من ملك الروم ثم أتت وفود مشاهدته فصر عترتهم عظمة واستغذتهم أبهته وناهيك بهيبة مكان سلالل قاديه من الأجيال المسبوك . ثم كتب للجهات بتوسيع المساجد وبنائهم كتب بداخل حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده وتوسعته بما ترى ذراع وهكذا جدد المسجد الحرام ومسجد قبا ومسجد مصر ثم ولى القتوح وسير قبيبة بن مسلم الباهلي من أكابر قواده ففتح خوارزم وسمرقند وسردينيا

ثم دخلت سنة ثمان وثمانون فيهز مسلمة أخيه والعباس ابنه لغزو الروم فجمعت خمسون ألفاً مائة ألفاً في الملاقي العسكرية غلبت الروم وفتحت بلاد كثيرة من مملكتها وفي سنة تسعة وعشرين فتحت جزيرتا (منورقة) و (ميورقة) من جزر بحر الروم شرق الاندلس . وفي سنة تسعين فتح عسكري الاسلام (نصف) ومدائن أخرى وخصوصاً من أذربیجان كثيرة وفتح محمد بن مروان جهة دربند (١) وخصوصه ودان له ماوراء باب الابواب (١) وفتح الحجاج

(١) راجع دائرة المعارف وجغرافية ملطبرون في الكلام على هذين الموضعين لمجد مايدل على ان دربند أو باب الابواب هو سد ذي القرین عليه السلام

بنخاري ووصل محمد بن القاسم لارض الهند ودخل قتيبة (قشغر) اول مدن الصين وافتتحها بعد حرب عوان لاقى فيها ابن اخت ملك الصين في مائة ألف مقاتل

ثم دخلت سنة اثنين وتسعين وكان موسى بن نصیر امير المغرب وعامله على افريقيا وكان استنزل يوليانوس لطاعة المسلمين بعد حروب كثيرة وعرف منه السبيل لفتح الاندلس فارسل خيرة القواد طارق بن زياد الليثي لفتحها فجاز طارق البحر في (٣٠٠) فارس من العرب واحتشد معهم من البربر نحو من عشرة آلاف وصيروها عسكرين ترأس على أحدهما ونزل به جبل الفتح الذي سمي باسمه . والاخر رأس عليه طريف بن مالك النخعي فلقيهم رودريك في نحو من أربعين ألف فارس فهزموه وافتتحوا البلاد وغلبوا على ما بآيديهم مع كثتهم وقوتهم لأنهم مقبلون بقلوبهم متهددون بوجوههم

فلما بلغ خبر هذا الانتصار موسى بن نصیر استخلف على القيروان ولده عبد الله ونهض في سنة ثلاثة وتسعين في عسكر عظيم ودخل الاندلس وأتم الفتح الى برشلونة في الشرق وأذربونه في الجوف وضم قادس في الغرب أصبحت الاندلس وهي المملكة المعدودة في الرتبة السادسة بين الملك الاوروبياً داخلاً تحت حكم مملكة العرب وجناح الاسلام يرف فوقها غرباً وفوق قارة اسيا شرقاً

انظر لعزيمة هذا الفاتح الجليل ومضاعفة الدين واليقين لقوته . أجمع رأيه أن يأتي الى المشرق من ناحية القدسية ويتراوّز الى الشام خائضاً ما بينها من أمم الفرنجة والاعاجم وغيرهم يعني انه يخترق مملكة فرنسا من شمالها فيدخل فيها ثم يمرج من غرب ارض سويسره أو مملكة جرمانيا ثم يدخل في مملكة

استوريانم الى الروملی الى القسطنطینیة الى الاناضول فدمشق اوما حوالی ذلك . وكاد يكون ذلك لولا حرص الولید على جماعة المسلمين وقلقه عليهم وموالاة كتبه لموسى بن نصیر بالعودۃ وزوم طاعته فقتل راجعا وولي ابنه عبد العزیز عليها وأسكنه قرطبة ومن هنا اتصلت العرب بأراضی الفرنجية وتغلوا فيها ثم دخلت سنة ثلاثة وتسعين ففتح فيها مدینة أربيل والكرخ والبيضاء وخوارزم وفتح في سنة أربع وتسعين کابل وفرغانہ والشاش وفتحت أقصى جهة الباب ومدینة طوس في سنة خمسة وتسعين ثم دخلت سنة ست وتسعين التي أراد الله أن يتقلص ظل هذا الخليفة العادل عن الدولة فيها ولا معقب لحكمه ولا رب سواه فقضى رحمة الله بدير مرآن وحمل على أنقاض الرجال ودفن بدمشق وتولى دفنه سیدنا عمر بن عبد العزیز فودع الدنيا مصالحاً خيراً أهلها . وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر استقر فيها نصارى الدولة في مقر عزه من السلطان والقدرة وكالفضيلة ولو لا ان عاجله الغناء لاقتصر من الممالك الاوروباوية ممالك عظيمة وشيد خلافته ومهد لعصابته ما هو أجل وأنهم مما شاده وبناء وقد رزقه الله حظا في نفسه وذريته وأهل بيته فولد له من الذکر ان أربعة عشر منهم ولده عمر خل بنی مروان الذي كان يركب في ستين من صلبه

اتسعت ممالك الاسلام في دولته اتساعاً لم يعهد له مثيل وجي من الاموال شيئاً كثيراً وكانت الدولة في عهده غاية في الثروة وكان في بيت ماله ما يكفي الحاجات وذوى الحاجات ستة عشر سنة وتحت الناس على الابنية والعمارات وبناء الضياع وأصلاح الله به وبهم الارض فحالو القفار حواضر وتهیأت الامة واستعدت لقبول كل خير وكان مع اتساع هـذا الملك وزيادة عمر انه يقطا في امر دولته

لَا تفوته الذرة ولا تكاد نفوس أعدائه تحدث سرها بمخالفته وكانت له عيون
تطالعه باخبار الناس منبئة في كافة أرجاء ممالكه ليفو واله على متجددات
الاحوال . من ذلك ما يحكي ان الميصم بن جابر أحد الخوارج عليه اختفى وهرب
إلى المدينة لما أحس بشدة التضييق عليه والطاب له ثم أطال شعره واختضب
وغير من شكله وهىئته ودخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد ثم بلغ الوليد ان
أمره هذا قد أدى الحجاج فنقب عليه مرة فعلم ان الرجل بالمدينة على الهيئة
التي ذكرناها فكتب الى عثمان بن حيان بالمدينة يتبئه بأن الرجل عنده ويصف
له من أمره وحاله ما هو عليه فقرأ عثمان الكتاب على الناس والميصم جالس
فنظر اليه رجل كان بجانبه وقال له ما أنا بخليك وبقى عليه وأتى به عثمان
ابن حيان وأقر انه الميصم

ومن فضائله انه كان يختم القرآن في ثلاثة وكان يبر حملته ويقضى عنهم
ديونهم وكان محباً للخير محبواً عند الناس ساهراً على مأفيه سمو مقام اخلافة
وهو أول من حمل الطعام الى المساجد .

ومن غير أعماله التي سبق بها من جاء قبله وأتعب بها من جاء بعده
انه حبس المحذومين والعميان والزّمني وأجرى لهم الارزاق وبنى لهم البيمارستانات
وحشر اليها المرضى وأعطى كل ممتعد خادما وكل ضرير قائداً وشيد التكايا
وجمع فيها المعوزين وقال للمحتاجين لا تسألوا

هو اول من لاحظ أمر الصحة بأشرف معانيه فقطع بين أصحاب العلل
والاصحاء ووصل بينهم وبين النعمة والاحسان فمنع تلك الوجوه المحتاجة
من الخروج للطلب في الاسواق وكلف القادر الصحيح بالخدمة والعمل
فحقق انصافه بين الوعية بالعدل لان في ازواط الممتعد ظهور القادر الذي وفقه

الله للعمل يتميز بعمله منهم ويرأ بنفسه ان يرى عالة على الناس . وشاهي في الاعتناء بأصر الصحة حتى كان من عوائده سؤال الاطباء عن أهوية البلدان ونفعها للاصراض فلما سمع منهم ان هواء دمشق ينفع المجنودين أسس هناك بيادستانا للمجنودين لازالت آثاره باقية خارج المدينة للآن وهو اول من وضع المنار في الطرقات وناهيك بهامن نعمة تحقق الأمان العام وتستدعي زيادة العمran

وهو اول من وضع علامه الاميال في الطرقات مابين المدينة والشام وغيرها ورقم عليها اعداداً ليعلم المسافر القدر الذي قطعه والباقي عليه من سفره وهو اول من حفر الآبار من الشام للمدينة ومن المدينة لتكثيف شرب منها الوارد والمتردد

أفلا ينبغي لنا ان نذكره بالخير اذا رأينا الان اهتمام المالك والجمعيات بأصر الصحة العمومية وجمع الاعانات لها وعجزهم على كثرة مواردهم عن القيام بما كان قائماً به الوليد

أفلا ينبغي أن نذكره بالخير اذا رأينا الان عدد الكيلومترات على جانبي السكة الحديدية وهي العلامات التي كان هو اول من وضعها بالفوائد التي بينها ولضبط موقع الواقع من خير أو شر . نعم ينبغي لنا ذلك لنعرف للمبتكر حقه في الفضيلة وللمخترع قدره في الاحسان . وباجملة فقد كانت الدولة والأمة في مدة آية في العمran والحضارة وتشييد مواطن الخير والبر والاحسان فلا تتجدد بقعة الا وفيها شيء من ذلك

كثرت في عهده اخیرات ولم يهد عليه فيها شيء من أبواب الظلامات كتسخير الرعایا بغير حق او اعتصاب شيء من معاشهم ومكاسبهم من اعماهم

ولم يدخلضرر على أحد بانتهاص عمرانه أو تخريب جداره لغاية له . ولم يتسلط على أموال الناس بشراء مابين أيديهم بأنفس الآمن و لم يجنب الى المكوس وزياحتها والتناهى فيها لاحد الذي لايجيزه دين ولا شرع ولا عقل ولاطع كرايئه وسمعتنا به . وهذا مصداق مقالة الموبذان (ابراهام) ملك الفرس من ان الملك لا يتم عنده الا بالشريعة وهي بمحبة العدل والاخوف من الله وهو رأس الحكمة (لأنه لا شيء بعد القيام لطاعة الله والتصرف تحت أمره ونفيه) ثم لا قوام بالشريعة الا بالملك ولا عز للملوك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخلية نصبه الله وجعل الملوك قيمة عليه

هذا حال الدولة وهي في نشأة الحياة تسرى روح العدل فيها من السلطان
الي أهلها إلى حاميته إلى جنده إلى أمته إلى جميع رعيته بالتشبه والاقتداء فتجد
الكل سواء في الملابس والشارات والعوائد والأخلاق والاحوال والتماثيل
في الجدران والمصانع والبيوت وهذا معنى قولهم «الناس على دين ملوكهم» لأن
الملك غالب والرعية مقتندون لاعتقادهم الكمال فيه . أما حالها وقد صارت إلى
غير ذلك فالتكاسل والاستهانة حتى تصبح الأمة عالة على غيرها ويقصر
الأمل فيها ويضعف الاعمار ببطال النشاط واحتلال القوى وتبلاشى
المكاسب والمساعي لعجز الناس عن المدافعة عن أنفسهم وعمما في حوزة -
ونقى يذهب مالملك من
الإباء والجمال وتغشى الناس أخلاق الحقد والحسد فإذا تم ذلك والعياذ بالله
عمت النكبات والمصادرات وضفت الشوككة الخارجمة وأصبح سهم القدرة
لا يتعدي الامة وأصبحت هي معرضة للهلاك والله أعلم

٥٠ سليمان بن عبد الملك

هو سليمان بن عبد الملك أبو أيوب من خيار خلفاء بنى مروان . ولـى
الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين . وتوفي
في سنة تسع وتسعين . فكانت مدة خلافته ثلاثة سـنـيـن وثلاثة أشهر .
بدأـقـ . بين حلب وعتـابـ . كان طويلاً جميـلاً فصـيـحاً لـسـنـاً أـدـيـباً متورعاً عن
الدماء مؤثراً للغزو . روـيـ قـلـيلاً عن أبيه وعبد الرحمن بن هبيرة
وروـىـ عنه ابنه عبد الواحد والزهـرـىـ . كان حـسـنـ السـيـرـةـ يـرـجـعـ إلىـ دـيـنـ
وصحـيـةـ لـلـحـقـ وـاتـابـ لـلـقـرـآنـ وـاظـهـارـ لـلـشـرـائـعـ الـاسـلـامـيـةـ . وـهـوـ أـسـخـىـ بـنـىـ أـمـيـةـ
وـبـنـىـ مـرـوـانـ بـالـدـرـهـ وـالـدـيـنـارـ

استـكـتـبـ يـزـيدـ بـنـ الـمـهـلـبـ وـالـفـضـلـ بـنـ الـمـهـلـبـ وـعـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ الـحـارـثـ
ابـنـ الـحـكـمـ . وـكـانـ خـطـيـباً فـنـ خـطـبـهـ الـمـوجـزـ :
«أـيـهـ النـاسـ اـتـخـذـواـ كـتـابـ اللـهـ اـمـاـمـاًـ وـارـضـواـ بـهـ حـكـمـاـ وـاجـعـلـوهـ لـكـمـ
فـلـأـدـاـ فـانـهـ نـاسـخـ لـمـاـ قـبـلـهـ وـلـنـ يـنـسـخـهـ كـتـابـ بـعـدـهـ»

كان وزـيرـ سـيـدـنـاـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ صـفـوةـ أـهـلـ زـمـانـ فـكـانـ يـتـشـلـ أـوـاصـرـهـ
في كلـ خـيـرـ وـكـلـهاـ خـيـرـ فـأـصـبـحـ جـمـيعـ مـاـسـرـفـ فـيـهـ الـحجـاجـ مـنـسـوـخـاـ : عـزلـ
عـمـالـهـ وـأـخـرـجـ منـ كـانـ فيـ سـجـنـ الـعـرـاقـ وـرـدـ الـمـنـفـيـنـ وـأـحـيـ الـصـلـاـةـ لـأـولـ
وـقـهـاـ . ثـمـ اـسـتـخـلـفـ عنـهـ سـيـدـنـاـ عـمـرـ فـقـتـحـ أـعـمـالـهـ بـخـيـرـ وـخـتـمـهـ بـخـيـرـ فـسـمـوـهـ
مـفـتـاحـ الـخـيـرـ

لمـ يـقـصـرـ فيـ مـدـتـهـ عـلـىـ قـلـتهاـ مـنـ التـوـسـعـةـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ بلـ كـانـ أـيـامـهـ ذـاتـ
فـتوـحـ مـتـوـالـيـهـ وـكـانـ غـيـرـ أـشـدـيـدـ الغـيـرـةـ فـامـتـدـتـ الـدـوـلـةـ فـيـ مـدـتـهـ إـلـىـ آخـرـ بـلـادـ

الأندلس واستتب له الأمر فيها وفتحت مدن الصقالبة . وحصن الحميد
وسردا . وشفا . وجرجان . وطبرستان . وناهيك بها وما أعي سابور
ذا الاكتاف وكسرى قباد . وكسرى بن هرمنز . بل مما أعي عمر وعمان
ومن بعدهما من خلفاء الله تعالى رضي الله عنهم

كانت الطريق قبل فتح جرجان مخوفة يتوسطها الاشقياء فيقطعون
السابلة ويفسدون في الأرض . فكان بهذا الفتح إسالة ستر الأمان على كل
قصد لتلك الجهات للانقطاع من خيراتها التي كانت محظوظة بهؤلاء الاشقياء
حج بالناس سنة سبع وتسعين ومعه سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه ففرض لأهل المدينة أربعة آلاف فرض لقريش خاصة ليس لهم حليف
ولا مولى . فدخل جماعة من قريش عليه وقالوا له : إننا جعلنا ذلك لموالينا .
فرض سليمان أربعة آلاف أخرى

ثم بعد قضاء الفريضة على أكمل أوجهها عاد إلى مقر خلافته ونذر أخاه
مسلمة وقطع معه البووث على أجناد الشام والجزيرة وجمع آلات الحرب
للسيف والشواء والمحارق والنفط وغير ذلك من أدوات زمانه . وعقد له على
المجيش برا وبحرا وخرج معهم بهيئة الخلافة وهبها ومعه جماعة من القادة
حتى نزل «دابق» وجاءه الأجناد من كل ناحية فأتم أمر الجيش

رحل «مسلم» أخيه بالجيش فسلك طريق مرعش وافتتح مدينة
الصقالبة كما ذكرنا وشتا حواليها ثم سار طلب القدسية حتى نزل عمورية
وبطريقها «ليون» بن قسطنطين المرعشى فوادعه مسلمة وأطاه رهنا وأخذ
منه مثله وتعاهدا على المناصحة والمظاهره على أهل القدسية وحلف «ليون»
أن يكون عوناً له . ثم أخذ ينتقل به الحال حتى دخل القدسية و«يدوس»

حاكم عليها فما زال يلعب بكرة الأروام مرة وبصو جان المسلمين أخرى حتى
دس لتيروس من قتله وتفرد بالملك من غير منازع . ثم غدر بمسلمة ونقض
عهده وأغرى به بحرق دخريته في كلام طويل يطلب في مظانه من كتب
التاريخ (١) ولاقت المسلمين من الأذى والشدة مالم يلقه أحد وأكلوا
الدوااب والجلود وابلوا في سبيل الله بلاء حسنا . وكل ذلك سببه سلامه
النية وصدق الوعد والبقاء على العهد ولا حول ولا

كل خليل كنت خالتكه ماترك الله له واضحه

فكانهم أروع من ثعلب مأشبه الليلة بالبارحة

هذا وسلامان مقيم بداعي لا يقدر على إمدادهم بشئ من الأزواد كثرة
البرد والثلج الذي قطع بينه وبين جيشه العظيم الذي يبلغ نحوه من مائة الف
مقاتل وقواده ابنه داود ومسلمة بن عبد الملك أخوه وجماعة من أهل
بيته وعمه بن هبيرة

مرض بالحمى فأقسم أن لا يعود إلى مقر خلافته حتى يأتيه خبر فتح
القدسية أو يموت حيث هو . فلما اشتدع عليه المرض سأله « رجاء بن حبشه »
- وكان وزير صدق لبني أمية - في أمر العهد فقال له « إن مما يحفظ به الخليفة
في قبره أن يولي على المسلمين من بعده الرجل الصالح » قال « كيف ترى في
عمر بن عبد العزيز ؟ » فقال « أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما » فقال « هو
والله على ذلك » وأشار على « رجاء » أن يحمل يزيد بن عبد الملك أخاه ولـ
العهد بعد سيدنا عمر بن عبد العزيز فكتب كتابا وختم عليه ودعا الناس إلى
بيعته مختوما وقال له « اخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه » فبايعوا . ثم مات

(١) راجع ان شئت نبذة من عيون الحقائق مطبوعة في ليدن تجد هذا مفصلا

سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه العهد لسيدنا عمر بن عبد العزيز . فتغيرت وجوه
بني أمية ثم لما سمعوا بعده اسم يزيد بن عبد الملك أخيه تراجعوا فأتوا عمر
فسلموا عليه بالخلافة

اللهم لا زرایة (١) على السابق ولا تذریة (٢) لللاحق . ولكنها فلم فات الجميع
حتى الولى والوصى . فلم يعهد في جاهلية ولا اسلام عهد عهد رعاية لاورع
والصلاح والاهتمام بأمر المسلمين أجل من هذا

لم يمت سليمان بن عبد الملك رضي الله عنه عن غير عقب بل عن أربعة
عشر ولداً من الذكور منهم داود قائد جيشه في حرب القدسية وغيرها
ولا عن غير قرابة . فاخوانه كثيرون ومنهم مسلمة الذي أبلى في حربه وفي
حصار القدسية وغيرها في عهده وعهد الوليد أخيه بلاه حسناً . ولكن
رأى أن حقوق هؤلاء من جهة لجنة نسبهم به وقرباتهم إليه أقل من حق
جماعة المسلمين الذي جعله الله في عنقه فسلم الخلافة خير أهل زمنه تخرج
من عهدهما طاهر الذيل . وناهيك بكلمات وزيره « رجاء بن حيوه » معه
في هذا الموقف الحرج

يدلنا هذا الحال على أن العلماء في كل زمان هم بمنزلة العقل المدبر والروح
المفكر من الأمة فصلاح حالها بصلاحهم وفساده بفسادهم ولقد ابتلى الله
المسلمين في أزمنتهم الأخيرة بعض علماء لا يعرفون من دنياه شيئاً الانصب
هيكل الأطراء ورفع تماثيل المدح لكل رئيس من الرؤساء وعظيم من العظاء
فضلاً عن خليفة من الخلفاء

(١) زوى عليه زوي وزرایة عابه

(٢) ذريته تذریة محدثه

فسدت أُخْلَاقُ الْعَامَةِ بِالْزُورِ وَالرِّيَاءِ وَالنُّفَاقِ وَالْكَذْبِ وَالْمُحَابَاةِ وَالْمُصَانَعَةِ
وَالْمُدَاجَاةِ بِلِ تَرْعَنْعَ اعْتِقَادِهِمْ بِسَبِبِ ذَلِكِ وَأَخْدُوا يَنْتَصِرُونَ لِهِوَيْ نَفْوسُهُمْ
الْخَبِيَّةُ وَاهْوَأُهُمُ الْبَاطِلَةُ وَالْعُلَمَاءُ لَا يَصِدُونَهُمْ عَنْ هَذَا بِشَرْحِ الْحَقَائِقِ وَالتَّرْجِيمَ
عَنِ السِّجَّايَا الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُرْضِيَّةِ

سَأَلَ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَبَا حَازِمٍ» وَكَانَ زَاهِدًا فَقَالَ
لَهُ «كَيْفَ الْقَدُومُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؟» قَالَ «أَمَّا الْمُحْسِنُ فَكَالْغَافِيْبِ يَقْدِمُ عَلَى أَهْلِهِ
مَسْرُورًا وَأَمَّا الْمُسْيِّرُ فَكَالْعَبِيدِ الْآبَقُ يَعُودُ إِلَى مَوْلَاهُ مَحْزُونًا» قَالَ سَلِيمَانَ «فَإِنَّ
بَالَّذِي نَكَرَهُ الْمَوْتُ؟» قَالَ «لَا نَكَرُهُمْ خَرْبَتِمْ آخِرَتَكُمْ وَعُمْرَتِمْ دُنْيَاكُمْ فَكَرْهُتُمُ النَّفْلَةَ
مِنِ الْعِمَارَةِ لِلْخَرَابِ»

ياغوّاه من هذه الكلمات !!! كيف تقال في وجه خليفة جمعت خلافته
بين أوصال المشرق والمغرب وتحت رايته الجيوش الجراراة وآلات الحرب
والضرب وأمره نافذ في قارتي آسيا ومعظم أوروبا وما بينهما . فإن لم يكن
هذا الزاهد من خير علماء الآخرة إذ قالها وهذا الخليفة من خير خلفاء الدنيا
إذ العظى بها فمن :

وَمَا زَالَتِ الدُّولَ الْأَوْرُوبِيَّةُ الْمُتَمَدِّنَةُ تُوحِي لِلْمُسْلِمِينَ بِتَدْنِبَاتِهِ اعْتَقَدُوا
كَمَا بَرَهَنْتُ لَهُمْ أَنَّ الدِّينَ حَائِلٌ دُونَ الْأَرْتِقَاءِ وَقِيدٌ ثَقِيلٌ لَا يَعْكِنُ الْأَنْسَانَ
مِنَ الْوُثُوبِ إِلَى مَعَالِيِ الْأَمْوَارِ ثُمَّ سَلَكَتْهُمْ سَبِيلُ التَّرْقِ وَالسُّيَادَةِ الَّذِي
هَدَتْهُمْ إِلَيْهِ وَمَلَكُوهُمْ مَقَالِيدُ الْعَزِّ وَالسَّعَادَةِ الَّتِي مَكَنَتْ يَدُهُمْ مِنْهَا وَلَمْ تَعْضُلْ إِلَيْهِمْ
وَتَتَصْرِمُ الْلَّيَالِي حَتَّى انْكَشَفَ السُّرُورُ وَظَهَرَ الصِّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ وَرَأَوْا أَنْفُسَهُمْ
يَرْسَفُونَ فِي قِيُودِ الذَّلِّ وَإِنْ تَلَكَ الْأَمْمَ الْمُتَمَدِّنَةُ كَانَتْ تَرْمِي لِفَرْضِ آخِرٍ
تَعْنَتْ فِيهِ بِحَسْبِ اطْمَاعِهَا وَلَيْسَ الغَرضُ مِنْهُ إِلَّا تَرْكُ هَذِهِ الشَّعُوبَ لَا دَابٍ

دينهم وعوائدهم وتقاليدهم وادخلهم مضائق دون الاستصبح لها حتى
يسون ويصبحون مضفة للالكل . وكان كذلك
الا نظرة صادقة من هذه الْأُمَّةِ المُسْكِيَّةِ لما كانت فيه ونظرة لاما صارت
اليه لتعلم انها مخدوعة فيما يهج الذاس منظره ويسرا القوم رؤياه فتنبه لمصابها
وتعلم بعلتها فلا تحيط عن المهدى الصحيح والطريق المستقيم حتى تخرج من
درك الشقاء ولا تنهى الى شر المصير
انما المرء حديث بعده فكن حدثاً حسناً لمن وعي

سیدنا عمر بن عبد العزیز

ماذا تسع هذه العجالات من وصف هذا الخليفة العالم الورع الزاهد
الخاشع الدين اللذين السهل القريب الذي ملأ الأرض عدلاً وجاء مصداقاً
ل الخبر المأثور : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها
أمر دينها »

ماذا تسع من وصف من أفرد أكبـر المؤلفـين المؤلفـات في أخلاقـه وصفـته
وفضـائلـه وخصـائصـه وضرـبـ المـشـلـ بـعـدـهـ وـشاـكـلـ بـفـعـلـهـ الجـليلـ أـفـعـالـ سـيـدـنـاـ عـمـرـ
ابـنـ الـخـطـابـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ حـتـىـ قـيـلـ : « عـدـلـ الـعـمـرـيـنـ »

هو أبو حفص عمر بن عبد العزير بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي
ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي . وأمه أم عاصم ليلى
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

هو التابعى الجليل الذى روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن أبي طالب وسعيد بن المسيب والسائل بن زيد ويوسف بن عبد الله وخلاقـتـ كـثـيرـينـ

ولد بحلوان المعروفة (من قرى مصر) سنة احدى وستين وكان يقال له
أشيج بنى مروان : ضربته دابة في جبهته وهو غلام بخعل أبوه يصح الدم عنه
ويقول : « إن كنت أشيج بنى مروان انك لسعيد » قال ذلك لأن سيدنا عمر
ابن الخطاب كان يقول : « من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلاً
ولـيـ الـخـلـاقـةـ وـبـوـيـعـ لـهـ يـوـمـ مـاتـ اـبـنـ عـمـهـ سـلـيـمانـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ سـنـةـ تـسـعـ
وـتـسـعـيـنـ عـنـ عـهـدـ مـنـهـ اـلـيـهـ (كـمـاـ قـدـمـنـاـ فـيـ تـرـجـمـتـهـ)ـ مـنـ غـيـرـ عـلـمـ مـنـهـ فـظـهـرـتـ

عليه علامات الاستياء من ذلك . قام في الناس خمد الله وأئتي عليه ثم قال
«أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم .
الا وإنى لست بقاض ولكنى منفذ واستبعتهبتدع ولكنى متبع ولست بخبير
من أحدكم ولكنى أثقلكم حملا . وان الرجل المارب من الامام الظالم ليس
بظالم . ألا اطاعة لخلوق في معصية اخلاق»

بدت عليه مخايل الورع والدين والصيانته والزهد والنرااهة من أول حركه
بدت منه . كان شديد الشتم والاختيال في مشيته خرج عن جميع ما كان فيه
من ذلك النعيم والمأكل والملابس والmantau حتى النساء . ورد ما كان لزوجته
وهي بنت عميه عبد الملك بن مروان الى بيت المال . وكان دخله أربعين الف
دينار فرد ذلك كله وخصص لنهفته يومه درهرين . ثم صار يلبس القميص الغليظ
ولم يتعد الواحد فكان اذا غسلوه يكت حتى يجف . ويأكل النليظ من الطعام
ورد جميع المظالم حتى انفرد فنص خاتم كان في يده قال اعطيه الوليد من غير حق
حدثت زوجته انه يكون في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة
فيئنها فض كاينت نعنع العصنور في الماء وينجاس ويبكي وهي تقول : « ياليت كان
بيتنا وبين الخلافة بعد المشرقيين »

علم الناس انه مؤثر دينه على دنياه فآثروا حبه على نفوسهم . أعرض عن ركوب خيل الخلافة والاجتذاء بمركبها الاخاص و هجر مكان حكمتها او لازم بيته وكانت خلافته سنتين ونصفا على الاكثر ازدان دست الخلافة فيهما به فإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا لم يكن هذا الزهد والتقصيف من الجنس الذيرأيته أنا وأنت عبارة عن نزوم الرجل كسر الحائط وهو غريرق في لعابه خارج عن بعض ثيابه جامد

الفكر لا يتعدى إبصاره موضع قدميه فهو الى منزلة البلة والمعنة أقرب . كلا .
بل كانت الدنيا عنده في كفة الآخرة في كفة يزن من هذه لهذه ويزرع في
دنياه ما يجزي بخирه في آخرته

كان أول ما يادر اليه رضي الله عنه أن بعث الى ابن عمه مسلمة بن عبد
الملك بن مروان يأمره هو ومن معه من المسلمين بأرض الروم بترك حصار
القسطنطينية والقول الى منازلهم لما يعلم من استداد الحال عليهم كما تقدم
البيان في (ترجمة سليمان) وبعث لهم بالطعام الكثير والخيل العتاق
ثم وجه حاتم بن النعيم الباهلي للقتال عن أذريجان وقد أغير عليهم افطرد
عنها القوم وأزال عنها الخوف وألبسها لباس الأمان

انظر لعلو رأيه وصائب فكره في عمله وخبرته برجاته : ولی عدى بن
ارطاة الفزاري على امرأة البصرة وناهيك به واستقضى عليها الحسن البصري
رضي الله عنه فاستغفاه فأغفاه واستقضى مكانه اياس بن معاوية الذي المشهور
واللامعي الذي يظن بك الظاهر ن لأن قد رأى وقد سمعا
وبعث على امرأة الكوفة عبد الجميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .
واستقضى عليها عاص الشعبي وجعل على امرأة خراسان الجراح بن عبد الله
الحكيم . وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خال بن أسيد . وعلى
امرأة المدينة أبا بكر محمدًا بن عمرو بن حزم

وقد حج بالناس . وأرسل الوليد بن هشام المعيني وعمربن قيس
الكندي للغزو . وولى عمر بن هبيرة نيابة الجزيرة . ثم أخذ ذي فحص الاعمال
فناقش اليزيد بن المهلب الحساب وحبسه لأنه طالبه بما قبله من الاموال
التي كتب الى سليمان بن عبد الملك أنها حاصلة عنده فقال إنما كتبت بذلك

لأرعب الاعداء ولم يكن بياني وبين سليمان شيء . ففضب عمر لضياع مال المسلمين ثم أمر بأن يلبس جبة من صوف وينقى إلى جزيرة دهلك التي كان ينقى إليها الفساق ثم شفع فيه فبقى في سجنه . وعزل الجراح بن عبد الله الحكيم عن امرة خراسان بعد ستة أشهر أو خمسة لاته أخذ الجزية من أسلم من الكفار وكان يقول لهم أنتم انتم اعما المسلمين فراراً منها (جنة العدل والفضل) ثم دخلت سنة واحد ومائة وكانت بدأت الدعوة لبني العباس فبقى في مقر الخليفة وحج بالناس أبو بكر محمد بن محمد نائب المدينة واشتعل سيدنا عمر رضي الله عنه بتبريد البريد من والي المدينة والشام

وفي هذه السنة مات كثير من الصحابة والتابعين لاتحاد ساعات آجالهم وتقابـل أعمارـهم نـذـكـرـ مـنـهـمـ الصـحـابـيـ الـجـلـيلـ سـيـدـنـاـ الـلـيـثـ الـكـنـانـيـ وـهـوـ آخرـ منـ دـائـيـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـرـأـهـ بـالـجـمـاعـ وـرـوـىـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ كـانـ يـسـتـلـمـ الرـكـنـ بـالـحـجـةـ . وـذـكـرـ صـفـتـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ . وـهـوـ آخرـ مـاتـ مـنـ الصـحـابـةـ مـطـلـقاـ بـالـجـمـاعـ فـجـمـعـ الـأـرـضـ . اـجـتـمـعـ عـنـهـ مـائـةـ أـلـفـ أـسـيـرـ مـنـ الـرـوـمـ فـسـاـوـمـ دـوـلـهـمـ عـلـىـ رـدـهـمـ وـأـخـذـ «ـ مـلاـطـيـهـ »ـ وـمـاـ زـالـ حـتـىـ أـقـعـهـاـ وـاشـتـرـىـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ بـهـؤـلـاءـ الـإـسـارـىـ وـبـنـاهـاـ وـأـصـبـحـتـ مـنـ الـمـدـنـ الـمـهـمـةـ

وفضائل عمر كثيرة أعظم من أن تتحصى و تستقصى . فنها انه أبطل الكلام في على رضي الله عنه وقرأ على المنبر (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) واستمرت الخطباء على قراءة هذه الآية . ومنها انه جمع القرآن وهو غلام صغير . قال الزبير بن بكار ان أول ما استبيه من حرصه على العلم ورغبته في

الادب انه طلب من أبيه رحلته الى المدينة وقعد الى مشايخ قريش وتجنب
شبابهم فقادب بأدبهم واشتهر ذكره فلما مات أبوه أخذه عمه عبد الملك بن
مروان خلطه بولده وقدمه على كثيير منهم وزوجه بابنته فاطمة (١)

قال عمر بن ذر: لما رجع عمر من جنائز سليمان بن عبد الملك قال له مولاه.
ما أراك مغتما؟ قال لمثل ما أنا فيه فليفهم. ليس أحد من الأمة إلا أنا أريد
ان أوصل اليه حقه غير كاتب الى فيه ولا طالبه مني

ولا عجب في ذلك . فإنه كان يتكلّم في الفقير الجائع . والمرىض الضائع .
والعارى الجهد . والمظلوم المقهور . والغريب الاسير . والشيخ الكبير .
وذوى العيال الكبير والمال القليل . وهي أقطار الأرض وأطراف البلاد

ويعلم ان الله سائله عنهم

كان لا تأخذه في الحق لومة لائم . دخلت عنده أشراف بني أمية
يساؤون لهم عملا . فقال لهم أتحبون ان أولى كل رجل منكم جندا : ترون
بساطي هذا ؟ اني لا اعلم انه صار الى فناء وبلاء واني أكره ان تدعسوه بأرجلكم
فكيف أوليكم ديني ! ! ! أوليكم أعراض المسلمين ! ! ! هيهات ! ! !
قرابة ؟ أماننا حق ؟ قال مائئم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الامر

الاسوء !!

(١) نبذة تاريخية . فاطمة هذه بنت خليفة وجدها خليفة وأخوها خليفة وزوجها
 الخليفة وأقرب منها أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وأم ابنه
 يزيد . أبوها خليفة وهو يزيد وجدها خليفة وهو معاوية وأخوها خليفة وهو معاوية بن
 يزيد وزوجها خليفة وهو عبد الملك وعمها خليفة وهو مروان وابنها خليفة وهو يزيد
 وابن ابنها خليفة وهو الوليد بن يزيد وأولاد زوجها خلفاء وهو الوليد وسلمان وهشام
 ويزيد أولاد عبد الملك وكل هؤلاء محارم

كان محباً للعدل والقسط يبغض الجور والعسف . لا يرى عنده شيء أفضلي من الحق . ومن كلامه : « إن كانت الناس لا يصلحها الحق فلا يصلحهم الله » وكان يقول « عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم لا على قدر أجسادهم ». بلغ الناس أن يقولوا « إن الغنم والأسد والوحش كانت ترعى مع بعضها في مرجى واحد في عهده »

كتب إليه الجراح بن عبد الله « إن أهل خراسان قوم ساءت أخلاقهم وانه لا يصلحهم إلا السيف والسوط . فان رأى أمير المؤمنين أن يأخذ في ذلك فعل ورأيه الموفق » فكتب إليه عمر « اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر به ان أهل خراسان قد ساءت أخلاقهم وانه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام »
كان أشد الناس حرضاً على العمل بسنن من قبله من الأصحاب . قال الزهري : كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يكتب له بسيرة عمر ابن الخطاب في الصدقات . فكتب إليه بالذى سأله ثم كتب إليه « إنك ان عملت بمثل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله خيراً من عمر »

يزعم الأوروبيون ان الشرقيين يعاملون من حكامهم معاملة الانعام الهم لا يقوّمون الابساط وانهم هم الذين رفعوا عنهم سوط العذاب وأدنوهم من شرعة العدالة وكشفوا عن عقوبهم غمة الوهم . ألا إن هذه الدعوى مما تستخرى الفوس بعد ان اجتث الدين الاسلامي كل جذور الجهل وأخرج الآخذين به عن كل عقيدة باطلة ودعا الناس الى أصول الفضائل التي أتى عليها وأمهات الحامد التي أحياها وقواعد العدل التي أسسها وسد دين نوع الفساد

وقطع ذرائع كل محروم . فهذا عدل خليفة من خلفاء الإسلام على رأس القرن الثاني من الهجرة . كانت أوروبا فيه في قطع من الظلمات في كل شيء فان لم ينفرد المسلمون بسوى السابقة في العدل لكتفاه فضلا

وثبتت من غير وجہ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ماصليت وراء امام قط أشبه بصلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتن حين كان على المدينة . قالوا كان يتم الركوع والسجود ويختفف القيام والقراءة وكان سعيد بن المسيب رضي الله عنه من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهو أول من سمي حمام المسجد) لا يأتي أحداً من الخلفاء وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة . قال مجاهد أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه . قال ميمون بن مهران كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة وهو معلم العلماء . قال سيدنا سفيان الثوري رضي الله عنه : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم . وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهدية وقال مالك بن زياد : يقولون : « مالك زاهد ! مالك زاهد ! أى زهد عندي ؟ أنتا الزاهد عمر ! أنتا الدنيا فاغرها فاها فتركها » ومن مجايئه ما يروى أنه وقف على راهب فقال له عظني فقال عليك بقول الشاعر

تجرد من الدنيا فانك أنت خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد ودخل يوماً على أمرأته يسألها أن تقرضه درهماً يشتري به عنباً فلم يجد عندها . فقالت له أنت أمير المؤمنين ولا تقدر على هذا ؟ قال « هذا الحرام أيسر من معالجة الأغلال غداً في جهنم »

انظر لحكمته في سياساته ولتحريه قطع ذرائع الرشوة واستقامة العمال . كان

يوسع على العامل في نفقته فيعطيه في الشهر بحسب عمله من مائة دينار الى مائتين الى ثلاثة (هذا مال كثير فاننا اذا اعتبرنا الدينار نصف جنيه انكلزي مثلاً كانت الثلاثمائة دينار مما تقرب من مرتبات كبار الحكومة المصرية الان وكانت الحاجات غير الحاجات والضرورات أخف منها في هذه الاوقات بكثير كلامي يخفي على بصير) ويتأول انهم اذا كانوا في كفاية تأملاً للاشغال المسلمين وكان يقول في دعائه «الله ان كان عمر ليس بأهل أن ينال رحمتك فرحمتك أهل لأن تنال عمر» وكان يقول «الله اصلاح من كان فيه صلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم» أما موته فقد قيل فيه أقوال كثيرة (وما آفة الاخبار إلا رواها) فمن ذلك انهم قالوا ان بنى أمية علموا انه اذا امتدت أيامه أخرج الامر عن أيديهم

لأنه لا يهدى بهده الا ممن يصلح الامر فما جلوه

قيل ان مولاً دس له سما في طعام أو شراب وأخذ ألف دينار فرض فأخبر انه مسموم ثم استدعي مولاً وقال له ما حملك على ما صنعت فقال ألف دينار فقال هاتها فأحضرها ووضعها في بيت المال وقال مولاً اذهب فلا يراك أحد قيل له هؤلاء بنوك (وكانوا اثنى عشر) الا توصى لهم بشيء فأنهم فقراء . قال ان ولی الله الذي لا إله الا هو وهو يتولى الصالحين والله لا اعطيهم حق أحد . وهم بين رجلين : اما صالح قاله يتولى الصالحين وأما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه . ثم استدعي بهم فودعهم وقال لهم هذا الكلام ثم قال انصرفوا عصكم الله وأحسن الخلافة عليكم

قالوا انه لما احتضر صرف من حوله خرجو اوجلس مسلمة بن عممه وفاطمة زوجته على الباب فسمعاه يقول «أهلا بهذه الوجوه ليست وجوه إنس ولا جان» ثم قرأ «وتملك الدار الآخرة» الآية ثم انقضض الصوت فدخلوا فإذا به قضى رضي الله عنه

هشام بن عبد الملك

هو هشام بن عبد الملك بن مروان ولـى الخلافة سنة خمس ومائـة لما مات أخوه يزيد بن عبد الملك بعهد منه . كان بالرصافة بخاءته بشرى الخلافة على البريد فركب من ساعته وسار إلى دمشق وبويح فيها بالخلافة وكان متعـما . قالوا لم يكن في بيـن مـروان أـعـطـر ولا أـبـسـ من هـشـام . يقال انه خرج حاجا فتحملوا ثيابـه على سـتـمائة جـلـ

كان محبا للعمران . مستجدـا في أدوات الـزـينة . متـاهـياً في تـربيةـ الـخـيل . مـتبـاهـياًـ بـهـاـ وـهـوـ الـذـيـ أـقـامـ الـحـلـبةـ وـجـعـ فـيـهـ أـربـعـةـ آـلـافـ فـرـسـ . قال المـسـعـودـيـ

« وـذـلـكـ مـالـمـ يـتـفـقـ لـاـحـدـ مـنـ النـاسـ لـاجـاهـلـيـةـ وـلـاـ إـسـلامـاـ »

ولـمـ بـجـودـةـ السـلاحـ وـعـدـ الـحـرـبـ وـلـامـاتـهاـ . شـغـفـ باـصـطـنـاعـ الرـجـالـ وـتـقوـيـةـ الشـغـورـ وـهـوـ الـذـيـ شـادـ الـمـعـاـقـلـ صـيـانـةـ لـلـبـلـادـ وـاتـخـذـ الـقـفـيـ وـالـبـرـكـ بـطـرـيقـ

مـكـهـ وـغـيرـهـ رـاحـمـةـ بـالـعـبـادـ

كان حازماً سـيدـ الرـأـيـ غـيرـ المـقـلـ عـالـمـاـ بـالـسـيـاسـةـ . قال الـهـيـمـ بنـ عـدـيـ وـالـمـدـائـنـيـ وـغـيرـهـاـ انـ السـوـاسـ مـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ ثـلـاثـةـ : مـعـاوـيـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـعـبـدـ الـمـلـكـ وـهـشـامـ

اشـتـدتـ فـيـ أـيـامـهـ الدـعـوـةـ لـبـنـيـ الـعـبـاسـ وـثـارـتـ رـوـحـ الـعـصـيـانـ فـيـ الـاحـزـابـ

الـمـرـشـحةـ لـلـخـلـافـةـ وـاستـعـرـتـ حـرـوبـ أـخـرـيـ وـقـوـىـ اللهـ الـمـسـلـمـينـ عـلـيـهـاـ فـانـتـصـرـواـ

وـغـنـمـواـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ . وـفـازـ غـسـكـرـ أـسـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الـقـسـريـ فـيـ غـزوـةـ وـقـتـلـ

خـاقـانـ الـتـرـكـ وـدـخـلـ بـلـادـ فـرـغانـ وـخـوـقـنـدـ بـمـدـ الـتـعـبـ وـالـنـصـبـ وـالـجـهـدـ الـجـهـيدـ

وـقـتـلـ الـكـثـيرـ . وـغـزـاـ عـامـلـهـ أـيـضاـ نـصـرـ بـنـ سـيـارـ بـلـادـ «ـ مـاـوـرـاءـ الـنـهـرـ »ـ قـفـتـحـ

وغم منها خيرا عظيما

فتحت في أيامه قصريه الروم بالسيف وغيرها على يد «البطال»
الشجاع المشهور وغزا مروان بن محمد بن مروان عامل الجزيرة وأرمانيه
(بلاد صاحب السرير) ورتب عليه الجزية

تولى الخلافة والفتن بلاد المغرب على قدم وساق منتشرة في أرجاء
البلاد وكان البربر قتلوا عامله بشر بن صفوان فولى عليهم بعده عبيدة بن
عبد الرحمن السلمي ثم رأى انه ليس برجل زمنه فولى مكانه عبيد الله بن
البحبب وكان رئيساً نبيلاً وأميرًا جليلًا وخطيباً مصطفياً فاستعمل على الاندلس
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

كان عبد الرحمن هذامن أصحاب المهم العالية فتقدّم للغزو في بلاد (الفالة) (١)
وانتصر في غزوات كثيرة رجع منها منصوراً غانماً وتقديم حتى وصل إلى
مدينة (بردال) أو (برديل) (٢) بفرنسا ودخل كثير من تلك البلاد
في الإسلام وعزم على فتح بقية بلاد (الفالة) فقطع جبال (البرانات) (٣)
وفتح المحسون والمدن وامتدت عساكر الإسلام في بلاد (اكيتانية)
و (بورغونية)

دهم (الفاليين) مادهم من هذه الجيوش الجراره واستند بهم ماحل
بالبلاد من الخراب والدمار فانتبوا فارسا منهم يقال له (كرلوس) من حاشية

(١) الفالة القبائل الأصلية الفرننساوية

(٢) (بردال) هي بوردو الفرننساوية المعروفة

(٣) البرانات هي جبال في الشمال الشرقي للأندلس معتبرة الآن حدّاً بين إسبانيا
وفرنسا وتعرف بجبال البيرينيه

الملك كان مقداماً ذا دهاء وفطنة محبوبأً عند أصحابه وهو المسئي في كتب العرب (قارله) وعند الفرنج (شارل مارييل). جمع الاهالي وأصرهم أن لا يترضوا العرب ولا يعارضوهم ولا يخاطروها بأنفسهم وخطب فيهم خطبة لوجدت لها من العرب والمسلمين في ذلك الوقت أذنا صاغية لكان تمنى لكل ما خسرته الأمة الإسلامية للآن

خطب في قومه بما معناه : « الرأى عندي أن لا تغتصبوا العرب فأنهم كالسيل المنحدر يحترف ما يصادره وانهم في أقبال أمرهم عقدوا نياتهم وجمعوا أمرهم فأصبح الرجل منهم يعني عن كثرة العدد . وأتحدت قلوبهم فصارت أشد من حصانة الدروع . فأنهلوهم حتى تمتليء الأيدي من الفنائيم ويتخذون المساكن وينافسوا في الرئاسة ويستعين بعضهم على بعض فإذا كان ذلك فانكم تتمكنون منهم بأيسر ما يكون »

كأنما كان منطقة موكلة ببلاد ظهور الفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب والمصرية واليهانية واســـتعان المسلمون على بعضهم البعض بل على بعضهم بعـــن يجاورهم من الاعداء

نظر هذا الرجل الحكم فرأى أن الخصال التي تحيط الامة بالکوارث
كالترف والاسراف والتبذير والانغاس في النعيم الذي أباد الامم والحضارة
التي تؤدي إلى فقد العادات الشريفة وتعين على الاضطراب وتفرق القوي
الجامعة وقطع الصلة وتجيد الخصومات والحسد الذي هو مقام المحدود
الحاجزة بين النفوس وبعضاها) حائمة بين جيوش العرب وجموع المسلمين
فقال اصبروا حتى تم و يتم له بالحيلة مالم يتم بالحرب والقوة

فلم يحترم المسلمون من تدرج خصال السوء بينهم وسادوا بحسب

أهواهم ولم يقتدوا على تقويم المعوج واصلاح الخلل ومداواة العلل والظهور
بمظهر الترقى الذى أتوا فيه بالعجب العجاب وثبت له انهم فارقوا أدب الدين
فاجأهم هذا القائد بعنته وحاربهم بتفرقهم . باختلاف كلمتهم . بسوء رأيهم . باضاعة
حرزهم وحرمة دينهم

جمع شارل جنوده مع ما انضم اليهم من جنود جرمانيا التي باتت مهددة
بما وقع لجارتها (فرنسا) وتقابل بجيشه مع العرب بين مدیناتي (طوروپوتينيه)
بغنة فتلاقى الجيშان بل اشتباك الشرق والغرب وتحاربا سبعة أيام انجلت فيها
الحال عن هنية العرب وقتل عبد الرحمن وانتشر خبر هذا الانتصار في كل
أوروبا فتهلكت الوجوه واطاحت القلوب وقطع هذا الانكسار على العرب
فتح فرنسا الذى كانت تفك فى زماناً طويلاً

فعلت أوروبا مع هذا القائد خلافاً لما كان ينبغي أن يعمل مع أمثاله فان
انتصاراته كما قال صاحب (ألف ليـله) مما يكتب (بالابر على آماق البصر)
ولكن حالة جهلها في ذلك الوقت وبلغها في الظلم والجهل مبلغاً لا يقدر
قدره عليها ان كارلوس هذا صاحب الدهاء والسياسة لم ينزل شكرآً على عمله
بل حكموا عليه بالهلاك وأهانوا أولاده من بعده لأنها استخدمت في هذه الحرب
أموال الأساقفة والكرنة (فتامل)

(عود) ومن فضائل هشام انه كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد
أربعون انه قد أخذ من حقه وأعطي منه كل ذى حق
وبنى في عهـده جامع الزيـونة بتونس وهـي دار العـلم بها للآن (أدـامـه
اللهـ كذلكـ) وهو الذى أقام بها (دار صنـاعة) (١) لانـشاء المـراـكب الحـريـة

(١) دار صنـاعة (أى ترسـخـانـة) المستعملـة الآـن وهي محـرفـة من تلكـ

وتم ذلك وغزت المراكب جزيرة صقلية وضرب على أهلها الجزية
ذهبت جنوده غازية إلى الجنوب حتى جاؤوا السوس الأقصى ودخلوا
بلاد السودان ورجعوا منها بالغنائم الوفرة وهو الذي بنى الرصافة وابني فيها
قصرًا وزاد في عمرانها وحضارتها

ظهرت في عهده بدعة الخارجيين في البربر وتلقنها رؤوسهم عن عرب
العراق الساقطين إلى المغرب . نزعوا بها إلى الأطراف داعين أنمار الامم إليها
عسى أن تكون لهم دولة فاستحكمت صبغتها في طعام البربر ووشجت فيهم
عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث والأسباب في خرق حجاب الهيبة
على الخلقاء وانتقام البربر على العرب ومن أحتمتهم لهم في سلطانهم . ولما بلغ
الخبر بذلك إلى الخليفة هشام عزل عبيد الله عن المغرب وكتب إليه بالقدوم
وعين كلثوم بن عياض ووجه معه جيشاً كثيفاً لقتال الحواريج يبلغ ٨٠ ألفاً من
المقاتلين وبعد قتال شديد مع البربر هزم جيش الخليفة وتفرق أيدي سباباً
فقمات القيامة ووجه حنظلة بن صفوان الكلبي واليأ على المغرب والتقي مع
العصاة بظاهر القيروان بمكان يدعى الأصنام فهزمهم بعد قتال أبيلى فيه بلا
حسناً وكتب إلى الخليفة بذلك ففرح فرحاً شديداً ثم ول حنظلة بن الخطار
حسام بن ضرار الكلبي من قبله واليأ على الاندلس فاستقام له بها الأمر حينما
من الدهر ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال إلى أن تطرق الخلل
إلى الخلافة بالشرق وخفت صوتها لما حدث في بني أمية من فتنة الوليد
وما كان من أمر الشيعة مع صوان آخر خلقائهم والله أعلم
يرى القاريء أن بلية الأمة الإسلامية في هذا العهد من أبناء جنسها وملتها
أشد من بليتها من أعدائها . مؤن الجيوش المقاتلة التي جهزها هشام لقتال

رعاياه الخارجـة عليه أكثر مما جهزه لفتح البلاد المـناوية له ولا شك ان الاستظهـار على الخليفة ومقاتلة جمـوعه وجيـوشـه لا يكون الا من فساد القـلوب والنيـات ومفارقة أدب الدين من أمـثال هـذه الصـائبـ الخارجـة
قلـنا ولا نـزال نـقول ان الصـبغـة الـديـنية تـذهب بالـتحـاسـدـ والتـنـافـسـ وـتـفرـدـ
الـوـجـهـةـ الىـ الـحـقـ وـالـاسـبـصـارـ بـالـاـمـورـ وـالـتـساـوىـ فـيـ الـطـابـ وـالـاسـتـهـانـةـ عـلـىـ
الـعـهـدـ . تـفـنـيـ فـيـ جـانـبـهاـ الـاـغـرـاضـ الـمـتـبـاـيـنـةـ وـيـعـقـ الـبـاطـلـ وـيـخـذـلـ وـذـلـكـ مـنـ
شـدـةـ تـقـويـ الـقـلـوبـ وـسـلـامـةـ الـصـدـورـ وـنـقاـوـتـهـ . وـلـذـلـكـ لـمـ يـقـفـ لـلـعـربـ فـيـ
أـوـلـ أـمـرـهـ أـحـدـ وـلـمـ يـغـلـبـواـ عـلـىـ مـاـبـأـيـدـيـهـمـ لـاـنـ الـاجـتمـاعـ الـدـينـيـ ضـاءـفـ قـوـةـ

عصـبـيـهـ

لـاتـجـدـ ضـعـفـاـ فـيـ دـوـلـةـ الـاسـلـامـ اـلـاـ وـسـيـهـ فـسـادـ الـعـقـيـدـةـ . يـدـخـلـ هـذـاـ
الـفـسـادـ بـيـنـ الـعـصـابـةـ وـكـانـ سـعـيـهـاـ وـاحـدـاـًـ فـيـ الذـبـ عـنـ الـحـوـزـةـ بـأـقـصـىـ مـرـايـ
الـعـزـ وـالـصـوـلـةـ فـاـ تـابـتـ اـلـاـ وـقـدـ فـشـلـ رـيـحـهـاـ وـرـمـيـتـ الـمـذـلـةـ وـالـاسـتـعـبـادـ
ثـمـ يـتـمـادـيـ هـذـاـ الطـغـيـانـ حـتـىـ تـكـثـرـ أـلـوـانـ الشـرـ وـالـسـفـسـفـةـ وـتـذـهـبـ خـلالـ
الـبـرـ وـالـخـيرـ

اـنـ الـذـيـ يـرـيدـ بـالـمـلـلـةـ الـاسـلـامـيـةـ خـيـرـاـ لـاـ يـدـعـوـهـاـ لـشـئـ مـنـ الـعـمـلـ قـبـلـ
رـجـوـعـهـاـ اـلـىـ اـدـبـ الدـيـنـ فـاـنـهـ عـلاـجـ هـذـهـ الـاـمـراضـ الـمـزـمـنـةـ وـهـوـ الـذـيـ يـرـدـ
الـشـئـ اـلـىـ جـنـسـهـ وـصـنـفـهـ وـيـخـلـعـ عـلـيـهـ مـقـدـارـ عـظـمـتـهـ وـفـوـتـهـ فـنـ لـمـ يـؤـدـبـهـ الشـرـعـ
لـاـدـبـهـ اللـهـ

الامير موسى بن نصیر ومولاه الفاتح طارق بن زیاد

الأمير موسى بن نصیر هو مولى عبد العزیز عم الولید بن عبد الملك .
كان والده نصیر على جیوش معاویة رضی الله عنه ويقال انه بکری من بکر بن
وائل . ويقال انه لخی
كانت ولادته في خلافة سیدنا عمر بن الخطاب رضی الله عنه . ويقال انه
تجهز مع ام البنین حین ابنتی بها الولید فأنامت مكانه عنده الى ان بلغ مابلغ
برأیه وإقدام مولاہ طارق بن زیاد

كان موسى بن نصیر رجلاً عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقىً تولى أفريقيا
وغزا الفزووات العديدة فلم يهزم له جيشاً قط وكان كثير المحن حتى قالوا مل
يسمع في الاسلام بمثيل سبایاه قط وكان طارق مولاہ هاماً مدبراً مقداماً
يتحمل على مناويه برویته وتدیره فيفل من عزمه ويدید من قوته
ها من أشد قوادم أجنحة دولة بنی أمیة التي طارت بها إلى الفتوحات
العظيمة شرقاً وغرباً ليق بهما أن يشاطرا الخلفاء (الولید وسليمان وهشام)
الشهرة ورفعه الصيت والتقدم العصری . فانما الدولة برجاتها
ها الاذان امتدت بعانياهما سطوة الاسلام في أفريقيا وشهرته في
المغرب . وفيما فتح الله من بلاد الاندلس يكفي للدلالة على فضلها
ان الامیر موسى بن نصیر مولى افريقيا في سنة سبع وثمانين حتى أخذ
في رتق الفتق ولم الشعث وأصبح مخالف مصر الى البحر المتوسط بين بری البربر
والاندلس تحت تحمله ينظم أحوالها ويؤسس نظامها ويقيم قسطاس العدل بين
أهلها وينير نبراس الحق فيها حتى أحبه الناس وآثروه على أرواحهم واقتدوا بهـا

وان طارق بن زياد بنى بفتحه خليفة من المجد المشيد والذكر المخلد
مala يبلغه الليل والنهار ولا تغنى جديده الاعصار
جمعنا سيرتهما في هذه السطور من غير افراد لانه لا تفرق بين عن شمال
وإن كنا المعنا بشئ من تاريخهما فيما سبق من ذكر خلفائهما
تقدم الامير موسى بن نصير الى مدينة سبته بعد تمهيد الامر مع
صحابها (جوليان) الغوطى فصانعه بالهدايا حتى أذعن لهجزية ثم أقره عليها
واسترهم ابنه وابناء قومه على الطاعة فمارأى بقيه البربر ذلك حتى استأمنوا
جيماً موسى فقبل منهم

ثم نظر نظرة في امر بلاد الاندلس فأدرك عظمتها وفك في فتحها
وأوّل ما به الى مولاهم طارق بن زياد فما هو الا ان خاضها بالسرايا وعلم عوراتها
وفروج ثورها وتعاريف شطوطها وطالعه بها فجزءاً وأمر بفتحها فعبر الاندلس
بسلاسله عربى واثنى عشر ألفاً من البربر من سبته الى الجزيرة الخضراء بخضم
«رودريك» أكبـر دولته وشاورهم واستقر رأـي القوم على محاربة العرب
فلاقوـهم في مائة ألف نفس فهزـموهم ودخلـوا البلاد

يقول قـوم ان السبـب في هذا الانتصار حـقد (جـولـيان) الغـوطـى صـاحـبـها
سبـتـةـ على (رـودـريـك) مـلـكـ الغـوطـ لـانـهـ غـشـىـ اـبـنـهـ لـهـ عـلـىـ غـيرـ حلـ مستـكـرـهاـ
لـهـ غـيرـ انـ هـذـاـ لـاـ يـقـولـهـ عـارـفـ بـالـخـبـرـ .ـ وـالـفـالـبـ اـنـ هـذـهـ الدـعـوـيـ فـرـيـةـ مـفـتـرـ
لـاـنـ فـتوـحـاتـ العـرـبـ تـوـالـتـ وـتـمـدـدـتـ وـلـاـ يـكـنـ اـنـ يـحـتمـلـ اـكـلـ فـتـحـ جـلـيلـ
فتـحـ جـمـيلـ .ـ وـمـاـذـاـ الذـىـ يـظـنـ القـائـلـ بـهـذـهـ فـرـيـةـ اـنـ يـبلغـ (جـولـيان) بالـعـربـ
مـنـ اـخـيـرـ اوـالـشـرـ ؟ـ هـبـ اـنـهـ بـيـنـ لـهـمـ مـدـاـخـلـ عـدـوـهـمـ وـأـرـشـدـهـمـ اـلـىـ مـكـامـهـ
وـأـظـهـرـهـمـ عـورـاتـ جـيـشـهـ فـاـذـاـ يـفـيـدـهـمـ وـالـعـربـ عـشـرـةـ آـلـافـ نـفـسـ قـابـلـ

مائة ألف أو يزيدون وهم في بلادهم يصدون عدوهم عنهم
 ان الذى بلغ بأمة العرب مبلغ هو اليأس الذى يدفع الانسان الى كل
 عمل كما في هذه الحادثة . او شدة الاستمساك بالدين والتحقق مما ادخره
 الله للمجاهدين كما وقع في حرب فارس وملوك الهند وخاقانات الترك وغيرهم
 من الاقصرة والا كاسرة الذين هم أشد منها باسا وأكثر عدداً
 ان اليأس من أشد العوامل في النفس حتى قال حكيم من حكماء اليونان
 « اذا كان لك عدو فلا تيئسه لانه يفعل بك ما يشاء »

رأى طارق بن زياد جيوش « رودرييك » وانتظامهم وحسن ملابسهم
 وكمال عدتهم ووفرة عددهم وجودة سلاحهم وما على رؤوسهم من الخوذ
 وعلى أجسامهم من لامات الحديد السابقة فهاله الامر وخلف على جيشه
 القليل فأراد أن ييئسه ويقطع عن قومه كل أمل في العودة فأصر بالسفن
 خرقت ثم قام بينهم خطيباً

حمد الله وأخي عليه بما هو أهل ثم قال : « أيها الناس أين المفر ؟ البحر وراءكم
 والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر

واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الایتام في مأدبة اللئام . وقد
 استقبلكم أهل البلاد بجيشهم وأسلحتهم وأقواتهم موفورة وأنتم لا وزر لكم
 الا سيفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخضونه من أيديهم وان امتدت بكم
 الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً فشلت وذهب ريحكم واستعاضت
 القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه الفاقة
 بمناجزة هذا الطاغية فقد ألت به اليكم مدینته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه
 لم يمكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . وانى لم أحذركم امراً أنا عنه بنيوة ولا

حملتكم على خطة أرخص متابع فيها النفوس ولم أبدأ فيها بنفسى واعلموا انكم
صبرتم على الاشتغال قليلا استمتعتم بالآرفة الالذ طويلا فلما تربغوا بأفسكم
عن نفسى فما حظكم فيه بأقوى من حظى . وقد انتخبكم الويليد بن عبد الملك
امير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم ملوك هذه الجزيرة اصحاباً واختاماً
فقة منه باريا حكم للطعام واستباحكم بمحالة الابطال ليكون حظه منكم ثواب
الله على اعلاء كملته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليمكون معندها خالصاً لكم من
دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولی انجادكم على ما يكون لكم
ذكر في الدارين

واعلموا انى اول مجيب لى مادعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجميين حامل
بنفسى على (نزريق) كبير القوم فقاتلهم ان شاء الله فاحملوا معى فان هلكت
بعده فقد كفيتكم امره ولم يوزكم بطل عاقل تكونون اموركم اليه وان هلكت
قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا
ال القوم بقتله فانتم بمدحه يخذلون »

ثم حمل وفتحت البلاد وكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت
في ظهور الملة الحنيفية وأعلاء الكلمة الإسلامية

التقى مع جيوش (الغوط) ودارت رحى الحرب ساعة انقضت فيها
ابطال العرب وكانوا ثلاثة على صناديد البربر وكانوا عشرة آلاف فبددوا
شمل جيش (الغوط) وترك (رودريك) مركبته وكانت من العاج الناصع
و لم يعلم أين ذهب .

وَجَدْ طَارقُ أَنْ هَذَا النَّصْرُ الْمُبِينُ فَرْقٌ عَسْكَرٌ (رُودْرِيكُ) وَأَهْلَ كَهْ وَبَدْدَهْ وَأَصْبَحَ الشَّعْبُ فِي وَجْلٍ عَظِيمٍ فَبَعْثَ رَجَالَهْ وَأَفْتَسَحَ « قَرْطَبَةَ » بَعْدَ

حصارها ثلاثة أشهر «وطليطلة» بعد حصارها والتضييق عليها وعقد مع أهلها صلحًا أباح فيه حرية الخروج لمن أراد من السكان وترك لأهل الكتاب كنائسهم وبيتهم ومتعبتهم بحرية دينهم وشرائعهم وأبقى لهم قضاياهم ثم تقدم نحو الشمال وفتح ما صر به من المدن بجهات «قسطلية» وما زال سأراً حتى وصل في مسيره إلى جبال أسطورديا أي بعد مسافة سبع أمم ميل من الجبل المدعو باسمه ووقف عند مدينة جيجون قرب خليج باسكاليا حيث الأقيانوس ورجع من هناك إلى طوليد ليلتقي بالأمير موسى بن نصیر

جاء الأمير موسى والقى العصى وسار بعسكره الضخم يكمل ما ابتدأه طارق ويوفق للناس ما عاهدوه عليه حتى صفا القطر وطمأن نفوس من أقام على سلمه ووطأ أقدام المسلمين في الحلول به

أخذ الأمير موسى بناء على اشارة «جوليان» في محاربة بعض العوط الذين لم يخضع لهم طارق فتقدم طارق وبعده الأمير بعسكره وسار إلى (غديانة) وحضرها وأعجب بأعمال الرومان فيها كالجسر ومصانع المياه وأبنية الملاعب الموجودة في «لسستانه» ثم فتحت «سرقسطة» واتصل الربع بأهالي البلاد وأدى ما دهمهم به جيوش المسلمين إلى أن هذين الفاتحين صاروا إمراناً بوضع الا فتح لها أبوابه حتى انتهى إلى وادي (ردونه) ودخل جيش طارق وسراياه البلاد التي لم تخضع لسلطانه

كان الأمير موسى بن نصیر مع تقدمه في السن وما علاه من وخط الشيب مقداماً يعشق الجد ويصبو لافتتاح البلاد حازماً عاقلاً ذا سياسة جليلة . كان في نيته أن يتقدم فيفتح بلاد فرنسا (المعروفة بلاد الغالة) وإيطاليا المعروفة بلاد (اللنباردو) ثم يمر بجانب (جورمانيا) إلى (هونكاريا) إلى

الاستانة الى آسيا الصغرى ويصل لمقر الخلافة

لم يكن يبني هذه الصروح على الهواء لان سطوه في هذا الوقت كانت
امتدت الى اعماق القلوب وعدوى الخوف والفزع من جيوش العرب عمت
جميع أولئك السكان وسرت من بلد الى بلد ولكن اتأه رسول الوليد يأمره
بالحضور وكان قد فتح جميع البلاد ولم يبق في الاندلس بلد لم تدخله العرب
الا « جليلة »

اطاع هذا الفاتح أمر خليفته وترك ما يبيده ولبي أمره بعد مأمولة بلادا
مثل بلاد الاندلس وألقى بينه وبين مقر الخلافة البحر الزخار وأصبح في ملك
لاتناله الاقدام والحوافر الا بشق الانفس

ترك بلادا هو مفترعها ورجالا هو مستملكون لا يعرفون غير خيره ولا
يختلفون غير شره وفي يده من الذخائر والاعلاق والاموال والمعامل والرجال
مالو أظهر الامتناع به لنال المرام . فتأمل مثل هذا الاخلاص . وتحدث بمثل
هذه الطاعة

سار الامير موسى الى مقر الخلافة وولي ابنه عبد العزيز على بلاد الاندلس
وهو أول من اخذ له سرير ملك فيها وكان باشبيلية . لان طارق والامير موسى
لم يتخذ سريرا للسلطنة فيها

عقد عبد العزيز لأربعين خلت من شهر رجب من السنة الرابعة والتسعين
من المهرة بمحضر أربعة شهود من المسلمين عهدة صلح مع الامير (طودميرس)
على المدن السبع التي كانت له بان يعطي (طودميرس) الامان ولا يعارضه في
عمله ولا يعتدى عليه في ماله ونفسه وعرضه وأولاده وكنائسه على أن يسلمه له
المدن السبع وأن لا يقبل ولا يساعد أعداء الخليفة ولا يكتم من نيتهم شيئاً وأن

يدفع في كل سنة عنه وعن كل رجل من (القوط) ديناراً واحداً وأربعة كيلات
خنطة ومثلها شعيراً وقدراً من الزيت والعسل وأتباعهم نصف ذلك
ثم أخذت البلاد في التمو وسمح الامير موسى وطارق لاخوهما العرب
في أفريقيا ومصر بالانتقال فانتقلوا الى (لسبونه) و(موركه) وفي أقل من
قرن واحد بلغت واردات البلاد من الزراعة والتجارة والصناعة مالاً بـ
فضلاً عن الجماليات وأموال القتوحات

قد رأى العرفان ان ما كان يجب من الاندساس في ذلك الوقت يعدل
مدخيل أوروبا وهذا التمو إنما هو من نتائج الحرية وعدم التعرض لاحد في
ماله وعرضه ونفسه وقد أيقظ اجتهد العرب بعد فتح تلك البلاد كثريين
إلى العلوم والصناعات وظهر فضل أولى النباتات والذكاء وأحب أهل إسبانيا
العرب فآخوه وارتفعت الخلافات من بينهم حتى كانوا يختلفون مثل العرب
ويستعنون عن المحرمات المحرومة عند هم فدعاه من شد عنهم من الجوس (مازادابي)
أى أنصاف عرب

رزق الله بنى أمية بالفاتحين من الخلفاء وبالخير من القواد في تلك
الازمان امتد حكمهم مسافة مائة يوم من المشرق الى المغرب وكانت آية
القرآن تقرأ في سمر قند كما تلى في قرطبة ويتلاقى الهندى مع السوداني في
مكة للحج وكلاهما يدين لبني أمية . وظهرت على كل الممالك قدرة وغنى .
وكانت كلية الدولة نافذة في ثلاثة أقسام من الارض : آسيا وأفريقيا وأوروبا
ملكون من براري جبل الطور الى قفار ماوراء النهر ومن وادى كشمير الى
منحدر جبل (طوروس) على البحر الابيض وأطراف الاناضول وسائر
مملكة الاكاسرة وما يحيط به الاكاسرة . ومن الجزر قبرص واقربطش

وروتس وجزار بلغاره وشمال افريقيا والبلاد المتعدة من بغاز جبل طارق الى بربخ السويس . وقسموا سواحل البحر الابيض الى حكومتين احداهما بالغرب تشمل على الاقاليم القديمة اليونانية والاخري بالشرق وهى عمالة مصر وبرقة البحريه . وأخذت الجزية التي قررها سيدنا عمرو بن العاص من بلاد النوبة . كما أخذت من الهند والصين كاقدرها مسلم بن قتيبة الباهلي . وكل ذلك على قواعد العدل وقسطاس الحق حتى صارت دمشق في نظر المسلمين كأنما هي روميا في نظر المسيحيين

كانت دمشق ثانى مقر للخلافة الاسلامية بعد المدينة المنورة . وكما كانت تباهى على البلدان ببياهها وأشجارها ورياحينها كذلك كانت تعز بمقام الخلافة فيها

فيها بقية آثار الملوك الكنعانيين والروم وآل جفنة من العز والعمارة فكانت زينة الدنيا . وأهلها أحسن الناس خلقاً وخلقاً جمعت بين العمال والمحاجن والزهد وفيها كل شئ من ذلك سبب وجامع الوليد المعروف بجامع الاموي قائم فيها وهو أخر مأثره لملكبني أمية

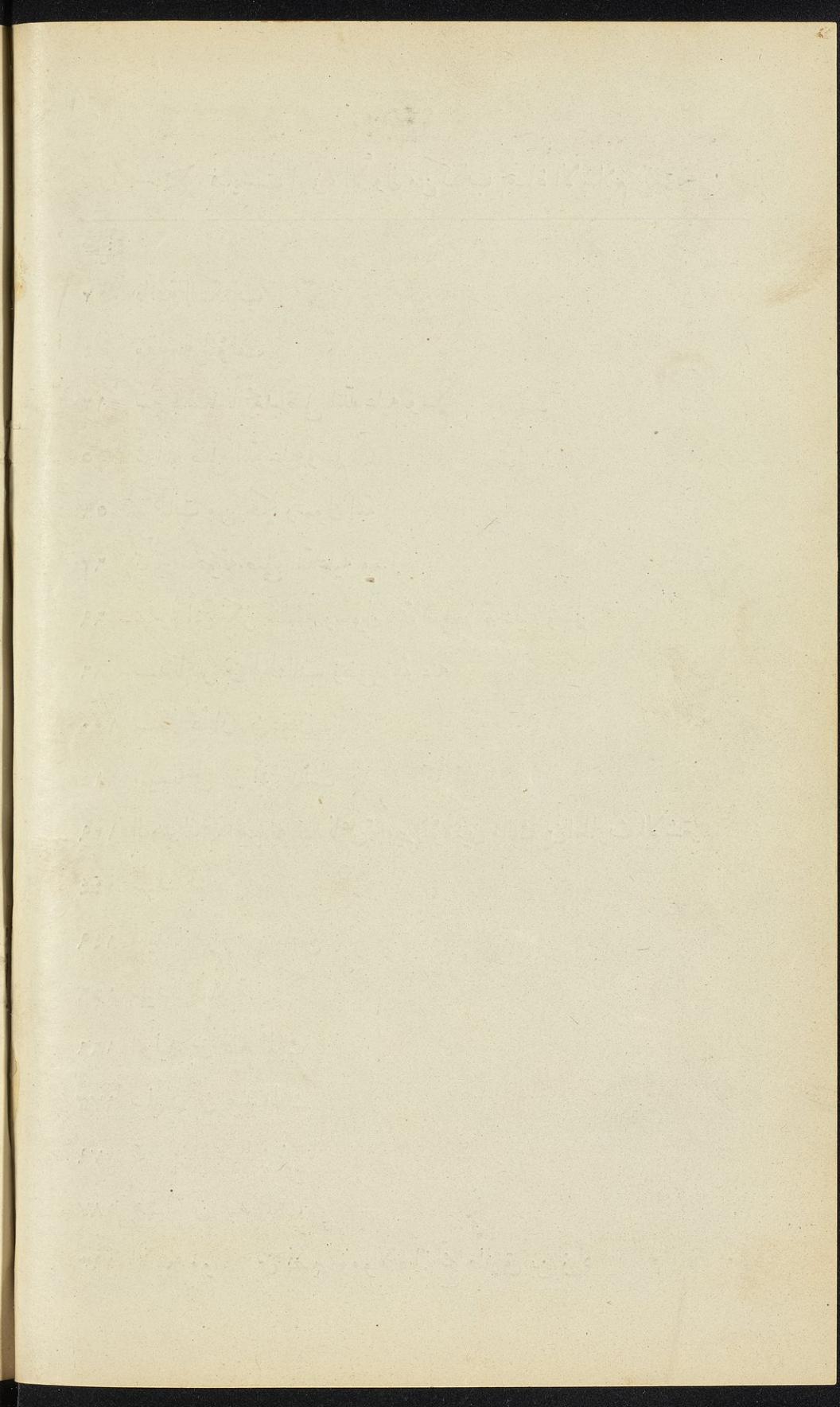
إلى غير طائف البلاد الطبيعية ومحاسنها الوهبية التي لا يحصيها السان ولا يصفها بيان

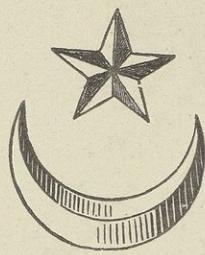
هذا وقد كدنا أن نخرج بهذه الاوصاف وغيرها عن معنى الترجمة التي قصدناها وإنما أردنا أن نبين للقارئ كيف كان مقام الخلافة في الشام إلى عهد هشام

— فهرست الجزء الأول من كتاب حماة الاسلام —

صحيفة

- ٢ فاتحة الكتاب
- ٤ مقدمة المؤلف
- ١٢ سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
- ٥٥ شهادته صلى الله عليه وسلم
- ٥٩ كلمات من حكم رسول الله
- ٦٢ تأثير دعوته صلى الله عليه وسلم
- ٦٩ سيرة أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٨٦ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١٠٠ سيدنا عثمان بن عفان
- ١١٤ سيدنا علي بن أبي طالب
- ١٢٩ المهد الذى أمر به سيدنا علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشترا
- ١٤٤ سيدنا الحسن
- ١٤٩ سيدنا عمرو بن العاص
- ١٥٦ سيدنا معاوية
- ١٦٦ الوليد بن عبد الملك
- ١٧٣ سليمان بن عبد الملك
- ١٧٩ عمر بن عبد العزيز
- ١٨٧ هشام بن عبد الملك
- ١٩٣ الامير موسي بن نصیر ومولاه الفاتح طارق بن زياد





حِكْمَةُ الْإِسْلَامِ

تأليف

﴿ كاتب من كبار الكتاب ﴾

الجزء الثاني

* حقوق الطبع والترجمة محفوظة لصاحب اللواء {

(الطبعة الأولى)

(مطبعة اللواء بباب الوق نسخة ١٩٠١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَبْذَةٌ تَارِيَخِيَّةٌ

قد أتينا في الجزء الاول من (حماة الاسلام) على ذكر شيء يسير من سيرة بعض ساداتنا خلفاء بنى أمية وبنى مروان وخبر بعض قوادها ورائنا الآن أن ننتقل لسيرة بعض ساداتنا خلفاء بنى العباس وقوادهم أيضاً وما ذلك عن قلة ولا سامة وانما رغبة في الانتقال بالقارئ من عهد الى عهد ومن مقصد الى مقصد لتحصل البركة من كل جانب ونلم بأعمال حماة الاسلام في كل صفع وناحية ليكون هذا العمل من جهة الدلالة على الخير الذي فعلوه فذلك لهم ان الدولة الاموية اجل قدرأً من ان تختصر اخبار خلفائها وساستها في هذا العدد اليسير اويسع اخبارها مثل هذه السوانح . فماهذا امثاله الا غيض من فيض

وقد حدثتنا النفس أن نجعل بين تراجم ساداتنا خلفاء بنى أمية وساداتنا خلفاء بنى العباس نبذة تاريخية (وهي هذه) نبين فيها انتقال الدولة ثم نلتحق بها بترجمة أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة لبني العباس فان كنا أصبنا فيما فعلنا ذلك الحمد وان كنا أخطأنا في بيت الخطأ ومعدته

قال الله سبحانه وتعالى « وتلك الايام ندا ولها بين الناس » وقال الحكيم
وقد عزى بعض من خرجت عنه مملكته : « لو بقيت لغيرك لما وصلت
الىك »

دالت الدولة للعباسيين فإذا هي من كبار الدول وأعظمها في الدهاء والتحيل . ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فأطاعها الصلحاء تديناً وبالباكون رغبة أو رهبة واستمرت الخلافة والملك نحوً من ستة قرون استقبلت فيها عظام الأمور وطررت عليها دول كدولة بني بويه وخلفها عضد الدولة . فناخسر و دولة بني سلجوقي . وكبشا طغرليك . و دولة خوارزمشاه وفيها مثل علاء الدين الذي اشتغلت جريدة عسکره على أربعين ألف مقاتل . و دولة الفاطميين بصر و عسکرهم لم ير أكثـف منه . فضلاً عن الخوارج والجماعـون الذين لم تبلغ استطاعتهم مناسبة عنـة الملك ومعانـته وجـدع أنـفهم الشـاغـون مـتابـة الاستـكـبار بأقلـ الأـذـى وأـقلـ السـخط

كل هذا لم يقو على ازالة ملتهم ولا محوا أثرهم بل كان الملك من هؤلاء
يجمع ويحشر ويقبيل بالعسكر الجرار والجليس العظيم حتى يصل بغداد فادا
وصل التمس الحضور فان أذن له قبل الأرض بين يدي الخليفة وقصاري
متمناه أن يوليه عملا أو يعقد له لواء أو يختم عليه خلعة

كانت لهم في نفوس الناس منزلة لا تدانيها منزلة أبداً حتى ان السلطان «هولاكو» لما فتح بغداد وأراد قتل الخليفة أبي أحمد المستعصم القوافي سمعه انه متى قتل الخليفة اختل النظام في العالم فاحتاجت الشمس وامتنع القطر أتت لها هذه العظمة وأصبح لها ذلك الاعتبار في النفوس بماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه كان يجري على لفظه الشريف مامعناته

(البشرة بدولة هاشمية) وذم قوم انه قال لعمه العباس رضى الله عنه (انها تكون في ولدك)

كانت النقوس متطلعة لهذه الدولة ينتظرونها صباح مساء يظنون فيها الخير أكثر مما كانوا فيه . فكان فيهم عطف عليها وحنان لها دولة كثيرة المحسن جهة المكارم قامت فيها أسواق العلوم ونفقت فيها بضائع الأدب وعظمت فيها شعائر الدين ودررت عليها الدنيا بخيرها وروعيت فيها الحرمات وحصنت التغور . كانت الدولة مستمسكة بالدين كما كان على عهد الخلفاء يحاسبون أنفسهم وينكر بعضهم على بعض اذا أخل بالعدل والمساواة ويحكمون بالشريعة ويتأذبون بأذابها

بلغت حضارة الإسلام في دار السلام مبلغاً يندر مثله فأن التفت وجدت جمالاً وانى نظرت رأيت مهابة وجلاً . أبهة ملوك ودعة زهاد ورخاء بالوارتفاء حال وإنماس في طيبات العيش والتصرف الواسع في التجارة وجمع ظرائف الدنيا وتحري العدل في كل ذلك بحكامه وأخذ الرعية بالحلم الواسع والسياسة بالسياسة

اجتمعت العلماء والأدباء والمرءاء والنديماء ببابا بباب اخلافه وعلى الاختصار الشديد الذي أليس الدنيا جمالاً وخلع عليها جلاً بلكه الذي لم يسمع عن أحد من الملوك

تسامت فيها الدور والقصور بالبهاء والرفعة وبنيت فيها المنازل الرحمة المزخرفة والأسواق والمرافق والمكاتب واتصل تعداد النقوس بععداد لقداد لم يكن نصفه في مدينة من العالم

قصدهم الناس وطمعت في انفجار مكارهم الخلق حتى صار يضرب

بهم المثل في ســعة المطاء وكان مع ذلك بيت المال في عمران تشمل خزانة
على العــين والورق والأمتعة والــكساوــي والــغــلات وغير ذلك . والــأــمة بالــغــة
مبلغــها في الــعــلم والــادــب والــصــنــاعــة

انتــحــى العــزــ والــرــفــاهــ بــأــهــلــالــاــســرــ وــاجــاهــاــلــىــ أــقــصــىــ غــايــةــ حــتــىــ اــخــذــتــ الــاــبــرــ
لــلــجــوــارــىــ مــنــ الــدــهــبــ وــصــاغــوــاــ الــمــســامــيرــ الــتــىــ تــدــقــ فــيــ مــجــالــســهــمــ لــتــعــلــيــقــ الــمــنــادــيــلــ
مــنــ الــدــهــبــ (١) وــكــســيــتــ حــيــطــاــنــ مــنــازــلــهــمــ بــالــلــوــشــ وــتــأــقــوــاــ فــيــ جــمــيــعــ أــدــوــاتــ
الــزــيــنــةــ وــالــمــبــاهــةــ بــهــاــ كــالــخــيلــ وــالــســلاــحــ وــالــأــوــانــىــ وــالــجــوــاــهــرــ وــالــفــلــانــ وــالــقــيــاــنــ وــجــيــعــ
طــيــيــاتــ الــزــمــانــ حــتــىــ ضــرــبــ الــمــثــلــ بــهــمــ فــيــ الــآــفــاقــ وــجــلــبــوــاــ إــلــىــ بــســاتــيــهــمــ طــيــيــاتــ
الــزــهــوــرــ مــنــ الــمــهــنــدــ وــالــرــيــاــحــيــنــ مــنــ الــصــيــنــ وــاــخــذــوــاــ مــقــاعــدــهــمــ عــلــ حــالــاتــ غــرــيــةــ
فــتــراــهــاــ فــيــ الشــتــاءــ كــنــاــ كــيــنــاــ وــفــيــ الــحــرــ مــابــيــنــ الــمــاءــ الــمــتــدــفــقــ غــزــاــرــةــ مــنــ الســقــوــفــ
وــالــحــيــطــاــنــ وــالــنــابــعــ مــنــ الــأــرــضــ وــالــمــتــفــجــرــ مــنــ جــوــاــبــ الــمــكــانــ وــكــلــ ذــلــكــ فــيــ
أــفــواــهــ صــورــ كــصــورــ الســبــاعــ وــالــثــعــابــيــنــ وــمــاــشــاــبــهــ ذــلــكــ . وــقــدــ عــلــقــتــ الــمــرــاــوــحــ فــيــ
ســقــوــفــ الــمــكــانــ وــوــضــعــتــ الــحــبــالــ الــتــىــ تــجــرــبــهــاــ مــنــ اــخــارــجــ فــاــذــاــ حــرــكــتــ هــبــ
الــنــســيمــ فــتــرــطــبــتــ الــاجــســامــ وــلــذــ المــنــانــ

لــمــاــ أــرــادــ اللــهــ قــيــامــ هــنــذــهــ الدــوــلــةــ نــمــاــ الشــرــ وــخــلــقــتــ أــســبــاــبــهــ وــكــثــرــ الــهــرــجــ
وــالــهــرــجــ وــفــتــحــ بــاــبــهــ وــثــارــتــ الــقــفــنــ وــاضــطــرــبــ الــحــبــالــ وــاــخــيــلــتــ الــكــلــمــةــ فــظــهــرــ أــبــوــ
مــســلــمــ بــدــعــوــةــ بــنــيــ الــعــبــاــســ وــاجــتــمــعــ عــلــيــهــ كــلــ مــنــ لــهــ فــيــ ذــلــكــ رــأــيــ مــنــ أــهــلــ خــرــاســانــ
انــظــرــ لــلــبــلــاــدــ وــمــاــ كــانــ عــلــيــهــ . كــانــ أــهــلــ الــحــبــاــزــ قــلــيــلــيــنــ وــأــهــلــ الــبــصــرــ
وــالــكــوــفــةــ وــتــلــكــ الــحــوــاــلــىــ مــنــحــرــفــيــنــ عــنــ الــوــحــدــةــ فــيــ نــظــرــ النــاســ لــخــذــلــاــهــمــ وــغــدــرــهــمــ

(١) لــعــلــ مــثــلــاــ مــشــلــ الــآــلــةــ الــغــرــيــةــ الــمــســتــعــمــلــةــ الــآنــ لــوــضــعــ الــمــلــاــبــســ عــلــيــهــ الــمــســمــةــ فــيــ لــغــهــمــ
(بورــتــ مــانــتوــ)

فِي سَوَابِقِ مَا جَرِيَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِصْرُ وَالشَّامُ مَعَ دُولَةِ بَنِي أُمَّيَّةِ
ظَهَرَ أَبُو مُسْلِمُ الْخَرَاسَانِيُّ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ أَصْحَابُ الرَّأْيَاتِ السُّودُ وَحَارِبُ
عَسْكَرُ مَرْوَانَ تَحْتَ قِيَادَةِ نَصْرِ بْنِ سِيَارٍ وَهُنَّ مِنْ
يُعِجِّبُ الْإِنْسَانُ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ كَيْفَ سُخْرَاهَا اللَّهُ لِتَسْفِيَهُنَّ قَضَائِهِ الْعَادِلِ
وَابْرَازُ مَكْنُونَ حُكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ . يَقُومُ أَبُو مُسْلِمٍ بِهَذِهِ الْجَيُوشِ يُبَذِّلُونَ الْمَهْجَبَ
وَيُنْقُونُ الْأَمْوَالَ وَيُجْبُونَ الْخِرَاجَ وَيَنْدَوْنَ بِاسْمِ الْإِمَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَى بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ لَا يُفَارِقُهُ وَأَهْلُ خَرَاسَانَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ
اسْمِهِ وَشَخْصِهِ وَهُوَ لَا يُدْخِلُ أَيْضًا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَلَا يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُعْطِي
أَحَدَهُمْ سَلَاحًا وَهُمْ يَحْمِلُونَ إِلَيْهِ الْخِرَاجَ

ثُمَّ قَدْرُ اللَّهِ أَنْ يُقْتَلَ هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي قَامَتْ بِاسْمِهِ الدُّعَوةُ كَأَنَّهَا فَرَغَ
مِنْ عَمَلِهِ وَكَأَنَّهَا هُوَ لَا يُصْحِحُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مُقْدَمةً لِغَيْرِهِ

خَافَ أَخْوَاهُ السَّفَاحُ وَالْمَنْصُورُ وَجَمَاعَةُ مِنْ أَقْرَبِهِمْ فَهَرَبُوا وَقَصَدُوا
الْكُوفَةَ وَتَزَلَّوْ دَارَّاً أَخْلَاهُمْ أَبُو سَلَمَةَ حَفْصَ بْنَ سَلِيمَانَ الْخَلَالَ مِنْ كَبَارِ
الشِّيَعَةِ فَدَخَلُوهَا مَعَ أَتَابِعِهِمْ وَكَتَمُوا سَرْهُمْ وَاجْتَمَعَتِ الشِّيَعَةُ بِهِمْ وَقَوَّيْتُ

شُوكَّهُمْ

فَصَدَّ أَبُو مُسْلِمَ دَارَ الْخَلَالِ وَفِيهَا السَّفَاحُ وَالْمَنْصُورُ فَقَالَ أَيْمَانُ الْحَارِثِيَّةُ :
قَالَ الْمَنْصُورُ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى السَّفَاحِ وَكَانَتْ أُمُّهُ حَارِثَيَّةُ فَسَلَمَ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ ثُمَّ
خَرَجَ السَّفَاحُ وَمَعَهُ إِخْوَتُهُ وَعُمُومُهُ وَأَقْرَبُهُ وَأَكَبَرُ الشِّيَعَةِ وَأَبُو مُسْلِمٍ بَيْنَ
يَدِيهِ إِلَى الْجَامِعِ فَصَلَّى وَصَمَدَ النَّبْرَ وَأَظَهَرَ الدُّعَوةَ وَخَطَبَ النَّاسَ وَبَوَّعَ لَهُ
بِالْخَلَافَةِ سَنَةَ ١٣٢

ثُمَّ سَلَبَ اللَّهُ مَا كَانَ لِمَرْوَانَ آخِرَ خَلَفاءِ بَنِي أُمَّيَّةِ مِنَ الصَّوْلَةِ وَالْقَدْرَةِ

حتى عصته العسكر ونابذته قواده وكان جيشه فوق المائة ألف فلم يعن عنه شيئاً
وتولى أمره الخذلان حتى انهزم وهرب وقتل في قرية أبي صير من قرى
الغربية على الشاطئ الغربي للنيل الشرقي وهو آخر الخلفاء في هذه الدولة
ولا بد لنا قبل ختم هذه السطور من ذكر شئ حفظه التاريخ لهذه الخلافة .
وهو ان بني أمية وان كانوا أعطوا الملك حقه من الفتوح والتغلب والعدل في
القضاء وحفظ الأمن والراحة (وانى لنا بمثل تلك الأيام) فان القوضى
العلمية التي ظهرت في أواخر دولتهم والاحاديث التي وضعت مختلفة على الرسول
صلى الله عليه وسلم فرقت الامة الى مذاهب مختلفة كالخوارج والمعزلة والجبرية
وأخرجت الخلافة عن رتبتها العلمية الدينية وأبعدتها عن حدها وعهدها وقام
الملك أخيراً على العصبية فانحرفت عن العدالة العامة والعلم الديني وهذا أقوى
أركان الخلافة وانتشر التفرق في البلاد الإسلامية ولم يجمع القادة أمر الناس
على عقيدة واحدة بل تركوه مع هذا السبيل الجارف

لذلك تقوضت دعائم هذه الدولة وانقسمت الى خلافتين : خلافة عباسية
في دار السلام وخلافة أموية في الاندلس قام بالاولى الامام السفاح وبالثانية
الامام عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الاموى الذى فر من السفاح ولجأ الى
قبيلة زناته اعظم قبائل افريقيا ونحن ذا كرون شيئاً من تاريخ خلفائها الذين هم
خير خلفاء وناقلون سيرتهم الحسنة بعد الفراغ من تراجم من يعن عليه الله سبحانه
وتعالى من الخلفاء العباسيين . والله أعلم

ترجمة أبي مسلم الخراساني

هو عبد الرحمن بن سالم وتسميه جماعة المؤرخين بصاحب دولة . أو صاحب دعوة بنى العباس . أو صاحب الدولة العباسية . أو بأمير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلقو في نسبه فمن قائل انه عربي . ومن قائل انه عجمي . ومن قائل انه كردي . وقد قال هو عن نفسه « كفاك خبري عن نسيبي » تعرّع أديباً . ونشأ ليبياً . وكان يشار اليه في صغره لفط ذكائه ووفود عقله

ولد في سنة مائة باصبهان وكان أبوه قد أوصى به الى عيسى بن موسى السراج فحمله الى الكوفة وهو ابن سبع سنين ثم جمع بينه وبين ابراهيم الامام فأقام معه حتى بلغ أشدّه ثم قال له غير اسمك وكنيتك (وكان يسمى ابا اسحاق) فتسمى (عبد الرحمن وتكنى بابي مسلم) . زعموا ان الامام وجد ذلك شيئاً في الجفر وتحقق ان الامر لا يتم على يده الا بعد تغيير اسمه لعلامات رآها هو بها أعلم وأخبر

ولعله إذ قدم على الامام شاهد فيه عقلاً وذكاء ودهاء فاعجب به فعقله عنده حتى كان ما كان من قيامه بالدعوة له في خراسان

يشترك أبو مسلم مع جماعة من الذين طالت أعمارهم وقصرت أعمارهم فانه ولد سنتين مائة والخليفة يومئذ سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكانت ولادته سبع سنين وعشرين أشهر دوخ فيها أهل الأرض . وكان له يوم قتله المنصور ثلاث وثلاثون سنة فهو كالاسكندر الروى صاحب الفتوحات

أو كابن المفعع حكيم الفرس والعرب . أو سيمويه شيخ العربية . أو أبي تمام
أبي الشعراء . أو إبراهيم النظام أمير علم الكلام وغيرهم من لا يقطع العقل
بجواز أن تكون أعمارهم الفصيرة ظروفاً لاعمالهم الخطيرة التي دونت عنهم
كان أبو مسلم جيلاً قصيراً أصغر حلواني البشرة أحور العين عريضاً
الجبهة حسن اللاحية وافرها طويل الشعر طويل الظهر قصير الساق خافض
الصوت فصيحًا بالمربيّة والفارسيّة حلو المنطق راوية للشّعر عالماً بالأمور . لم
ير ضاحكاً ولا مازحًا إلا في وقته وزرمده ولا يكاد غصب في شيء من أحواله .
تأتيه الفتّوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور وتنزل به الحوادث الجسام
فلم ير مكتئبًا وإذا غصب لم يستفزه الغصب كثير الغيرة شديد البطش شجاعاً
فاتكًا ذا عقل ورأى وحزم وتدبر . كل هذه الحالات الجميلة والنعوت
الشريفة هيأت هذا المقدام الهمام لأن تتعلق به دعوة بنى العباس ويكون به
إقامة دولتهم وابادة دولة بنى أمية

سئل أبو مسلم فقيل لهم نلت مائة فيه من القهـر لـلـأعدـاء فقال «أردـيت
الصـبر وآتـتـكـهـانـ وـحـالـفـتـ الـاحـزانـ وـالـاشـجـانـ وـسـاحـمـتـ المـقـادـيرـ
وـالـحـكـامـ حتـىـ بلـغـتـ غـايـهـ هـمـتـيـ وأـدـرـكـتـ هـنـاهـيـ بـغـيـتـيـ»

ومما يدل على علو همة انه ورد حال الدعوي «نيسابور» ليلاً على حمار وليس
معه آدمي فقصد دار (الدهقان) فدق عليه الباب فقزع اصحابه وخرجوا اليه
فقال لهم قولوا للدهقان ان أبا مسلم بالباب يطلب ألف درهم ودابة فقالوا
للدهقان فسألهم في أي زي وأي عدة هو ؟ فقالوا وحده في أدون زى فسكت
ساعة ثم أمر له بما طلب . فلما ملك وقتـتـ نـيـساـبـورـ قـيلـ لهـ خـذـ ماـ تـريـدـ منـ
مالـ (الـدـهـقـانـ)ـ الجـوسـيـ فـقـالـ (ـاـنـ لـهـ عـنـدـ أـبـيـ مـسـلـمـ يـداـ)ـ ثـمـ أـتـهـ هـدـاـيـاهـ

فرد ها ولم يعرض بشيء له ولا لاتباعه
ومن نوادره انه كان يستغل عند خراز بالكوفة فينما يخرز شيئاً رأى
الناس يتعادون فقال ما الذي بهم قالوا فيل دخل الكوفة فقال وانني في دخل
فييل الكوفة من العجب ؟ العجب في اقلب دولة وأقيم أخرى
بدأت الدعوة العباسية سنة اثنين ومائتين على ماسترة صيناه وكان أول
ظهورها بخراسان (بلدة أبي مسلم) وكانت قاربها في المولد ليشبوا مع آسيا سوية
اختلقو في أول من قدم خراسان . فمن قائل ان ميسرة وجه رسالته
بالدعوة من العراق اليها . ثم وشي بهم عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي . الى
سعید حذیفة عاملها . فقال ان هنا قوماً ظهر منهم كلام في الخلافة وأعلن
بهم فسألوهم فقالوا نحن من التجار وإن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا
وجاءت أناس فـ كفـ لهم خـ سـ يـ لهم

ومن قائل ان أول من دخل خراسان الدعاة الذين وجه بهم (بكير بن
ماهان) وفيهم أبو عكرمة . وأبو محمد الصادق وغيرهم سبعة ومائتان . ومن
قائل انهم دعاة (محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) . وفيهم زياد أبو محمد
مولى همدان . وقد اتفق أصحاب الروايتين ان ذلك وقع في هذه السنة وفي
ولاية أسد على خراسان

أساء هولاء الدعاة سيرة بني أمية وأطعموا الطعام على حب بني العباس .
وصارت المناظرة في تفضيل آل علي وآل عباس حتى بلغ أمرهم أسدآً فحضر
زيادآً . وقال له ما الذي بلغنى عنك قال الباطل . إنما قدمت إلى تجارة وفرقت
مالى على الناس . فإذا اجتمع خرجت . فأمره بالخروج فلم يخرج . وعاد إلى
أمره نخاف منه أسد . وأحضره وقتلته بالسيف مع عشرة من أصحابه . قالوا

ولما بلغ الخبر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال (الحمد لله الذي صدق دعوتهم ومقاتلهم وقد بقيت منهم قتلى ستقتل) ثم وجه (بكير بن ماهان) سنة ثمان عشرة وما تأة عمارة بن يزيد واليأ على شيعةبني العباس فنزل مرو وغير اسمه وتسمى (بنخداش) ودعا الي (محمد بن عبد الله بن عباس) فسارع اليه القوم وأطاعوه ثم أباح لهم عدم الصلاة والصوم ودعاهم للفجور بنساء بعض وقال ان ذلك بأمر محمد بن علي فظفر به أسد والي خراسان وسمى عينيه وقطع لسانه فبلغ ذلك محمد بن علي فترك مكانتهم وصارسلتهم فبعثوا اليه سليمان بن كثير يعلمه أمرهم فصرفه الى خراسان وأرسل معه كتاباً مختوماً فقضوه فلم ير فيه الا (بسم الله الرحمن الرحيم) فمعظم عليهم ذلك وعلموا أنهم خالفوه . وبعث للنبياء أيضاً بعضى مضيبة بعضها بحديد وبعضها بالنحاس وأخذ كل واحد من النبياء عصا وهي اشارة لما كانوا عليه من خالفته ورجوعهم لطاعته (١)

ثم جمعوا أمرهم وقاموا بالدعوة وابتداً أضطراب جبال بني أمية وهاجت عليهم الفتنة وخرج سليمان بن هشام بن عبد الملك من الحبس وأخذ ما كان بعمران من الاموال وأقبل الى دمشق يلعن الوليد ويرميء بالكفر ثم دخلت سنة سبع وعشرين وما تأة وهي أول سنة الاعمال الجسيمة توجه فيها سليمان بن كثير ومعه أبو مسلم وجماعة من الشيعة الى مكة والتقو ايبراهيم الامام ودفعوا اليه ما كانوا يحملون من المال والمتابع فكتب كتاباً لابي مسلم يأمره فيه بالعمل ووجهه اخراساني وعمره اذ ذاك نحوها من أربع وعشرين

(١) العصى المضيبة بالنحاس أو الحديد هي علامه النقيب للآن في طرق الصوفية ولعلها من هنا أخذت

سنة . قال في كتابه للإصحاب والشيعة
أما بعد فاني قد أمرت عليكم أبا مسلم فاسمعوا له وأطعوه
أمرته على خراسان وما غاب عليه بعد ذلك . فكثير على شيخ الشيعة
قبول إمرته لصغر سنها وخرج بهم إلى مكان ليلاقوا الإمام فإذا به جموع على
رأيه على أبي مسلم وأنزلهم طاعته فأطاعوه ثم كتب إلى أبي مسلم (إنك رجل
من آل البيت احفظ وصيتي انظر هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين
ظهرائهم فأن الله لا يتم هذا الامر إلا بهم واتهم ربيعة في أمرهم وأمامضر
فأتهم العدو القریب الدار فاقتلت من شکكت فيه وان استطعت ان لا تدع
بنخراasan من يتكلم بالعربية فافعل ولا تخالف هذا الشيخ (يعني سليمان

ابن کثیر) ولا تعص عليه و اذا اشکل علیک امر فا كتف به مني)

قام أبو مسلم بالدعوة حق قيام ولم يبق قلب ما قبله على بني أمية ولا بلد
الا أو حشه منهم فغير النوايا وبدل الضحائر والافكار بما به وأظهره من حجج
الهاشمية وما كشف من معايب الامور فلم تثبت الا وقد لزمت الطاعة
وتنادت بالدعوة لبني العباس وجاءت من كل الارجاء والمواقع ليقع في ملـكه
ما يزيد

قام أبو مسلم مع النقباء والنجباء وبث الدعاة وبرز للمغابلة والمبارة فأزال
ملائكة أعدائه عن مستقره وثبت ملوك أوليائه في نصبا به فشقى الله صدورا
وأدراك بسيفه ثاراً، ففتح البلاد وأقام أصل الدولة وفتح مغرس هذه الشجرة
ونشرها وتبتها وأقام مقام أصحاب الدعوة بوتيرة واحدة ومنهاج غير مشترك
ودان بالطاعة مع أصحابه يقتلون فيها ويموتون عليها

أصحابه الخراسانية أصحاب الرياض السود يرون حدثاً مأثوراً معناه

(صفة الذين يفتحون عمودية ويظرون عليها ويقتلون مقاتلها شعورهم شعور النساء ونيلهم ثياب الرهبان) وهم كذلك كانوا أصحاب صدور سليمة وقلوب باسلة لم تفسد لها الاهواء ولم تخاصرها الادواء ولم تعققها البدع وهم خير جند خير قائد وكلائهم لم يخلعوا إلا لقب الدول وتأييد السلطان

(١) قومس بالضم وفتح الميم صقع كير بين خراسان وبلاط الجيل

تبتديء بالخطبة قبل الصلاة وبالاذان والاقامة مع تغيير كثير في عدد التكبيرات واختلاف في كونها تباعاً ففعل ثم النصر فوا بعد الصلاة الى طعام فأكلوه وكتب أبو مسلم الى نصر بن سيار قائد جيوش بنى أمية كتاباً قال فيه .

الى نصر

اما بعد فان الله تبارك اسماؤه غير اقواما في القرآن فقال « وأقسوا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدي من أحد الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً استكباراً في الارض ومكر السيء ولا يتحقق المكر السيء الا بأهل له فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبليا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

فتعاظم نصر الكتاب وكسر له احدى عينيه وقال هذا كتاب ماله جواب ثم وجه أبو مسلم أشياعه مثل مالك بن الحبيب الخزاعي وحازم بن خزيمة والتقوا بمسكر بنى أمية وجيوها وذهب غير أولئك الى جهة أخرى فشردواهم عن الواقع والاماكن وقتل من قتل منهم كشيبان الخارجي من اكابر القواد والكرمانى وابنيه ودخل أبو مسلم « مصر » وصفت له على يد أبي منصور طلحة بن زريق أحد النقباء وكان عالماً بالحال ماجنا بالحجارة وهو أحد الائمه عشر تقريباً المنتخبين من السبعين الذين استجابوا الرسول محمد بن علي في اول الامر

ثم دخلت سنة اثنين وثلاثين ومائه بويع فيها أبو العباس عبد الله بن محمد ابن عبد الله الملقب بالسفاح بسبب قبض مروان الحمار على ابراهيم بن محمد الامام وجسه وقتله (كما هو مبسوط في اماكنه من كتب التاريخ) وكان الامام قد نهى نفسه الى اهل بيته قبل ذلك وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع

أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وبالسمع والطاعة له وأوصى إلى أبي العباس الملقب بالسفاح بخلافة فلما وقع ذلك ساروا فقدموا الكوفة مع شيعتهم فأنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم (كما تقدم الكلام في النبذة التاريخية) وجاءت القواد وسلمت عليه بخلافة ثم لبسوا السلاح وطلبو خروجه واصطفوا له وأتوا بالدواب فركب برذونا أبلق ودخلوا دار الامارة ثم خرج إلى المسجد خطب وصلى بالناس ثم وافت الاخبار بهزيمة صروان بالزاب ثم التقى به عبد الله بن علي عم السفاح فهزمه المزينة الكبرى وفر إلى مصر وقتل

قامت الدولة العباسية مبتدئة بأول خلفائها أبي العباس عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن العباس وهو الملقب بالسفاح فأقر أبا مسلم على خراسان ولا زال بها لا يفارقها إلى سنة ست وثلاثين ثم كتب إليه أبو مسلم يستأذنه في القدوم عليه والحج فأذن له ووافق ذلك طلباً من أبي جعفر المنصور أيضاً بالحج فأذن له فلما كانا في الطريق حمل معه ذكر أبي جعفر لأن أبا مسلم كان يكسو الاعراب ويصلح الآبار والطرق وكانت الذكرى له . ولما صدر عن الموسم تقدم في الطريق ثم أتاه خبر موت السفاح فكتب إليه يعزي ولم يهنته بخلافة . كل هذا وأمثاله جعل أبا مسلم في نظر المنصور من أحسن مبتدأ وأساء معقباً وقد غلب عليه سوء الظن حتى رجح فيه قبح الباطن على حسن الظاهر وخيث السريرة وفساد النية على حسن الخدمة والباء الحسن فأمضى فيه حكمه وقتله بعد أن استدعاه وأدناه وجالسه مجلساً كثراً فيه الأخذ والرد كما سيأتي ذلك في ترجمته
ان شاء الله

﴿ موعظة ﴾

(قال الامام الفخرري) لما قدر الله انتقال الملك الى بنى العباس هيا لهم جميع الاسباب فكان ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالحجاز جالساً على مصلاه مشغولاً بنفسه وعبادته ومصالحة عياله ليس عنده من الدنيا طائل وأهل خراسان يقاتلون عنه ويبدلون نفوسيهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ولا يفرق بين اسمه وشخصه . وانظر الى ابراهيم الامام هو بذلك الحالة من الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجاز وله مثل هذا العسكر العظيم في خراسان يبذلون نفوسيهم دونه لا ينفق عليهم مالا ولا يعطي احدهم دابة ولا سلاحاً بل هم يحبون اليه الاموال ويحملون اليه الخراج في كل سنة

ولما قدر الله تعالى خذلان بنى مروان وانقض ملك بنى أمية كان مروان خليفة مبایعاً ومعه الجنود والأموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده والناس يتفرقون عنه وأمره يضعف وحبله يضطرب فما زال يضمحل حتى هرم وقتل وأكلات لسانه هرة
فتعالى الله عما يشركون اه

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قادر . توحي الليل في النهار وتحوي النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب

أبو جعفر المنصور

نستفتح الخلافة العباسية باسم هذا الخليفة العظيم ثانى الخلفاء العباسيين
لأسباب منها ان جماعة المؤرخين قالوا ان في بني العباس فاتحة . وواسطة .
وخاتمة . والفاتحة عندهم المنصور . والواسطة المأمون . والخاتمة المعتصم .
ومنها ان مدة السفاح لم تطل . ومنها ان هذا الخليفة أحق بالتقديم لانه جمع
أشتات الفضائل بما أعطاه الله من القوتين العلمية والحربية

هو أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .
ولد في شهر ذي الحجة سنة خمس وتسعين وأدرك جده ولم يرو عنه وروى
عن أبيه وعن عطاء بن يسار . وبوبيع له بالخلافة في شهر الحجة سنة ست
وثلاثين ومائة . وتوفي لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة
ببئر ميمون مع السحر وهو محروم ودفن بمقبرة المعلاه والمسافة بينهما ثلاثة
أميال . فمدة خلافته أثنان وعشرون سنة ومدة عمره ثلاثة وستون سنة
كان أسمه نحيفاً خفيف العارضين وقوراً كامل العقل جيد المشارك في
العلم والأدب فقيه النفس فصيحًا بليغاً مفوهاً خليقاً بالأماراة وجبروتها مدبراً
لامور الملوك

قسم زمانه و ساعاته قسمة حكمه فكان صدر نهاره للامر والنهى
والولايات والعزل وشحن التغور والاطراف وتأمين السبل والنظر في الخارج
والنفقات ومصلحة معاش الرعيية والتلطيف بسكنهم وهدائهم فاذاصلى
العصر جلس لاهل بيته فاذا صلى العشاء الآخرة جلس للنظر في كتب
التغور والاطراف والآفاق وشاور سعاده فاذامضي ثلث الليل قام الى فراشه

فإذا مضى الثالث قام فتوضاً وصلى حتى يطلع الفجر فيخرج الناس فيصل إلى مـ
يدخل أيوانه

وكان لحبه العدل واستقامة أمور المملكة يستقل ذلك وقد سمع منه
انه قال «ما أحوجني ان يكون على بابي أربعة نفر : قاض لا تأخذني في الله لومة لائم
وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي وصاحب خراج لا يظلم الرعية
ثم عض على أصبعه وتأوه فقيل ما هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب
إلى خبر هؤلاء على الصحة»

نمت في عصره القوة العلمية . فقد عاصر كثيراً من الأئمة الاجلاء منهم
الامام أبو حنيفة والامام مالك بن انس وكثروا في علامة المسلمين فيه المعلوم .
كالحاديث والتفسير فصنف بن جریج بحثه . ومالك الموطأ بالمدينة . والاذاعي
بالمشام . وابن أبي عربة ومحاد بن سلمة وغيرها بالبصرة ومعمر باليمين .
وسفيان الثوري بحثه وصنف ابن اسحاق المغازي وابن ابي تدوين العلم وتبوبه
ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وكان الأئمة في هذا العصر
يعملون العلوم املاء من حفظهم

هو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية كاقيليس
وكيله ودمنة وكان هو أعلم الناس بالحاديث والأنساب مشهوراً بطلبـه . كان
بليناً لسنافصيحاً . أخرج الأصمعي وغيره انه صعد المنبر فقال «الحمد لله أَحَمَّه
واستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له . فقام
إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين اذكر من أنت في ذكره . فقال من رجبا من رجبا
لقد ذكرت جليلًا وخوفت عظيماً وأعوذ بالله أن أكون من من اذا قيل له اتق
الله أخذته العزة بالآثم والوعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وأنت ياقتها

فاحلف بالله ما الله أرددت وانما أرددت ان يقال قام فقال ف quoq قب فصبر فاهون
بها من قائلها واهتبلاها من الله فاني قد غفرتها واياكم معاشر الناس من أمثالها
وأشهد ان محمدًا عبده ورسوله فعاد الى خطبته كأنما يقرؤها من قرطاس
كان المنصور من اعظم الخلفاء ذوى الآراء التامة الصافية وأعلمهم وأعقلهم
وأحرزهم وأشجعهم وله من التدبرات السديدة ما يتحقق أن يدون ليحتذى
به ويؤخذ منه ويقاس عليه

ومن أغرب ما يوثر عنه مما يدل على تقطنه ودقته إنما أدركته الوفاة
قال لابن المهدى يابنى ان في بيت المال مالا أخذته العمال من أصحاب الجنایات
على وجه المصادرة تأدیبا لهم وزجرًا ولقد أفردت كل شيء منه وكتبت عليه
أسماء أصحابه فربما كان منهم ما يوجب رده اليهم
كان أعلم الناس بضبط احوال الممالك وترتيب القواعد واقامة ناموس
كل شيء . غالب الدهر والایام حتى كف عاديهما عنه وتوطدت اركان الممالك
له وعظمت هيئته في النقوس ولو لا بأسه وشده مادانت الأمسار اليه بعيدها
وقريها وأصبحت خلافته موطدة الأركان قوية البيان فان آل سروان لم تبل
دمهم . وآل أبي طالب لم تغمد سيفهم والناس قد رأهم أمس على حال
والاليوم أصبحوا عليهم خلفاء

كان حازماً لا يعرف فهو ولا ما يشبه فهو ولم يرف داره ذلك . قال
سلام الابرش كنت أخدم المنصور داخلاً وكان من أحسن الناس خلقاً في
الخلوة بل من أشد الناس أحتمالاً لما يكون فيها فإذا خرج من المجلس العام
اربدّلونه وكان مع ما وله الله من السواد والجد فغير النفس فكان يرقع ثوبه
ويليس القميص الحشن (ونعم المبتلى)

كان شجاعاً صار ما مقداماً لا يرهب الموت يقظاً لا يفلت عدوه . قال
يزيد بن عمر بن هبيرة : مارأيت رجالاً في حرب أو سلماً أمكراً ولا أنكر ولا أشد
يقيظاً من المنصور . حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب فخمدنا الجهد
الجيهد فلم نزل من عسكروه شيئاً وحضرت وما في رأسى شعرة بيهضاء وانقضى
الحصار وليس فيها سوداء

يعد مخاطرًا من فرط شجاعته حتى قيل انه أخطأ في ثلاث : قتل أبي مسلم وهو في جماعة قليلة وحين خرج الى الشام . ولو اختلف سفيان بالعراق لذهبت الخلافة . ويوم الرواندية ولو أصابه سهم لدكت الملكة وغدا الكل أثراً بعد عين . فاما قتله لأبي مسلم وخروجه الى الشام فقد يتحقق ذلك لبعض الانام ولكن المعجز يوم الرواندية

وصفوة الخبر أن جماعة من أهل خراسان يبلغ عددهم ستمائة نفس يقولون بالتناسخ على رأى أبي مسلم أحاطوا بقصره وقالوا أنت إلهنا فغضب وقال يدخلهم الله النار في طاعتنا ولا يدخلهم الجنة في معصيتنا وحبس رؤسائهم فعمدوا إلى نعش فارغ وحملوه كأن به جنازة وقصدوا السجن فألقوه أمامه وكسروه وأخرجوه من فيه وقصدوا القصر خرج بنفسه ماشياً (١) وصاحت الناس وغلقت أبواب المدينة وما زال حتى جاء له بدابة فركبها ثم جاء معن بن زائد وأخذ بلجامها وصار يقاتل قتالاً مارئي قبله ويقتل بين يديه ويحميده

حتى طفئت الفتنة

فمن أى ملك أو سلطان يؤثر ذلك؟ لأندرى . على أن هذه الأمور طالما كانت سبباً لضياع البلاد . تقوم الشورة المدبرة فتنعقد يد الأمير عن

(١) لانه لم يكن في القصر دابة . ومن ذلك اليوم ربط فرس التوبية بدور الخلفاء

التصرف فيها فتسع « ومعظم الناز من مستصغر الشرر » فضلاً عن أن تلم
بطرف أجنبي فلا تبُث المدِّينة أو الممْلَكَة الا وقد أصبحت مفخماً للعدو كما
رأينا ذلك

وقد كانت هذه الواقعة سبباً لبنيه بـ داد لأنَّه كره الاقامة بالهاشمية
فبنوها بعد ما أجمعَت جماعة الحكَماء على فضل مكانها . دجلة والفرات محيطان
بها والميرة تأتي إليها في دجلة من ديار بكر ومن البحر والهند والصين . وفي
الفرات من الرقة والشام وخراسان وبِلَاد العجم متوسطة بين البصرة والكوفة
وواسط والمُوصَل والسواد والساكن فيها قريب من البحر والبر والجبل
وهي مدينة مباركة قالوا انه لم يمت فيها خليفة
ابتدأ فيها سنة خمس وأربعين ومائة وأنها سنة ست وأربعين وجعلها شبه دائرة
وقصره في مركزها قالوا ليكون قربه من جميع الناس واحد . فصرف عليها
أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم وبلغ من دقة أمره في حسابها أنه تقاضى
الباقي لغاية خمسة عشر درهماً (وهكذا من أخذ حقه أعطى حق غيره)
ثم بنى الرصافة وشيدها

أحاطت بخلافته الفتوق والحوادث من كثرة الخارجين عليه فأفت
الفرسان وقتلت الانصار وغلت يد الخلافة وأذاقت الأمة بأس بعضها وأنتفت
المحصون والملاجيء وبدت المعاقل

وكفي بالجيوش الخراسانية التي كانت مع الامير (إسنادسز) أي (الخارج
بلا سند ولا دليل) فقد عظيم خطرها واستفحَل شرها واشتد الامر على
المنصور فان ضريبة جيشه كانت ثلاثة وألف مقاتل مابين فارس وراجل .
ولم يهزم اسنادسز حتى قتل في موقعة واحدة من رجاله سبعون ألفاً في

واقعة مشهورة

أدته حالة الملك ورغبته في استقامتها باستئصال جرائم الفساد أن هجم بالعقوبة وتناسي العفو فكان جبروت خلافته شديدا ولم تفتح في مدة خلافته الا «طبرستان» لأن الحروب مع الخوارج غابت عليه دخل في طاعته ممالك الاسلام التي افتتحها الصحابة رضي الله عنهم وبنو أمية الا الاندلس بقيت بيد أهلها يقاتلون على الامارة حتى قدم عليهم فأصبح للإسلام رئيسين يتنازعان السلطة العباسية في الشرق ببغداد والاموية في الغرب بالأندلس

ومن فضائل هذا الخليفة انه وسع المسجد الحرام مما يلي دار الندوة وحصل بينه وبين ملك الروم القضاء واستنقذ أسرى المسلمين وحج حجة أغدق فيها على الناس حتى سميت عام الخصب . ووقع فيها بينه وبين رجل من الحديث ما فيه من دجر ومن العظة ما لا يتصور وقوعه والعجب ان مثل أبي جعفر يتقبله منه مع جبروته ولا تأخذه أنفة الملك . وانذاكروه ولو طال فإنه مما يطرز بالدرر واللال :

قالوا حج أبو جعفر وكان يخرج إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلى لا يعلم به أحد نخرج ذات ليلة سحرا وبينما هو يطوف سمع من يقول : اللهم انى أشكوك اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم . فأسرع المنصور حتى ملا مسامعه منه ثم خرج ودعاه وسألة عن الذي سمعه فقال له : ان أمنتني على نفسى أشكك . فآمنه وأدناه
•
وسأله فقال :

«يا أمير المؤمنين ان الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وما

ظهر من البني والفساد في الارض انما هو أنت . قال ويمك كيف يدخلني
الطمع وكل ما يريد في قبضتي ؟ - قال : وهل دخل على أحد من الطمع مادخل
عليك يا أمير المؤمنين . ان الله عز وجل اسْتَرِعَاكَ أمور المسلمين وأموالهم
فأغفلت أمورهم . واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجاباً من
الجص والآجر وأبواها من الحديد وصحبة معهم السلاح واتخذت وزراء وأعواانا
بفرة إن نسيت لم يذكروك وإن أحسنت لم يعيشوكم وقوتهم على ظلم الناس
بالمواال والرجال والسلاح وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس الا فلان
وفلان ولم تأمر بايصال المظلوم والملهوف والجائع والعاري وما أحد الاوله في
الاموال حق فلما رأك الذين استخراصتهم وأشرفتهم على دعيتك وأمرت
ان لا يغيروا عنك تجبي المال ولا تقسمه قالوا قد خان الله فنا بالنار لأنخونه
وأنتروا على كتم أخبار الناس عنك الا ما أرادوا ولا يخالف أمرهم عامل الا
أقصوه حتى تسقط منزلته فلما انتشر ذلك عظتهم الناس فهابوهم وصانوهم
عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بها على الظلم ثم فعل ذوو الثروة والقوة من
دعوك لينالوا ظلم من دونهم وامتلأت بلاد الله بالطمع بغياناً وفساداً وصار
هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل وإن جاء متكلم حيل بينه وبين
الدخول إليك وإن أرادوا رفع قصة إليك وجدوك قد هميت عن ذلك وأوقفت
للناس وجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألا صاحب
المظلم ان لا يرفع مظلمته إليك فان صرخ ضرب وأنت تنظر ولا تنكر ولا
تفير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا

كانت بنو أمية لا ينتهي اليهم مظلوم لا رفعت مظلمته ولقد كان الرجل
يأتي من أقصى الارض حتى يبلغ بباب سلطانهم فینادي بأهل الاسلام

فيبتدرؤه فير فهو مظلمته إلى سلطانهم فيتصف له وقد كنت يا أمير المؤمنين
أسفر إلى أرض الصين وبها ملك فقد منها مررة وقد ذهب سمع ملوكهم فعمل
بكي . فقال له وزيره مالك بك لا بكت عيناك . فقال أما أنا لست أبي على
المصيبة إذ نزلت بي ولكن على عدم سمع صراخ المظلوم بالباب أبي . ولئن
ذهب سمعي فإن بصرى لم يذهب . نادوا في الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا
المظلوم . فكان يركب الفيل في طرف النهر هل يرى مظلوما فينصفه
هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله تعالى قد غابت عليه رأفته بالمشركين
ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله عن وجى وابن عم نبيه إلا
تفليك رأفتكم بال المسلمين على شح نفسك فأنك لا تجمع الأموال إلا لوحدة
من ثلاثة . إن قلت أجمعها لولدى فقد آتاك الله تعالى هذا الطفل الصغير
وماله على الأرض مال . وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ولا يزال
الله عزوجل يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه . ولست الذي
يمطى ولكن الله تعالى يعطي . وإن قلت أجمع المال لتشييد سلطاني فقد أراك
الله عن وجى عباداً من كان قبلك ولم يعن عنهم ماجعو ومن الذهب والفضة
وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضرك ولد أبيك عبد الله بن عباس ما كنت
فيه من الضعف حين أراد الله عن وجى بكم ما أراد . وإن قلت أجمع المال لطلب
غاية هي أجسم من الغايات التي أنا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك
الا بالعمل الصالح . يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد
من القتل . قال لا ؟ فكيف تصنع بالملك الذي خولك ما أنت فيه من ملك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في
العذاب الأليم وهو الذي يرى منك ما خفي فيك فما تقول اذا انتزع ملك

الموت الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يعني عنك ما كنت فيه شيئاً
فبكي المنصور حتى ارتفع صوته ثم قال « ليتني لم أخلق ولم أكون شيئاً ». كيف احتيالي
فيما خولت ولم أمر الناس الا خائناً ». فقال يا أمير المؤمنين عليك بالآلة
الاعلام المرشدين : قال ومن هم . قال العلماء . قال فروا مني . قال هربوا من خلافة
أن تحملهـ على ماظهر من طريقك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب
وانتصر لامظلوم وامنع وخذ الشئ مما حل وطاب واقسمه بالعدل وأنماض من
لك أن يأتيك من هرب منك فيعاونك على صلاح أمرك ورعايتك . فقال
المنصور اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل

ولا عجب من سكوت أبي جعفر واصفاته لمقال الرجل وطلبه التوفيق
في العمل بما قال لأنه يحرى الحق من الباطل ويعلم صحة ما يقال له وينزل إليه
وهو متسم المعالى ويتضاءل امامه كما سمعت

أكبر نخر للغربي على الشرقي الآن أن يفخر عليه بان في أهل الغرب
من الرجال من يبادر بلو كهم بكلمة الحق وقوله الصدق وان هؤلاء الملوك
لا يصدرون عن النصيحة ولا يأنفون منها مادامت عونا لهم على طرق الحق
واكتساب الخير ولكن كل الذى سمعناه عنهم دون هذا الموقف الذى ذهبت
فيه معانى الخلافة من القهر والقوة والقدرة واستمعت فيه النصيحة بما يجب
لها من الخضوع والخشوع

وأعجب من هذا ما أخرجه عبد الله بن صالح قال كتب المنصور الى سوار
بن عبد الله قاضى البصرة بان ينظر فى الارض التي تخاصم فيها افلان القائد وفلان
التاجر وأنت يدفعها الى القائد فامتنع القاضى وقال انها من حق التجار وكتب
للمنصور بذلك . فكتب اليه والله الذى لا اله الا هو لتدفعها الى القائد . فكتب

إليه سوار يقول والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجها من يده الحق فلما جاءه الكتاب قال ملائتها والله عدلا وصارت قضاتي ترددني إلى الحق

لو كان أبو جعفر غير مغلول اليدين وكانت الحروب التي باشرها مع الخوارج عليه فتوحات في بلاد الغير كان زمنه يعد من أكبر الأزمان في الفتوح والاعمال الحربية كما عدد أكبر زمن في الفتوح العلمي والتقدم في المعارف . ولكن قدر الله أن يكون سهمنا بيننا في تلك المدة كما قدمنا وذلك من المنازعات على الملك وسمو الآمال إليه وعدم دفع الخارجين عليه إلا بالقوة الغالبة أو ينقرضوا كانت خزانة أبي جعفر ملأى بأنواع الأموال وجيشه على قدم الاستعداد ولو لا ذلك ما تمت له الخلافة وناهيك بوصيته لامهدي وقوله فيها «أنى قد جمعت لك من الأموال ما يكفيك لارزاق الجناد والنفقات على اختلافها عشر سنين فاحتفظ بها فانك لا تزال عن يزاً ماداماً يمت مالك عاصراً . وأوصيك باهل بيتك خيراً فان عزك عزهم وانظر مواليك فانهم مادتك لشدة تك واياك والتبذير فان النواب غير مأمونة . ولا تتجاوز مأمور الله به وأعد رجالة بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالة بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وخذ نفسك بالتيهه وتفقد من ثبت على بابك وسهل اذنك للناس وكل بهم عيناً غير نافعة ونفساً غير لا هية ولا نسم واياك فان أباك لم يتم مندوبي الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ »

فالمتأمل في هذه الوصية يدرك ان الامم الفقيرة لا بد ان تسترقها اخصامها بعلة الدين كما هو الواقع وهو أقرب سبب لأن تملكتها أو تستعبدتها عداتها وليس بين الامة وبين محوها الا ان تصر يدها في عدة حرب وقد وقفت اليها خصومها وعامت منها ذلك وان الانقسام والافتراق من شر

الاوبية على عائلة الملك لأنها تبديها بيدها من غير حاجة لقوة الاعداء
فتسأل الله ان يلم شعمنا ويفقنا لما يريده من خير الدنيا وخير الآخرة
ويرينا هذه الواقع التي ذكرناها من جهات بغداد وانهارها عاصمة غامرة
بالعمارات والترقي والحضارة والمدنية التي انشئت هناك أسبابها في هذه الأيام في
ظل مولانا وسيدنا أمير المؤمنين الظليل أadam الله سلطانه وملكه وجميله
لالأمة الإسلامية ذخراً وسياجاً يحوطها من آفات الزمان ونوائب الحمدان
ويد العداون آمين



الهادى أبو عبد الله محمد بن المنصور

هو المهدى أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد سنة سبع وعشرين ومائة. وبويع له بالخلافة في سنة ثمان وخمسين بعد من أبيه المنصور بعد موته (ببر ميمون كا تقدم في ترجمته) فلما وصل الخبر اليه ب بغداد خطب الناس فقال « ان أمير المؤمنين عبد دعى فأجاب وأمر فأطاع (واغر ورق عيناه فقال : قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة ولقد فارقت عظيماً وقلدت جسيماً فعند الله احتسب أمير المؤمنين واستعين على خلافة المسلمين) . أيها الناس اسرعوا مثل ما تعلون من طاعتكم العافية واخضوا جناح الطاعة لمن نشر معدله فيكم . وطوى الاصر عنكم وأهال عليكم السلامه من حيث رأه الله مقدماً ذلك . والله لا فتن عمرى بين عقوبتكم والاحسان عليكم »

يرى المعن في معانى هذه الخطبة شيئاً كثيراً من المذاق والمفاسد الخيرية . أظهرت تأثيره بالفعى . وأثبتت أن خلاله خلال حنو والانعطاف وإن ملوك الخلافة لم ينسه حق الابوة ورأينا غير ذلك في غيره من لا تذكر نعمتهم في جانبه ولا أسوأ من العقوق والعياذ بالله .

نقب على أحسن ما توصف به الرعية وطلب تحنيفه من الأمة والملة فقال : « وأسرعوا كما تعلون » لأن أقرب ما تكون الأمة وفي صدرها دخل سواء كانت تصره لبعضها أو لا وللاء أمرورها .

طلب منهم خفض الجناح واقتربه بنشر المعدلة فيهم وطي الاصر عنهم . ولا أجل من ذلك في معانى الحكم بالعدل والملك بالحق .

حكم على نفسه بأن يفني عمره بين الاحسان والعقوبة . وكذلك النفوس
الكاملة تتقلب دعایها بين رحمة وجروة لا كيلا تكون « سكرًا فتؤكل
أو حنطلا فترمى »

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى . مضر كوضع السيف في موضع الندى
كأنما المنصور كان يعني نفسه . فقد أوصاه عند وداعه بوصية من لا يؤمل
اللقاء . فلم يدع فيها شيئاً من الخير يمكن الا حاطة به الا تقدم فيه اليه . وأوصاه
بخصال جملهم واستخلف الله عليه

تولى الخلافة مستأنسا بوصية والده هذه متدرجا خليطاً بالامارة لأن
الخليفة المنصور ريضه بما ولاه قبلها من الاعمال منذ شب وتأدب وجاسس
العلماء وبلغ مبلغ السكمال

أمره على طبرستان وما والاها فباشر أعمالها حتى برهن على اهليته .
ثم عهد اليه بالخلافة بعد ذلك . فكان العهد اليه عن خبرة وحقيقة نظر في
مصالح الامة . وكان المنصور بريضه ولده وولي عهده على امورها وأعمالها
نظر لصالح هذه الامة في مماته نظره لها في حياته . وحيثما اختلفوا

روى المهدى الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة . وحدث عنه
يحيى بن حمزه وعمر بن سليمان الضبعي وغيرهما . قال الذهبي وما علمت فيه جرحا
ولا تعديلا

كان المهدى جواداً ممدوحاً محبباً إلى الرعية حسن الاعتقاد . قال له يوماً
يعقوب وزيره في أمر أراده : « هذا والله السرف » فقال المهدى : ويحك
يا عقيوب إنما يحسن السرف بأهل الشرف ليعلم المكثرون من المقل
كان من أوائل فعله في خلافته تتبع الزنادقة والقائلين بالتناصح من أهل

خراسان الملتقطين حول رأية المقنع ولوائه . فخاربهم ثم أراد أن يكون دليلاً في
إذلامهم دليلاً بحث وتنقيب وحججته في إخاهم حجة برهان واستنباط لاحجة
غلبة وصولة فأصر بتصنيف كتب الجدل في الرد على مسائلهم في الزندقة
والآحاد وما زال بهم حتى أفنائهم وطهر الأرض منهم
وفي سنة تسع وخمسين ومائة بايع المهدى بولالية العهد لموسى المادى
ثم من بعده لهزون الرشيد ولديه

وفي سنة ستين حج بالناس وقسم مالا عظيماً في مصارف الخير ونقل
خمسمائة من الانصار إلى العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم الأرزاق
حمل إليه الناتج وهو في مكة . وهذا مما لم يتهيأ خليفة قبله قط . وما
ذلك إلا من انتظام البريد وأمان الطريق وسلامة الوارد والمتردد وعدم
وجود عائق أبداً

نعم عمر الطريق إلى مكة وبنى به قصوراً أوسع من قصور المنصور
(من القادسية إلى زیاله) وجدد الأميال وحرر الآبار وأصبحت الطريق
آمنة صالحة إلى بيت الله الحرام ومقام نبيه عليه السلام . وأمر بالتخاذل المصانع
في كل منها منهلاً . وسير البريد من العراق للحجاج ومن المين إلى مكة إلى
الحضره وخصص له إيلاء وبغala لاتتحصى وهو مما لم يتقد لغيره أيضاً
أمر بترك المقاصير التي في جوامع الإسلام وقصر المنابر وصیرها على
مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووسع المسجد الحرام وأمر
بنزيادة الكبوري فيه وأدخل في ذلك دوراً كثيرة ولم يزل البناء فيه إلى وفاته
ثم بدأ في الفتوح ببلاد الروم فكثرت الفتوحات على يديه ونصر الله
وزاد في غنيمته . فنها أنه في سنة ثلث وستين ومائة تجهز لغزو الروم وجمع

الاجناد من خراسان وما ليها من الآفاق وصار مستصحبا ولده هارون وبعد
ان عبر الفرات بعثه لغزو خاancer البلاد وافتتحها وأئخن في الزنادقة
ثم سير ابنه هارون في سنة خمس وسبعين ومائة لغزو الروم فأوغل في
بلادهم وهز مهمن وجمع اليه أموالا كثيرة وسار حتى بلغ القدسية وكان
على الروم يومئذ (غسطه) زوجة (أليوك) كافلة لا بنا منها صغيراً . بخري
الصلح على الفدية وان تقام له الادلاء والأسواق في الطريق ونال قصده
من ذلك

كان عادلا محبأ للعدل فاذا جلس للمظالم قال ادخلوا على القضاة فلو لم
يكن ردى للمظالم الالحياء منهم لكنى

بلغ من تقواه ماحدث به (الحسن الوصيف) قال : أصابتني شديدة
في أيام المهدى حتى ظننا أنها تسوقنا إلى المشر . نفرجت أطاب المهدى
فوجده واضعا خده على الأرض وهو يقول . « اللهم احفظ محمدآ في أمته .
الله لا تشم بنا أعداءنا من الأمم . اللهم ان كنت آخذت هذا العالم بذنبي
فهذه ناصيتي بين يديك » قال فما إنما الايسيرآ حتى انكسفت الريح وزال
عننا ما كننا فيه

كان سمحا جيلا . قال الربع : رأيته يصلي في بهـ و له في ليلة مقمرة
فأدرى أنه أحسن أم فهو . أم القمر . أم ثيابه . فقرأ : « فهل عسىتم ان
توليم ان تقسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم » قال فأتم صلاته ثم التفت
إلى و قال : ياربع . قلت : ليك . قال موسى . فقلت في نفسي من هو موسى
أموسى ابنه . ام موسى بن جعفر ؟ وكان محبوبا عندى . فجعلت أفكرا ثم
غلب على انه موسى بن جعفر فأحضرته فقطع صلاته ثم قال له يا موسى إني

قرأت هذه الآية (وقرأها) خففت ان اكون قد قطعت رحمك فوثق لي
انك لا تخرج على وتوذى بخروجك جماعة المسلمين حتى أخليك . فوثق له
نخلافه

خلاه

ويحق للقاريء لهذا الخبر أن يحاكي الربيع في مقاله ويختاريه فيقول
لأدري قراءته كلام الله بهذا الامعان والتى در أحسن أم العلم به فى صلة الرحم
أم العفو عن المسيء أم خلافة الله !!!

كان عصره عصر خير وبركة . من الزهاد جمع ابراهيم بن ادهم ودادو
الطائى ومن الاعلام : الخليل ابن احمد الفرهودى صاحب العروض وسفيان
الثورى وبشار بن برد أول شعراء المحدثين

كان مثلاً للسماحة وقدوة في مكارم الأخلاق . قالوا كان يصلى بالناس
الصلوات الخمس بالمسجد الجامع ببابصرة لما قدمها . فاقيمت الصلاة يوماً
فقال اعرابي : لست على طهرين وقد رغبت في الصلاة خلفك . فأمر الناس

باتضاره ودخل المحراب ووقف الى أن قيل جاء الرجل فكبّر وصلّى
ومن الخبر المأثور عنه في حب النبي صلّى الله عليه وسلم انه أول من قرأ
في الخطبة : « ان الله وملائكته يصلون على النبي » الآية . قال الأصمي
سمعت المهدى على منبر البصرة يقول : ان الله امركم بأمر بدأ فيه بنفسه ونهى
ملائكته . وقرأ الآية

كان يتعسّس بنفسه حال الأمة والملة . فافق له ليلة انه سمع اعرابية
تقول : « قوى مقترون . نبت عنهم العيون . فدحthem الديون . غصthem السنون .
بادت رجالهم . وذهبت أمواهم . وكثرت عيالهم . أبناء سبيل والضاء طريق .
وصحة الله ووصلة الرسول فعل من آمر لي تخير كلاه الله في سفره وخلفه

فِي أَهْلِهِ» فَوَصَّلَهَا وَأُصْرَ من يَوْمَ الْحِيَاةِ
وَأَسْنَدَ عَنْ مُهَمَّدِي بْنِ سَابِقٍ . قَالَ صَاحِبُ رَجُلِ الْمَهْدِيِّ وَهُوَ فِي مُوكِبِهِ
وَقَالَ :

قَلْ لِلْخَلِيفَةِ حَاتِمَ لَكَ خَائِنٌ نَفَخَ الْإِلَهُ وَأَعْفَنَا مِنْ حَاتِمٍ
كَانَ الْعَفِيفُ إِذَا اسْتَعَانَ بِخَائِنٍ كَانَ الْعَفِيفُ شَرِيكَهُ فِي الْمُؤْمِنِ
فَاسْتَوْقَدَ كُلَّ عَامِلٍ يَدْعُ حَاتِمًا حَتَّى عَرَفَ لَهُ صَاحِبُ الْخِيَانَةِ وَتَقْاضَاهُ
وَاعْتَرَضَتْهُ اُمَّرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا عَصْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ اذْنُرُوا فِي حَاجَتِي فَقَالَ :
اَفْضُوا حَاجَتَهُ وَاصْلُوهَا بِعِشْرَةِ آلَافِ درَهم فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ أَحَدًا خَاطَبَنِي بِهَذَا
وَمِنْ غَرْدِ أَفْوَاهِهِ قَوْلَهُ : «مَا تَوَسَّلَ إِلَى أَحَدٍ بِوَسِيلَةٍ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ
تَذْكِرِي يَدًا سَلَقْتَ مِنِّي إِلَيْهِ أَتَبَعَهَا أَخْتَهَا وَأَحْسَنَ رَبَّهَا فَإِنَّمَا مِنْ الْأَوَّلِ يَقْطَعُ
شَكَرَ الْأَوَّلَ »

هَذِهِ التَّرْجِمَةُ مِثَالٌ تَقَاسُّ عَلَيْهِ نَتْيَاجَةُ حَسْنِ تَرْبِيَةِ أُولَئِكَ الْعَهْدِ وَتَرِيَضِهِمْ
عَلَى الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ سَلْفَاهُمْ لِيُكَنَّ لَهُمْ أَنْ يَقْوِيَنَّ بَنَظَرِهِمْ لَهُمْ وَيَتَحَقَّقُ مِنْهُمْ
النَّظرُ فِي مَصَالِحِ الْأَمَّةِ لِدِينِهِمْ وَدِنَاهُمْ مَتَى أَصْبَحُوا أَعْدَاءً عَلَيْهَا وَوَجَبَ عَلَى جَمِيعِ
الرَّعْيَةِ طَاعَتِهِمْ

أَنْ وَلِيَ الْعَهْدَ إِذَا أَصْبَحَ لَيْسَ بِيَنْهِ وَبَيْنَ تَحْقِيقِ أُمْيَنَتِهِ الْأَمْوَاتُ الْمَاهِدُ
لَهُ كَانَ ذَلِكَ شَوْءًا مَا عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَمَّةِ وَأَيْ شَوْءٌ . فَانْهِ يَبْطِئُ بِنَفْسِهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
خَصَالِ الْخَيْرِ وَلَا يُوجَدُ لَهُ احْسَاسٌ يَدْفَعُهُ لِحُبِّ الْعِلْمِ وَلَا يَكْفُفُهُ الْوَصْولُ لِمَا
فِيهِ مِرْضَاهُ الْأَمَّةِ بِخَلَافِ مَا اذَاسَلَمَ لَهُ النَّظَارُ فِي أَصْرَ نَفْسِهِ وَأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
نَظَرِهِ مِنْ الْخَلِيفَةِ وَالنَّاسِ وَدَفَعَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَرَأَى الْمُنْشَطَ مِنْهَا وَالْمَكْرُهَ وَسَلَكَ
فِيهَا بِالْأَسْتِيَاعَ حَتَّى يَفْهَمَ الْمَعْنَى الَّذِي أَصْبَحَ مِنْ أَجْلِهِ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ ذَلِكَ

من أجل دواعي ترقى نفسه في مراتي السكاك ووقفت المصلحة في اجتماع
الناس عليه واتفاق اهولهم باتفاق اهل الحل والعقد الذي شأنه أعم عند الشارع
من كل شأن لما فيه من انتقاء الريب
اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه . ويسر لنا ارتباط القلوب واتفاق الاهواء
واتحاد الانفس واجعل أشد ما نتوارد عليه ايثار مصلحة المسلمين على كل شيء
في كل شيء من أمر دنياهم وآخرتهم



الرشيد

هو هرون الرشيد و كنيته أبو جعفر (وكانت يكفي أباً موسى) ابن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس تولى الخلافة بعهد من أبيه المهدى عند موت أخيه الهادى ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين وماة . هذه الليلة من أغرب الليالي . تولى فيها الرشيد الخلافة . و ولد فيها له عبد الله المأمون . و مات فيها أخوه الهادى . وليس في ليالي الزمن المعروفة ليلة تمحضت عن موت خليفة . و قيام خليفة . و ولادة خليفة غيرها . فان كان ثم تفسير طابق معنى قول القائل :
الليلي من الزمان حبالي مثقلات يلدن كل عجيبة

فهذه الليلة من تلك الليالي

أسند الصولى عن يعقوب بن جعفر . قال رأى الرشيد في نومه التي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع وستين فقال له ان هذا الامر صار اليك فاغز . وحج . و وسع على أهل الحرمين . فقام غازياً أطراف الروم وغنم وانصرف في شعبان فج بالناس في الموسم وفرق على أهل الحرمين مالاً كثيراً وصدق الله الرؤيا . و تولى الخلافة في السنة التي بعدها وفيها ولد له الامين كانت ولادة الرشيد بالرى في أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وماة وكان مولد الفضل بن يحيى البرمكي قبله بسبعة أيام فارضعت أم ابن يحيى الرشيد وأرضعت الخيزران الفضل ببلدان الرشيد . وكان أبوه المهدى في تلك الأيام وما بعد مولدها أميراً على الري وخراسان من قبل المنصور كما قدمنا في ترجمتها .

هذا هو الخليفة الذي مثل معنى الخلافة ومقامها في عددها وحدها وانصافها
وإقامة عماد دولتها واظهار شأنها وحماية ناموسها وحاطها بأنواع الاسباب التي
تدفع عنها المكاره . هو الذي مثل البذخ والترف والجحود والشرف والابهه
والعز والمظمة والسودد والنعيم المقيم الذي جمع دواعي الالذاذ الدنيا والفوائد
الاخروية . وهو الذي اجتمع له في خلافته مالم يجتمع لغيره . وزراؤه البرامكة
وقاضيه أبو يوسف . وشاعره مروان بن أبي حفصة ونديه العباس بن محمد
عم أبيه . و حاجيه الفضل أبى الناس وأفطتهم وأعظمهم فهو كما قيل
ان المكارم والمعروف أودية أحله الله منها حيث تجتمع
كان أمير الخلافاء وأجل ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج ليغزو سنة
ويحج سنة فإذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم واذ لم يحج أحج ثلاثة
رجل بالنفقة السابحة والكسوة الظاهرة . قال الشاعر :

فمن يطلب لقاءك أو يرده ففي الحرمين أو أقصى الشغور
ففي أرض العدو على طمر وفي البلد الحرم فوق كور
كان مغردا في تعظيم حرمات الاسلام والبالغة في اهتمام العلماء والوعاظ
محباً للعلم وأهله مبغضاً الرياء في الدين والمعارضة في النص
كان الرشيد أبيض طويلاً جميلاً مليحاً فصحيحاً له النظر النافذ في العلم
والادب . كثير الصلاة يصلى كل يوم مائة ركعة لا يتراكمها الا لعلة . وله صدقات
من صلب ماله تزيد عن ألف درهم في كل يوم . وكان له تواضع في شرفه
أشرف من الشرف . فمن أحسنـه (وما أحسنـ شيء كله حسن) محدث به
أبو معاوية التحرير . قال أكلات مع الرشيد ثم صب على يدي الماء رجل
لآخرـه . فقال الرشيد : تدرـي من صب عليهـك ؟ قلت : لا . قال . أنا

اجلاً للعلم ورعاية لاهله . وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله عند الكلام على رحلة السلطان صلاح الدين لطلب العلم (ماءِلْمَكْ رَحْلَةُ قَطْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى الرَّشِيدِ) فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على سيدنا مالك رحمه الله ثم رحل لسماعه أيضاً مقتدياً به هذا السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية فسمعه على بن طاهر بن عوف ولا يعلم غيرها أحد . وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد في (خزانة المصريين)

كان مولعاً باحترام العلماء فمن فضائله فيه أنه لما بلغه موته ابن المبارك جلس للعزاء فيه عن أهله وأمر الأعيان والأمراء أن يمزوه

كان بكاءً على نفسه يشفق من إسرافه وذنبه سبيلاً إذا وعظ . ولم ير أغزر دمعاً منه عند الذكر . ولم يذكر له النبي إلا قال : صلى الله على سيدى دخل عليه ابن السماك يوماً وكان يعظه فاستسقى الرشيد فأتى له بماء فقال له ابن السماك على رسالتك يا أمير المؤمنين لومنت هذه الشربة بكم تشتريها ؟ قال بنصف ملكي . قال اشرب هنأك الله بها . فلما شربها قال أسألك لومنت خروجها بماذا كنت تشتري خروجها ؟ قال بملكي قال إن ملائكتي (كذا) و (كذا) لم يدرك أن لا ينافس فيه . فبكى الرشيد . وقال يوماً لشيبان : عظني . قال لئن تصحب من يخوفك حتى يدركك الآمن خير لك من أن تصحب من يؤوه ذلك حتى يدركك الحوض . فقال الرشيد : فسر لي هذا . قال : من يقول لك أنك مسؤول عن الرعية فاتق الله أتصح لك من يقول : أنت أهل بيت

مفهود لكم وأنت قرابة نبيكم صلى الله عليه وسلم كان كأنه جده المنصور هيبة وصلاحية في الملك وجبروتاً وشدة مع الحق كثير الكراهة للباطل متبعاً للزناقة طالباً لهم وكان القول بخلق القرآن

شائعاً في عهده فـما يظفر بأحد من أهل هذه الآراء حتى يقتضي منه أشد
القصاص

كان شديد الاقتفاء لأعمال جده متطلباً للعمل باهتمامه ومحااته في
أعماله وصيانة ملوكه وحفظ أبنته وزيه فلم يختلف عنه في شيء إلا في
البذل والنوال لانه لم ير خليفة بذل ما بذله الرشيد في العطاء من مال وخلع.
فكانت صلته تصل ما بين الإنسان وبين الغنى وقطع ما بينه وبين الفقر والاحتياج
ولى الخلافة بعد ما تنقل في مهام أمورها فقد استعمله أبوه المهدى في
الاعمال وريشه عليها فهزه مراراً لغزو بالصائفة والايغال في بلاد
الروم . وفي سنة ثلاثة وستين ومائة ولاه المغرب كله وأزربیجان وارمينية
وجعل كتابه ثابت بن موسى . وعلى رسائله يحيى بن خالد فنشأ خير نش وظاهر
بحیر مظہر

مظہر خیبر

كان في غرضه أن يوصل مابين بحر الروم وبحر القلزم مما يلي الفرما
(أى ان يفتح ترعة السويس) فشاوره وزيره يحيى وفكرة طويلاً فانكشف
لهما تغول الروم خافاً من دخولهم بمراكبهم في القلزم وقربهم من الاراضي
المقدسة فنزعوا عن هذا الفكر

ازدهى عصره بين الاعصار بوجود كثير من العلماء الاعلام فيه كالامام
سيدنا مالك بن أنس . والait بن سعد . والكسائي . وأسد السکوی . ومحمد
ابن الحسن . من كبار أصحاب أبي حنيفة . وصعصعة بن سلام عالم الاندلس
وغيرهم . وهذا أيضا من سعة رزق خلافته وارادة الله سبحانه وتعالى له الخير
ببطانة اخليه والفالح والنجاج الذين يتأنى بهم في كل صلاح
نقل شيئاً كثيراً من عوائد الفرس منها الكرة والصوجان . ورمي
النشاب في البرجاس . والشطرينج . وجعل لكل شيء قاعدة ومرتبة حتى المغذين
فانه أول من جعل لهم مراتب وطبقات يعرفون بها
كانت بغداد في عصره نادرة الدنيا . ونكتة المدائن . فريدة في حضارتها
وعماراتها ترقى فيها أسباب المدينة لدرجة لم ير مثلها كما قدمنا ذلك (في النبذة
التاريخية) فأيامها أعياد . وليلتها أعراس . وسلطانه المستمد سياجه عليها قد
عظم من قدرها ونبه من ذكرها وهو بما أسبقه عليها من ظله الظليل وما
منحها من العدل والمساواة . دعا الناس بلسان الامن والامان الى المبادرة اليها
بالمتاجر والمروض فتباها في الطلب والاقدام على العمل بملو الملة وجلس
للناس في منصة عدله وعمهم برحمته فشمل القوي والضعيف والعاجز والعدل
وذوي الحاجات ومن لا وسيلة لهم فازاح عن جميعهم العمال وأبطل الاهواء
وحجز بيته عزهم كل آفة تؤدي للتقاعس والت怯اع و الدمار والخراب
اما غزوه . وفتحه . وحجه . وفديته . فيكثير . منه انه في سنة واحد
وسبعين و مائة حارب الصحيح الخادجي بالجزيرة وقتلها . وفي سنة ثلاثة
وسبعين و مائة غزا الصائفة وحج بالناس وأحرم من بغداد . وفي سنة أربع
وسبعين حج بالناس وقسم مالاً كثيراً . وفي سنة ست و سبعين و مائة عقد لابنه

محمد ولاية العهد ولقبه (الامين) وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين . ثم فتح في سنة ست وسبعين ومائة (مدينة دلسه) على يد الامير عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسى وفي سنة واحد وثمانين ومائة غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفاصف وغزا عبد الملك بن صالح أرض الروم وبلغ انقره ثم دخلت سنة اثنين وثمانين ومائة وفيها لقت قدم الرشيد بيد القضاة والقدر وبایع لعبد الله ولده بولالية العهد بعد الامين وولاه خراسان وما يتصل بها ولقبه (المؤمن) وسلمه الى جعفر بن يحيى (وهذا العمل منه يعد من اعجب العجب بعد ما جرب عواقبه في نفسه ورأى ماصنعه أبوه وجده بعيسى ابن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد وبعد ماصنعه أخوه الهادي معه خلصه من العهد وتولية ابنه جعفر ونوم يعاجله الموت لفعل) ولكن نفذ قدر وضع حذر

ثم حج الرشيد بالناس بعدها في سنة خمس وثمانين ومائة وسار الى مكة من الانبار وبدأ بالمدينة فأعطي فيها ثلاث أعطية . عطاوه وعطاء الامين وعطاء المأمون . ثم سار الى مكة فأعطي أهلها أيضا . وولى الامين العراق والشام الى آخر المقرب . والمأمون همدان الى آخر المشرق . وبایع ابنه (القاسم) بولالية العهد بعد المأمون ولقبه (المؤمن) وضم اليه الجزيرة والشغور والعواصم وكتب كتابين بالاشهاد وعلقهما في الكعبة فقال الناس قد ألقى بينهم شرآ وحربا وخفوا العاقبة وكان ما خافوه

وفي سنة سبع وثمانين ومائة قضى ملك الروم المدنة التي كانت بين المسلمين وبين الملكة (زيني) ملكة الروم فكتب للرشيد كتابا يقول فيه : « أما بعد فإن الملكة التي كانت قبل إقامتك مقام الرخ وأقمت نفسها مقام

البيدق تحملت الملك من أمواها احتمالاً لضعف النساء ومحققهن فإذا قرأت
كتابي فاردد ما حصل قبلك من أمواها والا فالسيف بيني وبينك « فلما قرأ
الرشيد كتابه كتب إليه : « قد قرأت كتابك والجواب ماتري لاما تسمع »
وسار ليومه ولم يزل حتى نازله وفتح مدينة هرقل بالغزو المشهورة ولم
يتزحزح حتى بلغ صرادة منه

وفي هذه السنة كانت تمت للبرامكة مشاركتهم للرشيد في سلطانه وعظم
في نظر الناس مالهم من الآثار وبعد الصيت وكثير ما اختصوا به وعمروه من
مراكب الدولة وخططها وما احتازوه عن سواده من وزارة وكتابة . وقيادة
وحجاجة . وسيف وقلم . واقتصرت عليهم الآمال وتحنطت إليهم من أقصى
التخوم والممالك هدايا الملوك وتحف الاصناف واستجار بهم العانى والمعدم والمذنب
فاجاروه فأهاجو بذلك كامن الغيرة وسلطوا عليهم بأسم الانتقام ومكناة منهم
جماعة الحساد (والدھر حرب « المقام » العالى) ونوعذ بالله من غبة الرجال
وسوء الحال

وقدت لهم النكبة المشهورة التي لم يهم فيها من قبلهم اسوة ولم ينفعهم
عبرة . كانت دليلاً جديداً على ان الدنيا دول والمال عارية . نكبة أمسكت
لسان المادح وقطعت لسان الحاسد . وبكاهما الولي والمولى والعدو والجاحد .
نكبة استراحة بعدها الوراد من قطع الفداء فـ سعيأ . وأقسم الجحود أن
لا يحيى بعد يحيى . « ان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شهيد »

ثم فادى الرشيد في سنة تسع وثمانين ومائة ملك الروم حتى لم يبق في
الأسر مسلم وهو أول فداء كان لبني العباس . وفي سنة تسعين ومائة فتح

«هرقلة» وبئر جيوشه بأرض الروم وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبه . وافتتح يزيد بن مخلد (قلفونية) وفي سنة ثلاثة وستين ومائة سار الرشيد نحو خراسان للغزو فوصل طوس فمرض بها ومات في تلك بحادى الآخر سنة ثلاثة وستين ومائة (رحمه الله) وصل عليه ابن صالح . مات على أشرف حال يرجيه القائم على أمته . شهيد الغربة شهيد الجهد فارتفعت روحه الشريفة في مراتب الشهداء تسبح في ملائكةوت الله في أعلى عاليين . ثم أخذ درجة الخادم البرد والقضيب والخاتم وسار على البريد في اثنى عشر يوماً من «صرو» حتى قدم بغداد في نصف بحادى الآخرة ودفع ذلك الامين

وقد انقضت تلك السنون وأهلها فكانوا وكأنهم أحلام هذه سيرة هذا الخليفة الخامس من بنى العباس طالت ولم تستوف شطراً من فضائله . والقصاص ومن لا بصيرة لهم من الكتاب ينسبون اليه أشياء في الله والآيات المحظورة الله يعلم انه بريء منها . وأنى ذلك وهو من العلم والسداجة واجتناب المذمومات في دينه ودنياه والتخلق بالhammad وأوصاف الكمال وزنادات الله رب برتبة تشبه مراتب السلف وحاله في اجتناب الخمر معلومة لجميع بطانته وأهل مائدته وكفى بتغيره على طبيعته بختيشوع دليلاً على ذلك

وكيف يعقل ان الرشيد يواعظ محاماً وقرناوه وجلساؤه مثل الفضيل ابن عياض وابن السمك والعمري . ومكاتبته سفيان الثوري وبكاوه من مواعدهم ودعاؤه عبارة في طوائفه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهاد الصبح لاول وقها

ان الرشيد رحمه الله أجل من أن يرتكب السرف والترف في ملبيسه
وزينته وسائر متناولاته لقربه من خشونة البداوة وسذاجة الدين فالله يقتضي
له وللمكذوب عليهم من أمثاله من القصاص الذين دونوا مادونوا عنهم فريدة
وكذبا وزوراً وبهتانا ارضاً لجماعة العجزة الذين لا شغل لهم الا أحاديث
النفيمة والغيبة واكل لهم اخوانهم كأنهم أعداء للعلم والدين والسلطان
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

المأمون

هو عبد الله أبو العباس ابن الرشيد بويح له وهو ابن ثمان وعشرين سنة ومات سنة ثمان عشرة ومائتين وعمره ٤٩ سنة واستقل بالأمر بعد قتل أخيه الأمين سنة ١٩٨ وهو بخراسان واكتفى بأبي جعفر . قال الصولى وكانوا يحبون هذه الكنية لأنها كنية المنصور وكان لها في نفوسهم جلاة وتفاؤل بطول عمر من كنيتها كالمنصور والرشيد

ولما تأنى الملك للمأمون قال : هذا جسيم . لو لا انه عديم . وملك .
لو لا انه هلك . وسرور . لو لا انه غرور . ويوم . لو كان يوثق بما بعده .
سمع الحديث من أبيه وعباد بن العوام وأبى معاوية الضرير وغيرهم وأدبه
اليزيدي وجمع من الفقهاء والأدباء حتى برع في الفقه والعربية وأقام الناس وعنى
بالفلسفة وعلوم الاوائل وهو الذى استخرج كتاب أقليدس وأصر بترجمته
وتفصيله وهو الذى عقدت فى زمانه مجالس المنااظرة . خصص لها يوماً ثلاثة
من كل أسبوع وترقت العلوم فى عهده وتفشت بين العرب . وهو أول من
قاد الدرجة الأرضية وعرف مقدارها وأخذ من كل العلوم بقسط وضرب

فيها بسهم

وأخرج محمد بن عباد انه لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء الا عثمان بن عفان والمأمون (ولكن في هذا نظر)

اشتغل بالحديث حتى قالوا ان الرشيد لما حج معه طلب المحدثين فبعث
إليهم بالأمين والمأمون خذلوكما مائة حديث ثم قال المأمون أيوذن لي ان
أعيدها من حفظي ؟ قيل لهم فأعادها . وهو أول من استخرج كتب الفلسفه

واليونان من جزيرة قبرص وهو الذي قال «لَا ترْهَقُ الدُّنْيَا أَنَّكَ مِنَ النَّظَرِ فِي
عِقُولِ الرِّجَالِ»

كان المأمون أفضـل رـجال بـنى العـباس حـزما . وعـنـما . وحـلـما . وعـلـما .
ورـأـيا . ودـهـاء . وهـيـة . وشـجـاعة . وسـوـدـداً . وسـمـاحـة . ولهـفـائـل . وسـيـرـة طـوـيلـة
كلـها مـحـاسـن

كان أمـارـا بالـعـدل فـقيـهـ النـفـسـ مـعـدـوـا منـ كـبارـ الـعلمـاءـ اـجـهـدـ فيـ رـأـبـ
الـصـدـوـعـ وـسـدـ الـقـتـوـقـ وـاصـلـاحـ مـاـشـعـتـ مـنـ بـنـيـانـ الـدـوـلـةـ . وـلـكـنـ الـخـالـفـ
بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـأـمـيـنـ أـخـيـهـ اـشـتـعـلـتـ نـيـرـانـهـ وـأـزـكـيـتـ تـنـورـهـ بـأـيـدـىـ بـطـانـةـ السـوـءـ
بـالـسـعـىـ وـالـأـغـرـاءـ وـزـيـادـةـ الـوـحـشـةـ إـقـاءـ عـلـىـ اـنـفـسـهـمـ وـحـيـاتـهـمـ الشـخـصـيـةـ كـالـفـضـلـ
ابـنـ الـرـبـيعـ وـعـيـسـىـ بـنـ مـاهـانـ وـالـسـنـدـىـ وـغـيرـهـمـ . أـفـسـدـوـاـدـمـ الـأـخـوـةـ حـتـىـ رـضـىـ
الـأـمـيـنـ بـخـلـعـ أـخـيـهـ الـمـأـمـوـنـ وـتـغـيـظـ الـمـأـمـوـنـ حـتـىـ اـسـتـحـلـ قـتـلـ أـخـيـهـ الـأـمـيـنـ وـكـلـ
هـذـاـ سـيـيـهـ هـذـهـ الـبـطـانـةـ الـتـيـ مـازـالـتـ تـصـيـغـ لـأـمـيـنـ مـنـ أـصـرـ أـخـيـهـ وـتـزـينـ لـهـ خـلـعـهـ
حـتـىـ رـجـعـ إـلـىـ رـأـيـهـ وـهـمـ يـكـذـبـونـهـ وـيـغـشـونـهـ وـلـاـ يـصـدـقـونـهـ . وـهـكـذـاـ بـطـانـةـ السـوـءـ
فـيـ كـلـ وـقـتـ وـزـمـانـ لـيـسـ لـهـ شـغـلـ الـأـفـسـادـذـاتـ الـبـيـنـ وـتـغـيـرـ قـلـبـ التـابـعـ وـالـمـتـبـوعـ
خـدـمـةـ لـمـصـلـحـهـمـ الشـخـصـيـةـ

استـدـعـتـ هـذـهـ الـمـبـادـيـ الـتـيـ زـرـعـتـ بـذـورـهـ بـأـيـدـاـ الـأـعـدـاءـ اـنـ لـاـ تـصـفوـ الـأـيـامـ
لـلـمـأـمـوـنـ كـاـيـحـ وـيـخـتـارـ لـكـثـرـةـ الـخـارـجـيـنـ عـلـيـهـ كـاـبـنـ طـبـاطـبـاـ الـعـلـوـيـ بـالـكـوـفـةـ
الـذـىـ سـالـتـ الـدـمـاءـ فـتـتـهـ أـهـمـاـ . وـأـبـراـهـيمـ بـنـ مـوـسـىـ بـالـمـيـنـ . وـوـارـ بـغـدـادـ
الـذـىـ اـشـتـدـ أـذـىـ فـسـاقـهـمـ عـلـىـ النـاسـ حـتـىـ قـطـمـوـ الـطـرـيقـ وـأـخـذـوـ النـسـاءـ وـالـصـيـانـ
عـلـانـيـةـ . كـأـنـ الـأـمـيـنـ فـتـحـ لـلـنـاسـ بـابـ الـخـلـافـ وـنـقـضـ الـعـهـدـ . وـكـأـنـ الـمـأـمـوـنـ جـرـأـ
الـنـاسـ عـلـىـ خـلـعـ أـخـيـهـ وـقـتـلـهـ وـعـلـمـهـ نـكـثـ الـعـهـدـ وـالـبـيـعـةـ فـكـانـ ذـلـكـ سـيـيـاـ

لـكثرة خروج الثوار عليه . كأنَّ الله في ذلك حكمة عجيبة وسرّي خليقته .
من يظلم يظلم . حتى لا ينتقض متبع على تابع ولا تابع على متبع حفظاً للعهد
ورعاية للبيعة واستكمالاً لأسلوب نظام الحكومة التي منزلة القائم بها (خليفة
الله في أرضه)

رأى المأمون كثرة الثوار عليه وخروج الكثير بدعوى الخلافة وهم من
آل البيت فعمد إلى على الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر وجعل فيه ولية
عن المسلمين فكان كما قال الشاعر (كلما داوايت جرح حصال جرح) . نبض في
بني العباس عرق الخلاف وصعب عليهم الامر وخلعوا المأمون ولو لا اتفاق
موت علي بن مويي الرضي لازدادت هذه الفتنة واشتد أمرها وكل هذا
نتيجة وجود الدخلاء من غير الملة والامة الذين لا يعنهم الا شؤونهم الشخصية
في كل وقت

يعجب الإنسان من شأن الخلافة العباسية وبده انحطاطها في عهد اعظم
خلفائها (المأمون) الذي كان في طاقته وقدرته لعلمه وسعة اطلاعه ان يجمع
كلة المسلمين في مشارق الارض ومخاربها وينزع حبلهم من الاضطراب
وأطرافهم من الانقسام وان يتغلب بحزمـه وعزمه على كل هرج وفتنة
وتذاع ولكنها آية من آيات الله سبحانه وتعالى ينذر الناس بها ليعلموا قوة
الدخلاء في الفساد وفي تقويض أمر المسلمين ومنع الساسة من تأييدهم سلطانهم
من شدة الفتنة التي يدخلونها عليهم

كان المأمون لعله همته يحب الوقوف على أحوال رعاياه بنفسه فكان
كثير التنقل من اقليم الى آخر يجال في بلاد الشام وتفرق على آثارها ودخل
مصر ورأى عجائب مبانيها (وهو الذي فتح الفتحة الموجودة الآن بالهرم الأكبر)

انقل المأمون الى بغداد فانقطع بقدومه الفتن وفر أصحاب الفساد
وشرع المأمون في فعل ما يؤثر عنه من جليل الفعال والعنابة بالعلوم والمعارف
ومماشرة العلماء والادباء ثم أخذ في غزو بلاد الروم والبغور وغنم فيها وفتحها.
سار سنة اثنتي عشرة ومائتين أسد بن الفرات قاضى القيروان وهو من أصحاب
مالك وهو مصنف (الاسمية) في مذهبة بجيش في البحر فاصلداً جزيرة
(صفلية) فلما وصلوها لمكوا كثيرون سوا حلها واستولوا على مدينة (سرقوس)
وافتتحوا عمراناً كثيرة حولها وفي هذه الحادثة ظهرت شدة المسلمين وقوتهم.
فانه في أثناء ذلك وصل أسطول من القسطنطينية فيه جمٌّ كثير وقد حل
بالمسلمين وباء شديد ومات أميرهم فرأوا أن يسيروا براً كثيرون فوقف لهم
الروم على باب المرسى فلما تضيقوا جمعوا أمرهم وأحرقوا المراكب وعادوا
للبلاد خاصروها واستلموا حصنهَا وحصنا آخر اسمه (جرجنت) ومدينة
(قصر يانه) ثم استمرت الغزوات ووصلت مراكب كثيرة من افريقيا فيها
المدد للمسلمين وساروا الى شعر (پاليرم) ثم ساروا الى جبل النار والمحصون
التي في تلك الناحية وهم في كل ذلك غامدون
وحج المأمون بالناس سنتين عديدة

ثم دخلت سنة خمسة عشرة ومائتين فساد المأمون الى بلاد الروم
من طريق انطاكيا وافتتح حصن (قرة) عنوة ونحوها من ثلاثين حصناً
آخر

وكان المأمون كريماً ينفق اتفاق من لا يخاف الفقر وحسبك انه لما
ابني (بوران) كانت عطياته رقعاً فيها أسماء ضياع فكل من سقطت في يده
ورقة أخذ الضياعة المكتوب اسمها فيها

كان غاية في كل علم : أخرج محمد بن أبي حفص الأنطاطي قال تقدينا مع المأمون مرة فوضع على المائدة أكثر من ثلاثة لون وكلها وضع لون قال هذا نافع لكذا ضار لكذا من كان منكم صاحب دم فليجتنب هذا ومن كان منكم صاحب صفراء فليأك كل من هذا وهكذا حتى أتى على فوائد جميع أنواع الطعام وبهذا بالنسبة لاصحاب الامزجة على اختلاف انواعها ومن أغرب ما يؤثر عنه في الذكاء المفرط أن امرأة شكت اليه فقالت يا أمير المؤمنين مات أخي خلف سبعة دينار فحكم لي القاضي بدينار واحد . فقال لها المأمون هذا نصيبك . قالت وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال الرجل خلف ابنتين ووالدة وزوجة وأثنى عشر أخا . قالت نعم قال فللبنتين الشثان . أربعين . ولوالدة السادس : مائة . ول الزوجة الثمن . خمسة وسبعون ولكل أخ ديناران ولكل دينار

كان مع جالينوس في معرفة النجوم . ومع هرمن في الحساب . ومع علي بن أبي طالب في النقه . فكان يفضل الناس بعقله وكماله ويسود عليهم بأدبه وحسن مجاملاته . أخرج الخطيب عن يحيى بن أكثم قال بنت عند المأمون ليلة فأخذها سعال فأخذ يسده فاه بكم قيسه حتى لا أنته . وكان فيه رفق بخدمه وخاصته . قال عبد السلام بن صالح بنت عند المأمون ليلة فنام القيم الذي يصلح السراج فطقق فقام المأمون وأصلحه . وقال الصولى كذا في السفر مع المأمون فكان يتقدنا في الليل وينعطيانا

ومن كلامه : ما أভي الجاجة بالسلطان . والضجر من القضاة . والسعفه بالفقهاء . والبخل بالاغنياء . والمزاح بالشيوخ . والكسل بالشباب . والجبن بالمقاتل

وكان يحب لعب الشطرنج ويقول انه يشحد الذهن
 وكان يقول مافقق على في الخلافة فتق إلا وجدت سببه جور العمال
 (ولقد صدق المأمون فان العمال أيدى الملك وأذانه الذين بهم تدار الأمور في
 الجهات القاصية البعيدة وتسمع بهم الشكوى فان لم يكونوا متفقين على تقويم
 الله عاملين بأحسن السير غير غافلين عن أمر الرعية شيئاً نزلت بساحتهم المفاسد
 وتجزرت عليهم الاعداء وذهبوا وذهبوا الجهات العاملين عليها من قبضة
 الحكومة وتولى أمر هاغيرهم وفي السودان المصري عبرة لم تغير فضلا عن الجازر
 والأماكن والنواحي والبلاد التي كانت للإسلام وضاعت بهذه الأسباب)

ومن حكمه قوله : الناس ثلاثة : غذاء لا بد منه . ودواء يحتاج اليه في
 حال المرض . وداء مكرور على كل حال
 وله الخطيب البليغة والفقير الغربية ومن ذلك : أعيت الحيلة في الامر
 اذا أقبل ان يدبر اذا أدر ان يقبل . وكان يقول : معاوية بعمره وعبدالملك
 ابن مروان بحججها وانا بنفسي . وكان كما قال عنه الرشيد : فيه حزم المنصور
 ونسك المهدى وعزه الهدادى

ثم دخلت سنة ثمانية عشر ومائتين فرض فيها المأمون لثلاث عشرة
 خلت من جمادى الآخرة بعلة الحمى فأمر أن يكتب إلى البلاد بالوصية والبيعة
 لأخيه المعتصم ثم أوصاه وصية لم يفلت منها شيئاً من وجوده الخير . فمن بعض
 ما جاء فيها : « يا أبا إسحق » كنية المعتصم « ادن فني واتعظ بما ترى وخذ
 بسيرة أخيك واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المريد له الخائف من
 عقابه وعداته » ومنها « خذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء
 وانصف بعضهم من بعض وتأن بهم ولا تعجل » ومنها « يا أبا اسحق عهد

الله وميشاقه وذمة رسوله لتقون من بحق الله في عباده ولتؤرن طاعته على معصيته : اتقوا الله حق تقائه ولا تؤرن الا وأنت مسلمون » وهي طولية ثم

مات بالبدن دون من أرض الروم ونقل الى طرسوس فدفن بها قال الشعالي ولا يعرف أب وابن من الخلقاء بعد قبرَ أمِن الرشيد والمأمون :

ذلك (بطرسوس) (١) وهذا (بطرسوس) (٢)

راعي المأمون مصلحة السلطان من اعاعة من يريد أن يستقيم له الملك مع الاستطالة ونظر للمصالح العامة نظر السائس الذي يريد أن يحمل كل دعيته على الاجتماع على الرضى بأحكامه من مسلم وكافر حسبما تقتضيه الشرعية الإسلامية . ويجعل المعاند لها مقراً ومعترفاً بأن قوانينها مجتمعة من الأحكام الشرعية والآداب الخلقية والقوانين الاجتماعية الطبيعية ببراعة مایلزم من أصول الشوكة والسلطان الملائمين لأحكام الشرع الشريف فهى أرقى من حكم الحكام وأدب الأدباء ووصفيات من فاق ممن فات من أصحاب القوانين والدساير ولذلك كان من أكبر همه انتقاء الرجال الذين استثنائهم عنه في أعماله كلها حاشا الله أن ترك خبر هذه الخصلة الشرفية يمر على الاسماع من غير حكاية مفيدة . وشاردة مثبتة . تبلي عن فضيلة الوالى والمولى عليه بعد أن يسر الله لنا الكتاب الذي كتبه طاهر بن الحسين لا به عبدالله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر فأنه كتاب جمع الوصيية بجميع ما يحتاج اليه العامل في عمله بل السلطان في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية وحيثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما

(١) طرسوس بلدة باقليم خراسان

(٢) طرسوس بلدة في آسيا الصغرى

لا يستغنى عنه ملك ولا سوقه . وهذا نص الكتاب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَمَّا بَعْدُ فَقُلْيَكَ بِتَقْوِيَّةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشِّيَّتَهُ وَمَرْأَبِتَهُ عَزَّ
وَجَلَ وَمِنْ إِلَيْهِ سُخْطَهُ وَاحْفَظَ رَعْيَتَكَ فِي الْلَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالزَّمْنِ مَا أَبْلَسْكَ اللَّهُ
مِنَ الْعَافِيَّةِ بِالَّذِي كَرِيْمَكَ وَمَا أَنْتَ صَارِيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْهِ
وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كَلَمَ بِمَا يَعْصِمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ وَيُنْجِيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَقَابِهِ
وَأَلَيْمَ عَذَابَهِ

فَإِنَّ اللَّهَ سَبِّحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّأْفَةَ عَلَيْكَ بْنَ اسْتَرْعَاعِكَ
أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادَهُ وَالزَّمَكَ الْعَدْلُ فِيهِمْ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَحَدْدَوْدَهُ عَلَيْهِمْ وَالذِّبْعُ عَنْهُمْ
وَالدُّفْعُ عَنْ حَرِيْمِهِمْ وَمَنْصُبِهِمْ وَالْحَقْنُ لِدَمَائِهِمْ وَالْأَمْنُ مِنْ لَسْرِهِمْ وَادْخَالُ الرَّاحِمَةِ
عَلَيْهِمْ وَمَوْا خَذْكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ وَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمَثِيلَكَ عَلَيْهِ
بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخْرَتَ فَقَرَغَ لِذَلِكَ فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَبَصَرَكَ وَلَا يَشْفَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ
وَانَّهُ رَأْسُ أَمْرَكَ وَمَلَكُ شَأنِكَ

وَأَوْلَى مَا يُوْقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلِيَكُنْ أَوْلَى مَا تَلَزُمُ بِهِ نَفْسَكَ . وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ
فَعَلَكَ الْمَوَاضِيْبَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَنْ وَجَانِ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا
بِالنَّاسِ قَبْلَكَ وَتَوَابِعُهَا عَلَى سَذْنَاهَا مِنْ اسْبَاعِ الْوَضُوءِ لَهَا وَافْتَاحَ ذَكْرَ اللَّهِ
عَنْ وَجْلِ فِيهَا وَرَتَلَ فِي قَرَاءَتِكَ وَتَكَبَّنَ فِي رَكْوَاتِكَ وَسَجَدَكَ وَتَشَهَّدَكَ
وَلَتَصْرِفَ فِيهِ رَأْيَكَ وَنِيَّتَكَ وَاحْضُضْ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ مَمْلَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ
وَادَابَ عَلَيْهَا فَانْهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْ وَجَلَ تَنْهِيَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
ثُمَّ اتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسَنْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَثَابَةِ عَلَى

خلائقه واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده

وإذا ورد عليك أمر فاسـتعن عليه باستخارـة الله عز وجل وتقواه
وبذـوم ما نـزل الله عـز وجل في كتابـه من أمرـه ونـيهـه وحـلالـه وحرـامـه وائـتمـامـه
ما جاءـت به الاـثار عن رـسول الله صـلـى الله عـلـيـه وسـلـمـ شـمـ قـمـ فـيـهـ بالـحـقـ للـلهـ
عـز وجلـ ولاـ تـمـيلـ عنـ العـدـلـ فـيـماـ أـحـبـيـتـ أوـ كـرـهـتـ لـقـرـيبـ مـنـ النـاسـ أوـ بـعـيدـ.
وـآـثـرـ الـفـقـهـ وـأـهـلـهـ وـالـدـيـنـ وـحـمـلـتـهـ وـكـتـابـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـالـعـاـمـلـيـنـ بـهـ فـاـنـ
أـفـضـلـ مـاـ يـتـيـزـيـنـ بـهـ الـمـرـءـ الـفـقـهـ فـيـ الـدـيـنـ وـالـطـلـبـ لـهـ وـالـحـثـ عـلـيـهـ وـالـمـعـرـفـةـ بـمـاـ
يـتـقـرـبـ بـهـ إـلـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ فـاـنـهـ الـدـلـلـ عـلـىـ الـخـيـرـ كـلـهـ وـالـقـادـيـهـ وـالـأـمـرـ بـهـ
وـالـنـاهـيـ عـنـ الـمـعـاـصـيـ وـالـمـوـبـقـاتـ كـلـهاـ وـمـعـ توـقـيقـ اللهـ عـزـ وـجـلـ يـزـدـادـ الـمـرـءـ مـعـرـفـةـ
وـاجـلاـ لـهـ وـدـرـكـ الـدـرـجـاتـ الـعـلـىـ فـيـ الـمـعـادـ مـعـ مـاـ فـيـ ظـهـورـهـ لـلـنـاسـ مـنـ التـوـقـيرـ
لـأـمـرـكـ وـالـهـيـبـةـ لـسـلـطـانـكـ وـالـأـنـسـةـ بـكـ وـالـثـقـةـ بـعـدـكـ

وعـلـيـكـ بـالـاـقـتـصـادـ فـيـ الـأـمـرـ كـلـهـ فـلـيـسـ شـيـءـ أـبـيـنـ نـفـعـاـ وـلـاـ أـخـصـ اـمـنـاـ
وـلـاـ أـجـعـ فـضـلـ مـنـهـ وـالـقـصـدـ دـاعـيـةـ إـلـىـ الرـشـدـ وـالـرـشـدـ دـلـلـ عـلـىـ التـوـقـيقـ
وـالـتـوـقـيقـ قـائـدـ إـلـىـ السـعـادـةـ وـقـوـامـ الـدـيـنـ وـالـسـنـنـ الـمـادـيـةـ بـالـاـقـتـصـادـ وـكـذـاـ فـيـ
دـنـيـاـكـ كـلـهـ

وـلـاـ تـقـصـرـ فـيـ طـلـبـ الـآـخـرـةـ وـالـأـجـرـ وـالـأـعـمـالـ الصـالـحةـ وـالـسـنـنـ الـمـعـرـفـةـ
وـمـعـالـمـ الرـشـدـ وـالـاعـانـةـ وـالـاسـتـكـشـارـ مـنـ الـبـرـوـ وـالـسـعـيـ لـهـ إـذـاـ كـانـ يـطـلـبـ بـهـ وـجـهـ
الـهـ تـعـالـىـ وـمـرـضـاـهـ وـمـرـفـقـةـ أـوـلـيـاءـ اللهـ فـيـ دـارـ كـرامـتـهـ .ـ أـمـاـ تـعـلـمـ انـ القـصـدـ فـيـ
شـأـنـ الدـنـيـاـ يـورـثـ العـزـ وـيـعـصـ منـ الذـنـوبـ وـاـنـكـ لـنـ تـحـوـطـ نـفـسـكـ مـنـ
قـائـلـ وـلـاـ تـنـصـلـحـ أـمـوـرـكـ بـأـفـضـلـ مـنـهـ فـأـتـهـ وـاـهـتـدـ بـهـ تـمـ أـمـوـرـكـ وـتـزـيدـ
مـقـدـرـتـكـ وـيـصلـحـ عـامـتـكـ وـخـاصـتـكـ وـأـحـسـنـ ظـنـكـ بـالـهـ عـزـ وـجـلـ تـسـتـقـيمـ لـكـ

رعيتك والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدム به النعمة عليك
ولا تهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره
فإن ايقاع التهم بالبرأة والظنون السيئة بهم آثم إثم . فاجمل من شأنك حسن
الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنيك ذلك على
استطاعتهم ورياضتهم ولا تخذن عدو الله الشيطان في أمرك معمداً فانه إنما
يكفي بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينقص
لزاده عيشك واعلم انك تجده بحسن الظن قوة وراحة وتكلف به ما أحببت
كفايته من أمورك وتدعوه به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها
ولا ينبعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث
عن أمورك وال المباشرة لامور الاولى وحياة الرعية والنظر في حوالجهم وحمل
مؤناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيم للسنة
وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه
مسؤول عما صنع ومحزى بما أحسن ومؤاخذ بما أساء فان الله عز وجل
جعل الدنيا حرزاً وعززاً ورفع من اتبعه وعززه
واسلوك من تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى وأقم حدود الله تعالى
في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تمطل ذلك ولا تهراون به
ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن
ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بال السنن المعروفة وجانب البدع والشبهات
يسلم لك دينك وتم لك صرموتك .

واذا عاهدت عهداً فاوف به اذا وعدت الخير فانجزه واقبل الحسنة
وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن

قول الكذب والزور وابنض أهل النعمة فان أول فساد أمرك في عاجلها
وأجلها تقرير الكذب والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المائمه
والزور والنعمة خاتمتها لأن النعمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا
يستقيم له أمر .

واحباب أهل الصلاح والصدق واعن الشرف بالحق وأعن الضعفاء
وصل الرحيم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزازه أمره والتعمس فيه ثوابه والدار
الآخرة .

واجتنب سوء الاهواء والجذور واصرف عنهم ارباك واظهر براءتك من
ذلك لرعيتك وانتم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك
إلى سبيل المهدى

واملاك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار وإياك والحمدة والطيش
والغرور فيما أنت بسبيله

وإياك أن تقول أنا مسلم أفعل ماشاء فان ذلك سريعاً إلى نقص الرأي
وقلة اليقين لله عز وجل واخلاص الله وحده النية فيه واليقين

واعلم ان الملائكة سبحانه وتعالى يؤتى من يشاء وينزعه من يشا، ولن
تجد تغيير النعمة وحلول النعمة الى أحد أسرع منه الى جهة النعمة من أصحاب
السلطان والمباسوط لهم في الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما
اعطاهم الله عز وجل من فضله

ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخراً لك وكنوزك التي تدخل وتكتنز
البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لاً مورهم والحفظ
لدمائهم والاغاثة لهم وفهم

واعلم ان الاموال اذا اكتنلت وادخرت في الخزائن لاتنموا وادا كانت
في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم نمت وذكت وصلحت
به العامه وترتب به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفة فليكن
كذلك خزانتك تفريق الاموال في عمارة الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء
امير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم واعهد بما يصلاح أمورهم
ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبتك المزيد من الله تعالى
وكنت بذلك على جباهة اموال رعيتك وخارجك أقدر وكان الجمع لما شملهم
من عدلك واحسانك أساس لطاعتك

وطب نفساً بكل مأردة واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب
وليعظم حملك فيه وانما يبقى من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه
واعرف للشاكرين حقوقهم وأثبهم عليه وإياك أن تنسيك الدنيا وغير ورهاهول
الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفرط يورث
البوار

وليكن عملك لله عن وجىل وفيه وارج الشواب فان الله سبحانه قد
أشبغ عليك فضله .

واعتصم بالشكر وعليه فاعة مد يزدك الله خيراً واحساناً فان الله عن
وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين . ولا تخفق ذنباً ولا
تمالئ حاسداً ولا ترحم فاجراً ولا تصل كفوراً ولا تداهن عدواً ولا
تصدقن نعاماً ولا تأمن عدواً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن
مرأياً ولا تخفق انساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تحسن باطلنا ولا تلاحظن
غضبك ولا تخالفن وعداً ولا تذهبن خيراً ولا تظهرن غضباً ولا تباينن رجاء

ولا تمشين صرحا ولا تذكىن سفيهها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع
للنمام عينا ولا تغمس عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة
في الدنيا

وا كثيـر مشـاورة الفـقهاء واسـتعـمل نـفـسـك بـالـحـلـم وـخـدـعـن أـهـلـالـتـجـارـب
وـذـوـيـالـعـقـلـ والـرأـيـ والـحـكـمةـ وـلاـ تـدـخـلـ فـيـ مـشـورـتـكـ أـهـلـ الرـفـهـ وـالـبـخـلـ
وـلـاـ تـسـمـعـنـ لـهـمـ قـوـلـاـ فـانـ ضـرـرـهـ أـكـثـرـ مـنـ نـفـعـهـ

ولـيـسـ شـئـ أـسـرـعـ فـسـادـاـ لـمـ اـسـتـقـبـلـتـ فـيـهـ أـصـرـ رـعـيـتـكـ مـنـ الشـحـ وـاعـلمـ
أـنـكـ اـذـ كـنـتـ حـرـيـصـاـ كـنـتـ كـثـيرـ الـاخـذـ قـلـيلـ الـعـطـيـةـ وـاـذـ كـنـتـ كـذـلـكـ لـمـ
يـسـتـقـمـ أـصـرـكـ الـاـقـيـلـاـ فـانـ رـعـيـتـكـ اـنـمـاـ تـعـقـدـ عـلـىـ مـحـبـتـكـ بـالـكـفـ عـنـ أـمـوـالـهـ
وـتـرـكـ الجـورـ عـلـيـهـمـ

وـوـالـ منـ صـفـالـكـ مـنـ أـوـلـيـاـكـ بـالـاتـصالـ إـلـيـهـمـ وـحـسـنـ الـعـطـيـةـ لـهـ
وـاجـتنـبـ الشـحـ وـاعـلمـ أـنـهـ أـوـلـ مـاـ عـصـىـ بـهـ الـإـنـسـانـ رـبـهـ وـاـنـ الـعـاصـىـ بـعـزـلـةـ
الـحـرـيـ وـهـوـ قـوـلـ اللهـ عـنـ وـجـلـ وـمـنـ يـوـقـ شـحـ نـقـسـهـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـمـفـلـحـونـ
فـسـهـلـ طـرـيقـ الـجـودـ بـالـحـقـ

وـاجـعـلـ لـالـمـسـلـمـينـ كـلـهـمـ فـيـ بـيـتـكـ حـظـاـ وـنـصـيـباـ وـأـيـقـنـ أـنـ الـجـودـ أـفـضـلـ
أـعـمـالـ الـعـبـادـ فـأـعـدـهـ لـنـفـسـكـ خـلـقـاـ وـارـضـ بـهـ عـمـلاـ وـمـذـهـبـاـ وـتـفـقـدـ الـجـنـدـ فـيـ
دـوـاـيـهـمـ وـمـكـاتـبـهـمـ وـادـرـ عـلـيـهـمـ أـرـزـاـتـهـمـ وـوـسـعـ عـلـيـهـمـ فـيـ مـعـاشـهـمـ يـذـهـبـ اللهـ
عـزـ وـجـلـ بـذـلـكـ فـاقـتـهـمـ فـيـقـوـيـ لـكـ أـصـرـهـ وـتـزـيدـ قـلـوبـهـمـ فـيـ طـاعـتـكـ وـأـصـرـكـ
خـلـوـصـاـ وـاـنـشـرـاـحـاـ

وـحـسـبـ ذـيـالـسـلـطـانـ مـنـ السـعـادـةـ أـنـ يـكـونـ عـلـىـ جـنـدـهـ وـرـعـيـتـهـ رـحـمـةـ فـيـ
عـدـلـهـ وـعـطـيـتـهـ وـاـنـصـافـهـ وـعـنـائـتـهـ وـشـفـقـتـهـ وـبـرـهـ وـتـوـسـعـتـهـ فـذـلـكـ مـكـروـهـ أـحـدـ

البابين باستشعار فضله الباب الآخر وزروم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى
بهنجاحاً وصلاحاً وفلاحاً

واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس له به شيء من الامور
لانه ميزان الله الذى يعدل عليه أحوال الناس في الأرض ويقام العدل في
القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتؤمن السبيل وينتصف المظلوم وتأخذ
الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية
والسلامة ويقيم الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها

واشتدد في أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة الحدود
واقل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه
في صحتك واسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة والبلغ في الحجة
ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجامعة ولا لومة لام وثبت وتأن
وراقب والنظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسrun إلى سفك الدماء فان الدماء من الله عز
وجل يمكن عظيم انتهاكا لها بغیر حقها .

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله الاسلام عن
ورفة ولا هله توسيعة ومنعة ولعدوه كيتا وغيظا ولا هله الكفر من معادهم
ذلاً وصغاراً فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفع عن
شيئ منه عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا احد من
خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تتكلف أمرا
فيه شطط واحمل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك أجمع لأقوتهم والزم
ارضاء العامة .

واعلم انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً ورعايا وانماسمى أهل عملك
رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم نفذ منهم ما أطعوك من عفوهم ونفذه في قوام
أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأي والتدبر والتجربة
وأخذيرة بالعلم والعدل بالسياسة والمعاف وسع عليهم في الرزق فان ذلك من
الحقوق اللازمـة لك فيما تقلدت وأسند اليك فلا يشغلـك عنه شاغل ولا يصرفـك
عنه صارفـ فاتـك متـ آثرـه وقتـ فيه بالواجب استدعـت به زيادة النـعـمة
من ربـك وحسنـ الـاحـدـوـةـ في عملـكـ واستـجـرـتـ بهـ المـجـبـةـ منـ رـعـيـتكـ
وأعـنـتـ عـلـىـ الصـلـاحـ فـدـرـتـ اـخـيـرـاتـ بـلـدـكـ وـفـشـتـ الـعـمـارـةـ بـنـاحـيـتكـ وـظـهـرـ
الـخـصـبـ فـكـوـرـكـ وـكـثـرـ خـرـاجـكـ وـتـوـفـرـتـ أـمـوـالـكـ وـقـوـيـتـ بـذـلـكـ عـلـىـ اـرـتـبـاطـ
جـنـدـكـ وـارـضـاءـ العـامـةـ بـفـاضـةـ الـعـطـاءـ فـيـهـمـ مـنـ نـفـسـكـ وـكـنـتـ مـحـمـودـ السـيـاسـةـ
مـرـضـىـ الـعـدـلـ فـذـلـكـ عـنـدـ عـدـوـكـ وـكـنـتـ فـيـ أـمـوـرـكـ كـلـهاـ ذـاـ عـدـلـ وـآـلـةـ وـقـوـةـ
وـعـدـةـ فـتـافـسـ فـيـهـاـ وـلـاـ قـدـمـ عـلـيـهـاـ شـيـئـاـ تـحـمـدـ عـاقـبـةـ أـمـرـكـ اـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىـ
وـاجـمـلـ فـيـ كـلـ كـوـرـةـ مـنـ عـمـلـكـ أـمـيـنـاـ يـخـبـرـكـ خـبـرـ عـمـالـكـ وـيـكـتـبـ اليـكـ
بـسـيـرـهـ وـأـعـمـالـهـ حـتـىـ كـأـنـكـ مـعـ كـلـ عـاـمـلـ فـيـ عـمـلـهـ مـعـاـنـاـ لـأـمـورـهـ كـلـهاـ وـاـذـاـ
أـرـدـتـ اـنـ تـأـمـرـهـ بـأـمـرـ فـانـظـرـ فـيـ عـوـاـقـبـ مـاـأـرـدـتـ مـنـ ذـلـكـ فـانـ رـأـيـتـ السـلـامـةـ
فـيـهـ وـالـعـافـيـةـ وـرـجـوـتـ فـيـهـ حـسـنـ الدـفـاعـ وـالـصـنـعـ فـامـضـهـ وـالـفـتوـقـ عـنـهـ وـرـاجـعـ
أـهـلـ الـبـصـرـ وـالـعـلـمـ بـهـ ثـمـ خـذـ فـيـهـ عـدـتـهـ فـانـهـ رـبـعـاـ نـاظـرـ الرـجـلـ فـيـ أـمـرـهـ وـقـدـ أـنـاهـ
عـلـىـ مـاـيـهـوـىـ فـاغـواـهـ ذـلـكـ وـأـعـبـيـهـ فـانـ لـمـ يـنـظـرـ فـيـ عـوـاـقـبـ أـهـلـكـهـ وـنـقـضـ عـلـيـهـ أـمـرـهـ
فـاستـعـملـ الـحـازـمـ فـكـلـ مـاـأـرـدـتـ وـبـاـشـرـهـ بـعـدـ عـوـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ بـالـقـوـةـ وـأـكـثـرـ مـنـ
استـخـارـةـ ربـكـ فـيـ جـمـيعـ أـمـوـرـكـ وـأـفـرـغـ مـنـ عـمـلـ يـوـمـكـ وـلـاـ تـؤـخـرـهـ وـأـكـثـرـ مـبـاشـرـتـهـ
نـفـسـكـ فـانـ لـفـدـ أـمـوـرـاـ وـحـوـادـثـ تـلـيـكـ عـنـ عـمـلـ يـوـمـكـ الذـىـ أـخـرـتـ .

واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فإذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل
يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه وإذا أمضيت للك يوم عمله أرحت
بدنك ونفسك وتستيقن أمر سلطانك وانظر احرار الناس وذوى الفضل
منهم من بلوت صفاء طويتهم وشهدت موتهـم لك ومظاهرتهم بالنصوح
والمحافظة على أمرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات منهن
قد دخلت عليهم الحاجة واحتلـم مؤتهـم واصلح حالـهم حتى لا يجدوا خلـهم
مسافراًـ وافـرـ نفسك بالنظر في أمـورـ الفـقـراءـ والـمـساـكـينـ ومنـ لاـ يـقـدرـ علىـ رفعـ
مظلـمهـ اليـكـ وـالـحـقـرـ الـذـيـ لاـ عـلـمـ لـهـ بـطـلـبـ حـقـهـ فـسـلـ عـنـهـ أـخـفـ مـسـئـةـ وـكـلـ
بـأـمـثالـهـ أـهـلـ الصـلـاحـ فـرـعـيـتكـ وـمـرـهـ بـرـفعـ حـوـلـجـهـ وـخـلـاـهـ لـتـنـظـرـ فـيـاـيـصـلـحـ
الـلـهـ بـهـ أـمـرـهـ وـتـعـاهـدـ ذـوـ الـبـاسـاءـ وـيـتـامـاهـ وـأـرـاـمـلـهـ وـاجـعـلـ لـهـمـ أـرـزـاقـاـ مـنـ
بـيـتـ المـالـ اـقـتـداءـ بـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ أـعـزـهـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ الـعـطـفـ عـلـيـهـمـ وـالـصـلـةـ لـهـمـ
لـيـصـلـحـ اللـهـ بـذـلـكـ عـيـشـهـمـ وـيـرـزـقـكـ بـهـ بـرـكـهـ وـزـيـادـهـ .ـ وـأـجـرـ الـاـسـرـاءـمـنـ بـيـتـ المـالـ
وـقـدـ حـمـلـةـ الـقـرـآنـ مـنـهـمـ وـالـحـافـظـينـ لـاـ كـثـرـهـ فـيـ الـجـرـائـدـ عـلـىـ غـيرـهـ وـأـنـصـبـ لـمـرـضـ
الـمـسـلـمـينـ دـورـاـ تـأـوـيـهـمـ وـقـوـاماـ يـرـفـقـونـ بـهـمـ وـأـطـبـاءـ يـعـالـجـونـ اـسـقـامـهـمـ وـاسـعـفـهـمـ
بـشـهـوـاـهـمـ مـالـ يـؤـدـ ذلكـ إـلـىـ سـرـفـ فـيـ بـيـتـ المـالـ

واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل اماناتهم لم تبرمهم وربما تبرم
المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكرة منها ما ينال
به مؤونة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل
وفضل ثواب الآجل كالذى يستقرىء ما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته .
واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسيكن حراسك واخفض لهم
جناحك واضهر لهم بشرك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم بجودك

أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوفِيقَكَ وَرَشْدَكَ وَكَلَاءَكَ وَالسَّلَامُ»
إِذَا افْتَرَتْ بِالابْنَاءِ الْآبَاءِ وَازْدَهَتْ الْمَنَابِرُ بِالْخَلْقَاءِ فَالْمُؤْمِنُ سَيِّدُ النَّجِيَاءِ
وَرَبِّيْسُ الْحَكَمَاءِ وَزِينُ الْعِلْمِ وَالْعَلَمَاءِ . وَلَكِنَّ اَنْشَقَتِ الْعَالَمَةُ الْحَامِةُ عَلَى نَفْسِهَا
وَتَوَلَّتْ هَذَا الشَّقَاقَ يَدُ الْاعْدَاءِ فَمَا لَبِثَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ اَنْ اسْتَمْصِي عَلَاجَهَا
عَلَى الْحَكَمَاءِ وَالْاَمْرَاءِ وَالْقَادِهِ وَفَتَحَ بَابَ الْلَّشَرِ كَانَ مَغْلُقًا وَكُلُّ هَذِهِ الْحَوَادِثِ
ضَرِبَهَا اللَّهُ مَثَلًا لِلْعَظَةِ وَالْاعْتِبَارِ لِيَأْخُذَ كُلُّ قَائِمٍ مِنْهَا بِنَصِيبٍ وَيُضَربُ فِيهَا
بِسْهُمْ وَيَتَقَ اللهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي رَعِيَّتِهِ وَيَجْعَلُ هَذِهِ الْحَوَادِثَ بِنَزْلَةِ الْمَدَارِسِ
وَالْوَاعِظَ لَهُ لِيَقُولَ الْاَنْسَانُ عَنْهَا عَلَى سَبِيلِ التَّعْزِيَةِ : « اَنْ كَانَتْ اَسْءَاتُ قَوْمًا
فَلَقَدْ اَنْتَفَعَ بِهَا قَوْمٌ آخَرُونَ » خَالِ الْكَثِيرِ مِنْ هَذِهِ الْحَالَ قَرِيبٌ وَالْعَاقِلُ مِنْ
اعْتَبِرُ بِغَيْرِهِ وَقَاسِ يَوْمَهُ عَلَى مَاضِيهِ . وَنَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا وَقَرَأَ عَظَاتَ الْدَّهْرِ فِي
دِفَحَاتِ اِيَامِهِ فَانْهَا الْجَرِيدَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى مَرْءَ الْاَزْمَانِ الَّتِي لَا تَمْحُو سُطُورُهَا يَدُ
الْمُحْدَثَانِ وَلَا يَبْلِيْهَا صَرُ الجَدِيدَانِ

المعتصم بالله

هو أبو اسحق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمان وسبعين . كان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان يقال له (المشن) لانه ثامن الخلفاء من بنى العباس . ثامن ولد للعباس . ثامن أولاد الرشيد . وملك سنة ثمان عشرة . واستمر في ملكه ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانين وأربعين سنة . وفتح ثمانية فتوح . وأسر ثمانية ملوك . وخلف ثمانية أولاد . وثمانية إثنا ثمان . كانت قلوب الجنود أشربوا بالشهادة من الواقع بين الأمين والمأمون أزمان كانوا يساقون للعصيان لقضاء وطر النقوس الشريرة الخارجة على القائم بالخلافة فتأصلت في النقوس حاجات وفي الطياع خصال لا ينبعى أن تلامس قلب الجنود المطلوب منهم الطاعة والانقياد لامرهم

بويع للمعتصم فتشعب الجند عليه ونادوا باسم العباس بن المأمون وأخذوا يطروون الباب الذى دلهم عليه أمراؤهم من قبل فأرسل المعتصم إلى العباس وأحضره فباليه ثم خرج العباس إلى الجند وقال لهم قد بايعت عبي فسكتوا وانصرف المعتصم إلى بغداد ومعه العباس بن المأمون

قال ابن المقفع : « إن الذى يصلو على أعدائه بجيش لا يعلم دواخل صدورهم يكون مثله كمثل راكب الأسد : الناس تراه فتوجل منه وراكب الأسد أشدّ وجلا » لذلك اضطر المعتصم أن يستخدم نحوً من خمسين ألفاً من التركان مخافة أن توقع به الجنود واتخذ منهم لنفسه حراساً ولاهم محافظة الشغور والحدود فكانوا يزدادون يوماً عن يوم حتى كانت القوة بأيديهم في عهد الخلفاء من بعده كما ستقف عليه إن شاء الله

من أجل هذا حكم جماعة من المؤرخين بان الخلافة العباسية انتهت بالمعتصم اذا كان حكم المؤرخين على الدولة العباسية بالاتهاء كان لجراً داً استخداماً لها جنداً غير العرب فبهاذا حكم على أمّة من المسلمين رضخت لغيرهم وتمثلت بهم وهي يخالفونها في كل مذهب وزادت بها السماحة حتى أصبحت تعتقد ان التشبيه بهم فلاح (ان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألق السمع وهو شهيد) كان المعتصم طيب الأخلاق سعيد الرأى قوياً ذا نجدة وهمة . يروي عنه انه بلغه أنَّ يويفيل ملك الروم خرج وأغار على بلاد الإسلام وان امرأة هاشمية صاحت وهي في أيدي جنده : « وامعتصمه ! » فأجابها وهو جالس على سرير مملكته « ليك ليك !! » وقام من ساعته ناهضاً وجمع من وقته جيشاً لم يماثله فيه أحد عدداً وعدداً

وأوقف ما يملكه من الضياع ثلثاً لولده وثلثاً لله تعالى وثلثاً لواليه وقصد مدينة (عموريه) وهي أشرف لدى الروم من القسطنطينية ولم يتعرض لها أحد منذ كان الإسلام فوصلها وجري بين المسلمين والروم عليها قتال شديد استولى المسلمون على المدينة المذكورة ومن them الله النصر العظيم وأراد المعتصم المسير بعد هذا النصر إلى القسطنطينية والتزول على خليجه او الحيلة في فتحها براً وبحراً فأتاه مأذعنه وأزاله عما كان عزم عليه . وذلك أن العباس بن المؤمن اجتمع عليه بعض أناس وأغروه وبایموه وانه كاتب طاغية الروم فاجعل المعتصم في مسيره حتى يدفع عنه هذه الفتنة الداخلية . وهكذا أهل السوء تنتهز مثل هذه الاوقات التي يشرع فيها القائم لعمل عظيم وقف أمامه بالفتن والمقاصد وتسد طريق سعادتها الدنيوية والآخرية فتقى خالق في موضع الاتفاق وتفاقل في ساعة التناصر وتناهباً في أوقات المناصفة . وتدعواها خلال السوء لأن

تستعد للوبيه عند عدم الحاجة اليها . وهذه الطائفة حائل مانع دون كل الفوائد والرغبات تجني على نفسها وديتها وممتها جنایة لا يغفر لها رب الدين وخالق العالمين

استكثروا من الجناد حتى صافت بهم بغداد بجدد بناء مدينة (سر من رأى) وتحول اليها وخرجت في زمانه جماعة من الثوار وأصحاب الاقوال والمدعيات فسكنه الله من رقبتهم ولم يجتمع خليفة ما اجتمع للمعتصم من الفقر والنصر أسر ملك اذريجان . وملك طبارستان . وملك استسيان . وملك اشبااصح . وملك فرغان . وملك تخارستان . وملك الصفة . وملك كابل . وبلغ مالرداد وزاد عليه بحيث لو كانت هذه الهمة صادفت صفاء من الوقت وحفظاً من النظام وروحاً من الطاعة ولو لما وعشقاً من الامة في تأييد الخلافة ولم تكن الامور معرضة للخطر واستنباط ضروب الخروج على القائم لقضاء حاجة في النفس لـ كانت هذه المدة من أـكبر وسائل السعادة لـ الـ اـلامـيمـية

وقد أسمـبـ جـمـاعـةـ المؤـرـخـينـ فـيـ وـصـفـهـ وـسـعـةـ أـخـلـاقـهـ وـكـرـيمـ عـشـرـةـ وـاـنـهـ لـمـ يـكـنـ أـسـمـعـ مـنـهـ بـالـنـفـقـةـ فـيـ وـقـتـ الـحـرـبـ . وـدـرـوـىـ عـنـهـ أـنـ تـصـدـقـ بـمـائـةـ مـلـيـونـ دـرـهـمـ . وـمـنـ مـكـارـمـ أـخـلـاقـهـ أـنـ انـقطـمـتـ عـنـهـ أـصـحـابـهـ فـيـ يـوـمـ مـطـيرـ فـيـنـيـاـ هـوـ يـسـيرـ إـذـ رـأـىـ شـيـخـاـ مـعـهـ حـمـارـ عـلـيـهـ حـمـلـ شـوـكـ وـقـدـ زـلـقـ الـحـمـارـ وـسـقطـ وـالـشـيـخـ قـائـمـ يـنـتـظـرـ مـنـ يـمـرـ بـهـ فـيـعـيـنـهـ فـنـزـلـ الـمـعـتـصـمـ عـنـ دـابـتـهـ وـخـلـصـ الـحـمـارـ عـنـ الـوـلـحـ وـرـفـعـ عـلـيـهـ حـمـلـهـ وـأـتـظـرـ أـصـحـابـهـ وـوـكـلـ مـنـهـمـ بـهـ مـنـ يـسـيرـ مـعـهـ قال اسحق ابن ابراهيم : سأله المعتصم فقال نظرت الى اخي المأمون وقد اصطنع أربعة فافلحوا واصطنعه أربعة فلم يفلح أحد منهم . فقلت أجيـبـ

على أمان من غضبك . قال نعم . قلت له يا أمير المؤمنين نظر أخوك الى الاصول فاستعملها فانجابت واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب إذ لا أصول لها . فقال يا سعيد : لمقاساة ما صر بي طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب (ان عدم التخbir في انتقاء حاشية الخليفة التي تشرف على عموم الأمة يقلب بها الحال في كل وقت الى أشأم ما يكون لاتهم لقربهم من الملك يخلون بجهلهم القطعية محل التراحم والتخاصم مكان التعاون وال الحرب موضع السلام ويصبح الاجتماع البشري بسببهم معرضًا للهلاك لأن هذه الطائفة أقرب الناس الى الملك وهي التي تمثل طبائعه وأغراضه ولا ينبغي ان يكون في طباعهم تقصير عن الكمال الواجب لهم)

كان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أموراً محمودة . فأولها عمران الأرض التي يحيي بها العلم وعليها يزكيو الخراج وتكتثر الاموال وتعيش الانعام وترخص الاسعار ويكثر السكوب ويتسع المعاش . ولذلك كان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعًا متى أنفقته فيه عشرة دراهم جاء بعد سنة بأحد عشر درهماً فلما تواصل في ذلك كثُر في أيامه العمran واختلط الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والdroوب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وبني الناس وارتفاع البناء وشيد الدور والقصور وسائر ما ينفع به الناس ثم اختاره الله سبحانه وتعالى للدار الآخرة فقضى في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربیع الاول سنة ست وعشرين ومائتين . وقال عندما احتضر « ذهبت الحيلة فليس لي حيلة »

وكان المعتصم كلام فصيحة وشعر لا يأس به وسيرته هذه اذا لوحظ فيها ماطرًا على مصالح البشر من الفساد وما قدفت به الأمة الاسلامية نفسها (٩ - حماة الاسلام - ثانى)

فِي مَهَاوِي الشَّرِّ مِنَ الطِّيشِ وَالنَّقْصِ تَكُونُ خَيْرٌ نَذِيرًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنْقَعَةِ وَأَشْعَارِ
الْقُلُوبِ بِلِزَوْمِ الْإِرْتِبَاطِ وَالْإِتْحَادِ وَالتَّغْلِبِ عَلَى الشَّهْوَاتِ الَّتِي تَذَهَّبُ حِرْمَتَهَا
وَتَهْدِمُ بِنَاءَهَا وَتَفْقَدُ مَا قَصَدَ بِوَضْعِهَا

اللَّهُمَّ قَنَا شَرُّ نِزَغَاتِ الْأَهْوَاءِ وَأَنْزَعَ مِنْ نَفْوسِنَا حُبُّ الْغَلَبَةِ عَلَى مَا حَوْلَنَا
وَصَرَّفَ أَرَادَتَنَا فِيهَا فِيهِ نِجَاحُ الْبَلَادِ وَالْعِبَادِ وَاهْمَنَا مَعْرِفَةُ الْمَعْرِفَينَ وَارَادَةُ
الْخَتَارِينَ لِتَسْتَشُّعَرْ نَفْوسِنَا بِالْخَيْرِ الَّتِي هِيَ مَسْوَقَةُ إِلَيْهِ آمِينَ

﴿الموكل على الله جعفر﴾

هو الم توكل على الله جعفر أبو الفضل بن الم عتصم بن الرشيد . بويع له
في ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين

كان الم توكل ذكى الفكرة زكى الفطرة ظهيراً لـلسنة يميل لعمل أهلها
ونصرتهم والمدافعة عنهم . فأخذ منذ ملاك قياد الأ صرف في رفع المحنـة التي وقعت
والبلية التي عظمـت وهي محنـة القول بخلق القرآن التي استمرت من عهد
المأمون إلى عهد الم توكل . وانقضـت السـنين الطـويلـة والأـمـة لا تـعـانـ على صـرـفـ
بـلـيـتهاـ عـنـهاـ عـلـىـ غـيرـ طـائـلـ وـقـدـ أـصـابـ جـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ مـنـهاـ ضـرـرـ وـأـيـ
ضـرـرـ . وـأـصـرـ بـتـرـكـ النـظـرـ وـالـمـبـاحـثـةـ وـالـجـدـالـ وـالـتـرـكـ لـماـ كانـ عـلـيـهـ النـاسـ أـيـامـ
الـمـعـتـصـمـ وـأـصـرـ بـالـتـسـلـيمـ وـالـتـقـلـيدـ

كتب الم توكل إلى الآفاق في سنة أربع وثلاثين بترك هذه البدعة
واستقدم المحدثين إلى سامرّاً (سر من رأي) للتحديث وأظهار السنة والجماعة
وأجلـلـ عـطـيـاهـ وـأـكـرـمـهـ وـأـصـرـهـ بـأـنـ يـحـدـثـ وـأـبـاحـادـيـثـ الصـفـاتـ وـالـرـؤـيـةـ وـأـجـاسـ
أـبـاـبـكـرـ بـنـ شـيـةـ فـيـ جـامـعـ الرـصـافـةـ فـاجـتـمـعـ إـلـيـهـ نـحـوـ مـنـ ثـلـاثـينـ أـلـفـ نـفـسـ .
وـأـجـلـسـ أـخـاهـ عـمـانـ فـيـ جـامـعـ الـمـنـصـورـ فـاجـتـمـعـ إـلـيـهـ أـيـضاـ نـحـوـ مـنـ ثـلـاثـينـ أـلـفـ
نـفـسـ وـتـهـلـلـ النـاسـ فـرـحـاـ وـأـنـطـلـقـتـ الـأـسـنـةـ بـالـدـعـاءـ لـالـمـتـوـكـلـ وـبـالـغـواـ فـيـ الشـنـاءـ
عـلـيـهـ وـوـافـقـ ذـلـكـ إـصـابـةـ إـبـنـ أـبـيـ دـوـادـ (مـحـدـثـ هـذـهـ الـبـدـعـةـ وـمـبـتـدـعـهـاـ) بـفـاجـجـ
صـيـرـهـ حـجـرـاـ مـلـقـيـ فـازـحـ اللهـ هـذـهـ الـبـلـيةـ وـرـفـهـاـ عـنـ أـمـةـ نـبـيـهـ صـلـيـ اللهـ
عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـاسـتـرـاحـ النـاسـ

أخذـتـ جـمـاعـةـ الـمـؤـمـنـينـ فـيـ الشـنـاءـ عـلـىـ الـمـتـوـكـلـ وـتـعـظـيمـهـ حـتـىـ قـالـ قـائـلـهـ :

« الخلفاء ثلاثة » (أبو بكر) رضي الله عنه في قتل أهل الردة (و عمر بن عبد العزيز)
في رد المظالم (ومالوك) في أحياء السنة وإماماته التجهيز

اللهم لا سيطرة على خلفاء الإسلام ولكن الإنسان يستخدمي من نفسه اذا
وجد أن عهداً طويلاً زماناً مديداً استوجب خلافة أربعة من الخلفاء ينقضى في
أمر بدعة كان يسع فيها جماعة المسلمين ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
الكرم والانصراف إلى فتح الفتوح والتوجه لما فيه المنفعة استجلا بالحسن السيرة
والنظر في الضوابط السلطانية والأمور الحربية بالجمع والتفرق والتبعيد والتقارب
والتشتت والتأليف واستعمال الخبر بين الذين أمنوا خيانتهم وتحققوا أماناتهم حتى
ينقلوا اطمئن الامة من الميل إلى الاعتدال ويعرفوها صفات الحمير والصلاح
ينبغى لlama الاسلامية أن تعظ بمثل هذه الحوادث فتتجنب كل ما يؤديها
لتفرقها ويجرها للتباغض و يجعل سهامها بينها فان شر الافتراق قد جر عليها
ما جرها من الويل والثبور وأصبحت وقد ضرب بينها بسور من التخاصم
والتباغض ولا حول ولا قوة إلا بالله

وفي سنة ثمان وثلاثين حدثت حادث جوية عظيمة منها خروج رياح
بالعراق شديدة السموم أحرقت الزرع ومنعت الناس المعاش . وزلزال في
جهة انطاكية خرت منها الجبال وتقطعت . ووقع من السماء برد في حجم
الحجارة . وغارت عيون الماء بكل فأرسل الموكل لأهل البلاد التي دهمتها
هذه الحوادث بما تعطف به من الاحسان

وبعث إلى بلد الله الحرام بعشرة ألف دينار لاجراء الماء من عرفات إليها .
انهض الموكل من أيام الخلافة التي كانت ممنوعة بالمشاة كل أيامه اشتغل
فيها بالفتوحات : في خلافته فتح العباس بن الفضل أمير صقلية بها الفتوحات

العظيمة واستولى على قصر ياه

ولما استولى المسلمون على جزيرة صقلية وافتتحت جالية الاندلس اقريطش
اغتاظ الروم وجهزوا نحو ثلاثة مرسك على ثلثة أسراء فأخذت بالجولان
في عرض البحر الا يض المتوسط تنهز الفرس للاليقاع بال المسلمين
من ذلك انهم اتهوا الى مدينة دمياط بمائة مرسك وخرجوا على غرة
من أهلها وكانت فارغة من الجندي فاجروا وسبوا وقدموا حتى وصلوا مصرا
ثم رجعوا ويقال انه لم يتعرض لهم أحد في طريقهم
وفي خلافته افتتح (بغا) قلدة جنوده مدينة (تفليس) (١) وغزى
المسلمون الروم عدة مرات فنموا وفتحوا وغزي الفضل بن خاقان بالاساطيل
فافتتح حصن انتاكية وفي خلافته أغار (البيجا) (٢) وامتنعوا من أداء الحمس
على مصر حتى ول محمد بن عبد الله القمي اسوان وقفظ والأقصر واسنا
وأرمي وأمر بحرهم فزحف عليهم فانهزمو واستأنمو على أداء الخراج كما كان
كانت أيام المتوكل أحسن الأيام وأذخرها لحبه في استقامة الملك
وشمول الناس بالأمن ورخص السعر وبث العدل وكونه وسطا في كل
شيء في جوده وإمساكه ومضاكه وهرزه ومحونه وطربه وكان ولعا بالآدب
محبا للشعراء وهو الذي يقول فيه بعضهم
فامسك ندى كفيك عن ولا تزد فقد خفت أن أطفي وأن أحبرا
وظهرت في مده ثياب لباس الملجم وهي في نهاية الحسن والصبغ

(١) تفليس قاعدة الحكومة المحلية في بلاد القوقاز التابعة لدولة روسيا الآن

(٢) وهم البشارية الساكنون بالجهة الشرقية من التوبية بين البحر الأحمر والنيل

ويوجد الآن من ذرائهم هناك وفي اسوان وله عمل في حوادث السودان

وجودة الصنع وعرفت بالشياطين المتكية . وحدث في أيامه بناء لم يكن الناس
يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والأروقة نسبة إلى ملوك الحيرة
وهو عبارة عن رواق فيه صدر ومية ومية وخرزة للكسوة وبيت
لما يحتاج إليه من شراب وغيره

ولم يعلم بأحد متقدم في صناعته في جد أو هزل الا وقد حظي في دولته
بسصيبة وسعد في أيامه فكانت أيامه من هرة بكل جمال

كان ولما بحب أهل الخير والصلاح عاشقا للعلماء حتى أنه لما ظهر في
عمره في مصر (ذوالنون) وتكلم في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية
 وأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم رئيس مصر وأجل أصحاب ابن أنس
رضي الله عنه في زمانه وقال بأنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف ورماه بالزندقة
وبلغ الامر الم وكل أمر باحضاره فاستدناه وسمع كلامه فولع به وأحبه وأدرك
منزلاته وكرمه وكان يقول : « اذا ذكر الصالحون فغير لا بد النون » .
وكان متمذهبها بمذهب الشافعى رضي الله عنه . وهو أول خليفة اتخذ مذهبا
وكان يقول : « أئها الناس . ان محمد بن ادريس المطلي قد صار الى رحمة الله
وخلف فيكم عملا حسنا فاتبعوه تهتدوا . اللهم ارحم محمد بن ادريس رحمة واسعة
وسهل على حفظ مذهبه وانفعني به »

وكان لا يأنيف من الموعظة : من ذلك انه جمع في داره مجلسا من العلماء
وكان فيهم أحمد بن المعدل وغيره نخرج عليهم فقام الناس غير أحمد بن المعدل
فقال الم وكل لعيبد الله : « ما باله ؟ » قال : ان في بصره سوء . فسمعها أحمد
بن المعدل فقال : يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ولكن نزهتك من
عذاب الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن تمثل له الرجال

قياماً فليتبواً مقعده من النار » فسر به المتكلّم جلس الى جانبه . ومن كلامه مع يزيد الملهي : « ان اخلفاء كانت تصعب على الرعية لتطيعها وانا ألين لهم ليحبونى ويطعوني »

كان مدركاً خطارة مركز الخلافة والمسؤولية التي تحيط به فكان يذوق منها مرارة العواقب كما يسوع حلاوة المآرب وكان في أغلب أوقاته مطرقاً مفكراً

دخل عليه صرة وزيره الفتح بن خاقان وهو على هذه الحالة فقال له : ما هذا الفكر فهو الله ما على ظهر الارض أطيب منك عيشاً . قال : « يفتح . أطيب مني عيشاً » رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة لا يعرف فانفذه ولا يحتاج اليها فنذرية »

كان المتكلّم يروى الحديث عن أبيه وجده ومات في عهده خلافته الكثيرة من خيار الناس والعديد العديد من شرارهم . فمن خيار الامة الاعلام ذو النون المصري . وأبو ثور والامام احمد بن حنبل ودفن بباب حرب في الجانب الغربي بمدينة السلام . وعبد الملك بن حبيب امام المالكية . وسخنون صاحب التأليف . واسحق بن راهويه . ومن أصحاب الفتن ابن دؤاد صاحب فتنة القول بخلق القرآن . وأبو بكر المذلى العلاف شيخ الاعتزال . و Jacqueline بن حرب من كبار المعتزلة فأزال الله بموتهم عن الامة ما كان محيطاً بها من الجبال وما اكتتبها من سوء الحال

وأخرج احمد بن حنبل قال : سهرت في ليلة ثم نفت فرأيت في نومي
كأن رجلاً يعرج به الى السماء وقائلاً يقول :

ملك يقاد الى مليك عادل متفضل بالغفو ليس بمحاجز

ثم أصبح الصباح جاء نبى المتكى من «سر من رأى» إلى بغداد
وكان له تعلق شديد بالفتح بن خاقان وزيره . ومن أغرب ما وقع ان
المتكى قال للبحترى «قل فيّ وفي الفتح شرعاً فاني أحبت أن يحيى ممى ولا
أفقده فيذهب عيشى» . فقال في هذا المعنى :

كيف أخلفت يا حبيبى وعدى	وشافت عن وفاء بعهدى
لأرثى الايام فقدك يا «فة»	«لاعْرَفْتَكَ مَا عاشْتَ فَقَدْتَكِ
اعظم الرزء أَنْ تَقْدِمْ قَبْلِي	وَمِنْ الرُّزْءِ أَنْ تَؤْخُرْ بَعْدِي
خذراً أَنْ تَكُونْ إِلَفًا لغیرى	إِذْ تَفَرَّدْتَ بِالْهُوَى فِيكَ وَحْدَى
فقتلا معاً	

وأغرب من ذلك ما حدث به البحترى قال : اجتمعنا ذات يوم في
مجلس المتكى فتقى كرنا السيف . فقال بعض من حضر : وقع لرجل من
أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير . فأمر المتكى بكتابه كتاب الى
عامل البصرة بشرأه مما بلغ . فتفقدت الكتب . قال البحترى وبينما نحن
عند المتكى في ليلة أخرى إذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه فسر المتكى
به وانتصاه واستحسنه وجعله تحت ثني فراشه فلما كان الغداة طلب من الفتح
ابن خاقان غلاماً يثق بتجده وشجاعته جاءه بياخر الترى فدفع اليه السيف
وزاد له الرزق ولم تمض الايام حتى قتل المتكى بذلك السيف من يد بياخر
المذكور قياماً بفرض المتصر

كان السبب في قتل المتكى ذلك الخطأ الشديد وسوء التصرف في أمر ولاده
العهد ولم يعتبر بما كان من أمر الرشيد في الامين والمأمون فبایع المتكى بولاده
العهد لابنه المتصر ثم المعز ثم المؤيد وولى كل واحد منهم قسماً من المملكة

ثُم بِدَالَهُ أَنْ يَقْدِمَ الْمُعْتَزِ لِحْبَتِهِ لِأَمَّهُ فَسَأَلَ الْمُتَصَرِّ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ وَلَايَةِ
الْعَهْدِ فَأَبَى فَكَانَ يَخْضُرُهُ مَجْلِسُ الْعَامِ وَيَحْطُطُ مِنْ مَنْزِلَتِهِ وَيَهْدِهُ وَيَشْتَمِهُ
وَيَوْعَدُهُ . فَمَا زَالَ الْمُتَصَرِّ يَرْتَقِبُ الْفَرَصَ حَتَّى تَحْقِيقُ أَنَّ الْجَيْشَ التُّرْكِيَّ الذِّي
اَتَّخَذَهُ الْمُتَوَكِّلُ اَنْحَرَفَ عَنْهُ لِأَمْوَارٍ فَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى قَتْلِ أَبِيهِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ خَمْسَةً
وَهُوَ فِي جَوْفِ الْلَّيْلِ فِي مَجَلِسِ أُنْسَهِ وَقَتَلُوهُ هُوَ وَوَزِيرُهُ الْفَتَحُ بْنُ خَاقَانَ وَذَلِكَ
فِي خَامِسِ شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعِ وَأَرْبَعِينَ وَمَائَيْنِ
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ مِنْ قَصِيلَةِ لُهْ
أَكَانَ وَلِيَ الْمَهْدِ أَضْمَرَ شَدَرَهُ فَنَعْجَبُ أَنْ وَلِيَ الْمَهْدِ غَادَرَهُ
فَلَامَكَ الْبَاقِيَ تِرَاثَ الذِّي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَلِكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرَهُ
أَلَا إِنَّمَا الْمَاطِمَنُ لِلْدِينِيَا مَغْرُورٌ وَالسَاكِنُ لِلْدَّهْرِ جَاهِلٌ فَهِيَ دَارُ لَا يَدُومُ
نَعِيمُهَا وَلَا يَتِمُ سُرُورُهَا وَلَا يَؤْمِنُ مَحْذُورُهَا . قَرَنَتِ السَّرَّاءُ بِالضَّرَاءِ وَالشَّدَّةِ
بِالرَّخَاءِ وَالنَّعِيمِ بِالبلَوِيِّ وَجَعَلَتْ خَاتَمَةَ كُلِّ نَعِيمٍ فِيهَا زَوَالَهُ . عَنِيزٌ هَادِلٌ وَقَوِيهَا
مَهِينٌ وَغَنِيَّهَا محْرُوبٌ وَعَظِيمَهَا مَسْلُوبٌ وَلَيْسَ أَبْقَى عَلَى صَفَحَاتِ أَيَّامِهَا مِنْ
عَمَلٍ مَقْصُودٍ بِهِ الْخَيْرُ وَالْبَرُّ وَالْإِحْسَانُ فَهِيَ الَّتِي تَعْجَزُ عَنْ أَنْ تَأْكِلَهُ بَأْنِيَابِ
فَنَلَهَا وَلَا يَرَالَ يَذْكُرُ بِهِ فَاعْلَمُ وَهُوَ عَلَى جَمِدةٍ لَا يَبْلِي . فَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى
يُوفِقُنَا لِلْعَمَلِ النَّافِعِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا تَبْلِيهِ الْأَيَّامُ وَلَا تَفْنِيهِ الْأَعْوَامُ آمِينٌ

نَبْذَةٌ تَارِيخِيَّةٌ

قد أتينا فيما سبق من رسائل (جماه الاسلام) بما شاء الله ان نكتب
من تراجم خلفاء الدولة العباسية واتصل بنا الكلام لحد ترجمة (الخليفة المتوكل)
نخافنا بذلك أكثر فلاسفة المؤرخين لا اعتبارهم تلاشى واضمحلال الدولة
العباسية من قبل ذلك أي (بنخلافة المتصنم) لانه انحرف عما يوجبه عليه
حق الجماعة بفعل كبار قواده وعمال جيابته وحاشية خلافته وجنديته من
غير الاب الخالص من صميم الغندر العربي

ولكن لما كان من العدل اظهار الفضل وكان (المتوكل) رحمة الله
حسنات كثيرة من اجلها وقوفه امام فتنه القول بخلق القرآن التي هدلت
الخلافة العباسية وصرفتها عن كثير من وجوه الحير حتى ابطلها . ثم تصديه
للحجاء السنن الشريفة المعطلة واماته البدع السيئة المنتشرة حتى سمي «أبا بكر
الثاني» . ختمنا به ترجم تلك الخلافة ليكون خاتمة خير لها ولئك لا تغيب عن
الذكر أفعاله وفضائله هذه

اضمحللت الخلافة العباسية بالاسباب التي اضمحللت بها الخلافة الاموية
من جهة الخروج عن جادة العلم والعدل وزادت على ما عوارض أخرى أصابتها
متالية فكانت أشد بلاء من تلك الاسباب المتقدمة : منها كثرة المذاهب
واضطهاد الأئمة والفرق في الاعتقاد وظهور أصحاب الدعوات الباطنة
كالباطنية والفاتمية والشيعة والمعزلة والراوينية . وغيرهم . ومنها كثرة
وجود دخلاء الأعاجم الذين فعلوا في الدولة العباسية مالا يفهمه العدو الفاتك

بِهَدْوَهُ

الدخلاء في كل ملة ودولة موضع تنازع مستمر وظلم من الاحن حائلة
وكثيراً ما هدموا قصور السلاطين والامراء من كل أمة . وشر هذه الطبقة

(١) سمل العین فقوءٰ ها بِحَدِيدٍ مُّحَمَّةٌ

لا يقف عند حد . وأقرب مذكور منهم من استخدمتهم الدولة العلية « صانها الله » في خاصة خداماتها من الارمن والبلغاريين وغيرهم من أهل البوسنة والهرسك . ثم ما أحاط بالأمة المصرية حتى نزل بها في هاوية الملائكة كانت ولا تزال يد الأغراض من كل دولة تدير حرفة هؤلاء الأجانب من وراء الحجاب فيتحرّكون وفق ارادتهم (كاشباح اللاعب) فينشئون سجحًا من الأوهام والباطيل يقدّمون بها في عقول الخاصة فضلاً عن العامة حتى يتم لهم من الفتنة ما يريدون

وصلوا بسوء أفهامهم في الدولة العباسية إلى أن قتل الأخ أخاه ووقيت بين الناس حالة من الوحشة حتى خنوا بأنفسهم سوأ وخافوا كيد بعضهمبعضاً . وإنها لموعدة تبقى بقاء الدهر تزعم الغافل وترجع بلب الذاهل وتحمل المعبر بها من أهل السلطان على رعايتها ليستقيم إليه أمر الناس تخللت الخلافة العباسية شؤون وأمور ذات بالبعضها يذكر للبركة ونيل الأجر باداعة الفضل وبعضها يذكر حتى يتعظ به المهدى . ولا بد لنا من أن نأتي عليها قبل الانتقال إلى ذكر (جماعة الإسلام) في الدول الإسلامية الأخرى لأنها لهذه الخلافة تتبع منها ترجم الاربعة الأئمة رضوان الله عليهم وما خصهم من الفضل وابتلاهم به من المحن كأبي حنيفة ومالك بن أنس والشافعى وابن حنبل رضى الله عنهم لموافقتهم أزمانهم لصدر الخلافة العباسية ولاتهم زينة ترجم (جماعة الإسلام) إذهم بهجة مفاحر الأنام . ومنها ماحدث في مصر من التحالف مع سدة الخلافة العباسية في عهد العتصى وتزوعها للاستقلال جرياً وراء أغراض (أحمد بن طولون) والشقاء الذي نجم عنه في الدولة العباسية والويل الذي جر هذا العمل على أهل مصر لاتباعهم هواء

وسيرهم على وفق خطرات افكاره بالاتر و لا تفكير حتى انجلی الامر بصرف
وجوه المصريين عن باب الخلافة وأصبحوا ملعنة دولۃ الاخشیدية وخلافة
الفاطميين التي سنت لهم سنتاً تعددت ضروب الحال . ومنها دخول القائد
جوهر بجيش المعز لدين الله مصر والاسباب التي تقدمت هذا الفتح و سنته
والاحوال التي استكشفها المعز لدين الله في الامة المصرية قبل أن يدخلها
قلده بجيشه فاتحا بما في ذلك كله من مواعظه لمعظم وعبرة لعتبر وزجر لمزيد جر
ثم نأخذ بعد ذلك في سرد تراجم ساداتنا خلفاء الخلافة الاموية في الاندلس
التي ابتدأت بخليفة عبد الرحمن حفيد هشام الاموي فجمعت أشتات الفضائل
ورفت للعلوم والفنون اعظم منار وكانت زينة الاسلام ونفره وعزه وشرفه
والله الموفق

أبو حنيفة النعيم رضي الله عنه

هو أبو حنيفة النعيم بن ثابت الكوفي . اختلفوا في تاريخ ميلاده اختلافاً كثيراً بين سنة أحادي وستين وسنة ثمانين
هو أول من حفظ الشريعة بالتألقين وكان على يده انتشار السنة و تمام
حاجة العالم الانساني بها . وهو المفزع لكل ملحوظ . والغياث لكل مهوم .
والنار الذي به يهتدى المترى . ويسلك الناس على نوره وضيق الطريق
هو أحد أركان العلماء وأحد الأئمة الأربع أصحاب المذاهب المتبعة .
أدرك عصر الصحابة . ورأى أنس بن مالك . وأطبق العلماء على علمه ودينه
وورعه وزهره . ووفقاً لله تعالى حتى اجتمع ما يقرب من شطر الاسلام على
تقريره والأخذ بقوله . عصمه الله عن القول بخلق القرآن والقول بالقدر
والقول بالرجاء مع ان هذه الاقوال وغيرها كانت من مقتضى السير الطبيعي
لازمن الذي كان فيه وكانت سبب المودة والقربى للخلفاء والامراء . ولكن
أبي الله ان تسطو على روحانيته نفس الإنسانية

كان حسن الوجه . ربعة . ذاتها منه عظيمة . من أحسن الناس منطقاً .
وأحلالم نعمه . وأنبهم حالة . حسن الهيئة . جميل الثياب والبزة . كثير
العطريعرف بطيب الريح قبل أن يقبل . شديد الكرم . حسن المجلس . كثير
المواساة لا خوانه . وصفه صاحبه أبو يوسف للرشيد إذ سأله عنه فقال :
« قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وهو عند لسان كل
قاتل . كان والله أبو حنيفة شديد الذب عن محارم الله مجانباً أهل الدنيا في
دنياه طويل الصمت دائم الفكر لم يكن مهداراً ولا ثرثراً . ان سئل عن مسئلة

وكان عنده علم فيها أجاب على ماسمع وبما بات عنده . ماعلمت يا أمير المؤمنين
رجالاً كثراً منه اشتغالاً بدنيه عن نفسه وعن الناس لا يذكى أحداً إلا بخبير
فقال هرون : « هذه أخلاق الصالحين » . وقال الشافعى رضى الله عنه :
« ما قام النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة » . وقال جعفر بن الربيع
« أقت عندي أبي حنيفة خمس سنين فـا رأيت أطول صمتاً منه اذا ترك ولا
أشد ميلانا منه اذا سئل »

كان لا يفتر لسانه في خلوته عن تلاوة القرآن وربما أتم في بياض نهاره
ختمه وفي سواد ليلته أخرى وكثيراً ما صلى الفجر والعشاء بوضوء واحد
ولم يسمع حالفاً في عرض حديثه

يروى عنه انه لما أراد طلب العلم جعل يختبر ويسأل عن عواقب العلوم
ونتائجها فلم يجد علماً يسأل فيه صاحبه ويقى الناس بما يغتربون به غير الفقه فلزمته
وتركت علم الكلام الذي كان مشغلاً بي . وأتى أبا اسماعيل حماد بن أبي سليمان
وهو شيخ وقرر حليماً لم ير أفقه منه في زمانه وله مناقب كثيرة فلازمه ووجد
عنه علقة والسود وهو أخذاه عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب
وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فلما مات ابراهيم النخعى رضى الله عنه
وكان مفتى الكوفة جاس أبو حنيفة رضى الله عنه للافتاء بعده باجماع من
جماعة المسلمين والتابعين واختلفوا عليه الناس وكان كثيرون اختلافاً إليه

عشرة سنين

صاحبہ ابا یوسف و لم یزد كذلك حتی استحقکم أمرہ و احتاج اليه الامراء
و ذکرہ الخلفاء . جلس للافقاء لینتفع به الناس و یسهل عليهم معرفة حدود
الله سبحانہ و تعالی ویردم الى اوصارہ ویحظر عليهم الحرمات
و ذکر فی مسنده ما یقرب من مائی شیخ اخذ عنہم العلم و روی عنہم
الحادیث و فیهم من التابعین حتی ان بعضهم رتب اسماءهم علی حروف الهجاء
فلم یخل حرف واحد منها

حدث أبو الحسن بن على الخطيب عن على بن بدر القاضی قال حدثنا
هلال بن بدر أبي العلاء عن أبيه عن أبي حنيفة قال لقيت سبعا من الصحابة
وسمعت من كل واحد منهم خبراً
كان غایة فی القراءة والقطنة حتی کاد أن یدرك بها المغیب و نوادره فی
ذلك کثيرة جدا

وهو أول من اخترع معرفة عد اللابن والآجر بالتصصیب . فعل ذلك فی
عد آجر سور بغداد لما کلفه المنصور بذلك
ومن مکارم أخلاقه انه کان له جار یعمل نهاره أجمع فإذا جن اللیل
رجع إلى منزله وقد حمل حما فطبوخه أو سمه فشوها ثم لا یزال یشرب
ویغرد بصوته

أضاعونی وأی فتی أضاعوا لیوم کریمہ وسداد ثغر
حتی یأخذہ النوم وابو حنيفة یسمع کل يوم جلبتہ . ثم فقدمه لیلة وعلم أن
المسن أخذہ فركب واستأذن على الامیر وسأله تخییته فقال له الامیر : وكل
من أخذ في تلك اللیلة . فلما خرج الفتی قال له أبو حنيفة رضی الله عنہ (أضعنک ؟)
وتناوله ما یستعين به على نقصان دخله فی أيام حبسه فکشف الله بهذا الفعل

الفمة عن عقل الفتى حتى تاب واختلف الى أبي حنيفة حتى تفقه
كان مع اشتغاله بالفقه يبعث بالبضائع الى بغداد للتجارة ويجرها مجرى
الفضل على اخوانه فيشتري ما يحتاجه شيخوخه من المحدثين والفقهاء ويعطيهم لهم
محتسبا ربجه من أيامها ويقول هذا رزقكم أجراء الله على يدي . مثل ذلك ان
فقيها احتاج مررة لثوب خز فقال : مالونه ؟ قال كذا . فقال اصبر . ثم استدعاه
بعد أيام وقال هذه حاجتك وثمانية درهم . فقال له الفقيه : هزا أبي . قال لا
والله . اشتريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم بعت أحدهما بعشرين ديناراً
وبقي هذا بدرهم وما كنت لاربح على صديق . فأخذه وشكراه
لقد دفع أبو حنيفة رضي الله عنه مقامات من الحكم لتنافس عليها الناس
وتتصنف لها فامتنع عنها طلبا للسلامة في دينه . ومنح العطايا فلم يقبلها ومنعه
عفاف النفس وطهارة الذيل

أراد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراق أن يدخله فى (الطراز)
أى صدقات بيت المال فأبى . وطلب منه أبو جعفر أن يلى قضاء الكوفة فلم
يقبل فضربه بالسياط وسجنه وقيمه باشقل الحديد فلم يقبل وجاءه أمه وقالت
له يانمان ان عمك ماأفادك غير الضرب والحبس لتحقق بك أن تسر عنك .
فقال ياماه لو أردت الدنيا ماضررت ولكن أردت وجه الله تعالى وصيانته
العلم ولم أعرضه للهملة

صدق القائل : « الرجال سواء حتى تقع الحن » . تحتاج الوقفة الى
وقفها أبو حنيفة رضي الله عنه أمام أبي جعفر لعقل كبير يرشده وعزيم شديد
يؤيده وهداية عظيمة تتبهه . حلف عليه أن يلى القضاء خلف أبو حنيفة أن
لا يفعل . فكرر الخليفة المين فتناها أبو حنيفة . فقال له الريبع أمير المؤمنين

يختلف وأنت تحلف . فقال ان أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة ايمانه . فامر بحبسه ومازال فيه حتى مات سنة خمسين وماة وعمره سبعون سنة . وقيل انه توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعى رضى الله عنه . وتولى غسله الحسن بن عمارة فلما غسله قال رحمتك الله يامن لم تفتر ولم تتوسد عينيك بالليل منذ ثلاثين سنة والله لقد أتعبت من بعدك

كثرت الاقوال في كيفية حبسه وتعذيبه حتى قيل انه كان يخرج في كل يوم ويضرب فلما تاب عليه الضرب صرخ ومات . وقيل انهم ضيقوا عليه الامر حتى في طعامه وشرابه . ومهما يكن في هذه الاخبار من المبالغة فان الحبس متفق عليه لتواء خبره وكفى به عذابا لمثل هذا الامام العظيم «أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالأمثل»

هذا الشعور الذي يهيء النفوس لارتفاع درجات الكمال والوصول لاطراف المراتب والغايات فقده كثير من علماء الاسلام فأصبحوا يشترون رضاة الناس بغضب الله تعالى حتى أدى ذلك لاسكتوت عن النهي وأوجب هذا حدوث البدع والفووضى الدينية وانصرف كل واحد من الناس الى هواه فانحطت رتبة العلم

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظموا نعم لو حذروا الناس عن جلاله وشرحوا للعقل ما خفي من شؤونه وبينوا مداخل السعادة الدنيوية والاخروية فيه وجاؤ للناس معبرين بما تتحمله طاقة العقول ولا يبعد عن متناول الافهام لقومت نفوس وكبحت شهوات . ولكن هذا مأراده الله ولا حول ولا قوة الا به هذه بعض كلمات من ترجمة هذا الامام وما كان لنا ولا غيرنا انت

نخصها ونذهبها في مثل هذا القليل ولكن هذه القطرة تدل على مكان ذلك
البحر . والغرض التسوف لمثل هذا الكمال ونهوض الهم لقطع سلاسل التقليد
واصلاح النقوص التي غفلت ولمحت عن أصول مكارمها التي كان ينبغي أن
تفاخر بها الاجيال وتسمو بها فوق كل كمال



القاضي أبو يوسف رضي الله عنه

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن جبطة الانصارى أحد الصحابة رضى الله عنهم . ولد في سنة ثلاثة عشر و مائة و كان جده من ابلى الابلاء الحسن في الواقع النبوية و مشهد الخندق فرآه النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل قتالا شديداً على حداثة سنه فسح بيده الشريفة على رأسه ففقيت في الدرارى بركتها

مات أبوه وهو صغير فقير لم يكن له ما يطعمه الخبز ويستقيه الماء فأسلمته أمه إلى قصار فكان يفر منه ويمر على حلقة درس أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه فلما طال ذلك عليها جاءت إلى الإمام وقالت له إن ولدي هذا صبي يسمى فقير وقد أفسدته على فقال لها «دعيه فسيأ كل الفالوذج في طباق الفيروزج» وناولها مائة درهم وقال إذا فرغت فاعلميني وكان يتعاهدها بعد ذلك كأنما يخبر بنفذ ما عندها. ولم يزل أبو يوسف حتى صار رئيس الحلقة وانتهت إليه الرئاسة الدينية والدينوية والأمامية في الفقه والحديث وحفظ التفاسير والسير وأيام العرب

كانت تهمز بابي يوسف نفسه الى رقٍّ وكمال وسعادة حال وتسمى به
الى مقام رشد بلغه طريق المهدى الالهى الداخلى تحت قوله تعالى (انا هدیناه
السبیل) فقدر بهذا السلوك على تزییق الحجب وأصبحت روحانیته تتلذذ
بالحادیث ونفسه البارة تتنقل في دیاض المعرفة كانوا ذلك من برکة تلك
المسیحية

نَذْ كُرْهَ بَعْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا نَهُ فِي مَقَامِ حَسْنِ الْخَتَمِ لِبَرَاعَةٍ

اسهال لترجمة الامام . اذ المذهب الحنفي أخذ عن أبي حنيفة بالتلقيين وحفظ
عن أبي يوسف بالتدوين . وكمالاً الامام به الصدور حلّ به القاضي السطور
ففقله من ضيق النسوس الى سعة الطروس فهو اكيل التاج ومفتاح ذلك
الرثاج الذي كمل نمو نبات المعلم بتهده وتكامل علو بنائه الشانع على يده .
 فهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه وأملي المسائل ودونها وبث علم
أبي حنيفة رضي الله عنه في أقطار الارض ولم يكن في زمانه بين أصحابه ثقة
أحفظ لسنة النبي وأوعى لكتاب الله منه

تولى القضاة ببغداد ثلاثة من الخلفاء . المهدى . والهادى . والرشيد
على كراهة منه لرق مقام القضاة . وكان يقول ليتقى لم أدخل في القضيه على
ان زين دست القضاة كان محبوباً خلفاء وقته وزمانه . وكان عند الرشيد حظياً
مكيناً . وهو أول من دعى قاضي القضاة لأن الخليفة كان يستعينه في سائر
الاقليم التي كان يحكم عليها . وهو أول من غير لباس العلماء بهذه الاذى . وما كان
ل احد أن يطمع في رئاسة بلدة فيها أبو يوسف

جمع شروط القضاة وأدابه وأحكامه . من صدق اللهجة وعفاف الطعمة
وحسن الصمت وكثرة الوقار وعظم الاناء وعزنة النفس وكرامة الخلق وقلة
الخرج ولطف الطبع ورقه الحجاب وسعة الصدر والصلاح في الحق والتواضع
للله والثقة في ذاته والإشار في إقامة الحدود والمساواة بين الخصوم والثبت
في سماع الحجية فلم يتمدد جوراً . ولم يحاب خصماً وكل أحكامه كانت بما يوافق
الكتاب والسنة

كان سريعاً الجواب (ونم السلاح الناصر الجواب الحاضر) . حج مع
الرشيد معادلاً له فلما دخل مكة صلّى « هرون » بالناس الظهر ركعتين فلما سلم

قام أبو يوسف وقال يا أهل مكة (أتموا صلاتكم فانا قوم سفر) فقال رجل من
فقهاء مكة نحن أفقه من أن نعلم فقال له أبو يوسف (لو كنت فقيهاً ما تكلمت
في صلاتك) فطرب لها «هرون» والحاضرون

ومن أغرب ما سمع عن محفوظه وسعة اطلاعه انه لم يجر على لسانه في
حديثه مع الرشيد أثناء مصاحبة في سفره هذا شيئاً معاداً فلم يكرر له خبراً
ذكره ولم يعد له حكاية رواها ولا وصل الى مكان الا وأخبر الرشيد باسمه
ونعمته له واستشهد عليه بشئ ان كان ثم ذلك . وناهيك بأمام تخرج على أبي
حنيفة رضي الله عنه وسمع من أبي اسحاق الشيباني . ويحيى بن سعيد الانصاري
وتلك الطبيعة . وكان أفقه أهل عصره لم يتقدمه في زمانه أحد يحفظ من
المنسوخ عشرين ألفاً فما ظنك بالناسخ

« كل ذي نعمة محسود » وما أدرك بنعمه اشتغلت على الرئاسة والجلالة
والقدرة والسرعة في سطوة الدين والدنيا والارتفاع على دست القضاء ومقام
الفتوى الممثل كل منها الامانة والديانة والفضيلة والداعى للقرب من مقام
الخلافة ونفوذ الكلمة وشدة السطوة

أراد الاعداء الحط من هذا المقام العالى فا وجدوا اليه سبيلاً جفاوا
بعض أبواب وصاغوا منها مسائل مجهولة في الفقه والفتوى خرجوها على
غير وجهها وتوسعوا فيها بأكثر من حدودها واقتربوها عليه وتصدعوا في
روايتها عنه كأنهم يستدللون بها على سعة علمه وسمو قوته وقدرته وكأنهم من
أشد المطرين له المعجبين برأيه فيها وهو في الحقيقة من ألد أعدائه الذين يسرورون
له العداوة والبغضاء . نشروا ذلك بيد بعض المسلمين الذين تدخل عليهم الحيل
ولا تكشف لهم أوجه المسائل ثم عدوها عليه بعد انتشارها من أشد العيوب

وهو برىء منها فما أجره بقول العربي « زنوه وحده »
كأنما كان أبو يوسف (استغفر الله) آلة لتجويم اليمان بعد توكيدها
في كل شيء وكأنما كانت الخلقاء في وقته على غير رأى
ذكر والله أشياء كثيرة في مسائل طلاق وزواج وعتق وغيره (تجربناها)
وروروا عنه لطائف تخيّرنا منها بعض الشيء : فمن ذلك ما يحكى أن الرشيد خاصم
زبيدة في شيء فأغضبتها وأغضبتته خلف عليها بالطلاق إن لاتسيت ليتها في ولايته
ومملكته ثم ندم على ذلك لشدة حبه وفروط غرامه بما فسأله الفقهاء عن
وجه الحيلة فعجزوا ثم استدعي القاضي أبي يوسف وسألة هل من حيلة قال نعم
قال وما هي قال قيل لها يا أمير المؤمنين تبكيت في المسجد لأن لا ولية لك عليه
فإن الله تعالى يقول (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) فسر الرشيد
 بذلك كثيرا

ومما يذكر في معرض لطائفه أيضاً أن الرشيد رأى في ليلة من الليالي
خنفساء تدب على بساطه فأمر بتعذيب الخادم فقال له أبو يوسف يا أمير المؤمنين
أن الحيوان بحملته ي ألف الأضواء والخادم قد تعمد البساط ونحاها عنه ولكنها
كلما نحيت تعود فأمر الرشيد أن تحمل وتحني بعيداً ففعل فعادت ثم أمر أن
تحمل وتبعد أكثر من الأول ففعل فعادت فعفا الرشيد عن الخادم بفضل
القاضي

ومن لطائفه أنه كان يحادث من مختلفون إليه في حلقة درسه جلس
إليه مرة رجل وأطال الصمت فقال له ألا تتكلّم ؟ فقال له : متى يفطر الصائم ؟
فقال إذا غابت الشمس . قال فان لم تغب إلى نصف الليل ؟ فضحك أبو يوسف
وقال قد أصبت في صمتك وأخطئنا في استدعاء نطقك

فِي الصَّمْتِ سُرَّ لِلْغَبَىْ وَإِنَّا صَحِيفَةً لِبِ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّما
تَوَفَ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَتِسْعَانِينَ وَمَا تُهُ (فَزِيِّ الْاسْلَامِ بِعِصْمِهِ بِعِصْمِهِ بِعِصْمِهِ)
وَمَشَى الرَّشِيدُ فِي جَنَازَتِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ فِي مَقْبَرَةِ أَهْلِهِ فِي مَقَابِرِ قَرْيَشِ
بَكَرَخَ بِغَدَادِ بِقَرْبِ زَيْدَةِ وَمُحَمَّدِ الْأَمِينِ
وَقَدْ أَوْصَى قَبْلَ مَوْتِهِ بِكَثِيرٍ مِنْ مَا لَهُ لَا هُلْمَ بِكَهُ . وَالْمَدِينَةُ . وَالْكُوفَةُ .
وَبَغَدَادُ وَاسْتَمْرَتْ مَوَارِدُ خَيْرَاتِهِ وَمَا تَرَهُ جَارِيَةً مَا شَاءَ اللَّهُ أَعْوَامًا وَقَرُونًا
وَمَمَا يَحْسَنُ إِيْرَادَهُ زِيَادَةً فِي شَرْفِ الْأَمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ التَّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ
الْرَّشِيدُ دَعَا أَبَا يُوسُفَ لِيَلَةَ مِنَ الْلَّيَالِي لِيُسَأَّلُ فِي شَيْءٍ دَقَّ عَلَى فَهْمِهِ دَرَكَهُ فَأَجَابَهُ
فِيهِ أَحْسَنُ جَوَابٍ وَلَشَدَّدَ سَرُورُ الرَّشِيدِ بِذَلِكَ نَوَّلَهُ قَطْعَةً مِنَ الْفَالُوذْجِ كَانَتْ
فِي صَحْنِ مَنْ قَبْرِهِ زَوْجُ مَنْ خَاصَّةً مِنْ أَهْلِهِ فَبَكَى أَبُو يُوسُفَ وَاتَّحَبَ فَلَمَّا
أَفَاقَ سَأَلَهُ الرَّشِيدُ . فَأَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ
عَنْهُ لَأْمَ أَبِي يُوسُفَ حِينَ كَانَ ثَمَاهُ عَنِ الْحَضُورِ فِي خَلْقَتِهِ وَقَوْلَهُ لَهَا (سِيَّا كُلُّ
الْفَالُوذْجِ فِي طَبَاقِ الْفَيْرُوزِ) فَبَكَى الرَّشِيدُ
يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ عَنِ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَفَظَ عِلْمَ الْفَقَهِ عَنِ أَبِي حَنِيفَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَوَاهُ فَأَدَى الْأَمَانَةَ حَقَّهَا وَالسَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي اخْتِيَارِ
الْعِلْمِ الْمُؤْدِي لِلْخَيْرِ الْأَبْدِيِّ وَالْحَيَاةِ الْطَّيِّبَةِ "الْمَرْضِيَّةِ" وَهُوَ عِلْمُ الدِّينِ الْمُرْتَبَطُ
بِهِ كُلُّ عِلْمٍ

يَبْغِي أَنْ تَكُونَ سِيرَتُهُ هَذِهِ مَثَلًا يَحْتَذِيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ يَتَلَقَّوْنَهُ مِنْ أَسَاطِيرِهِمْ
بِالْكَرَامَةِ وَيُؤَدِّونَهُ عَنْهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَيُؤْرُونَ لَذَّةَ الْمَحْمَدَةِ بِهِ وَالشَّاءُ عَلَيْهِمْ بِسَبِيلِهِ
عَنِ كُلِّ لَذَّةٍ فَهَنَالِكَ تَجْتَمِعُ لَهُمُ الْمَهْدَىَةُ مَعَ الْعِلْمِ وَتَصْحُّ النِّيَةُ فَتَقْنَامُ الْفَرَائِضُ
وَتَحْيِيُّ الْسَّنَةُ وَيَنْصُرُفُ النَّاسُ مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ

ومن الفش الى النصيحة ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع
مثل هذه الاخلاق الشريفة لا يضيع صاحبها ولا يفتقر كاسبها ولا يخيب
طالبها ولا تختلط من اتها ويصبح المتحلى بها اعز له العلم المنصوب على الطريق
المسلوك يهدي الناس الى سواء السبيل
أني لانا باصحاب هذه الاخلاق حتى يذهب عننا بيركتها هذا الطيش
والاهم والاغفال واللجاج في مالا فائدة فيه والعناد في كل شيء
أى حرية ومدنية تلتمس بأجل وأعظم من الحرية والمدنية الحقة التي
تضمنها أدب الدين الذي دعا الناس لعرفان أنفسهم وأنهم مميزون بالعقل والفكر
ومشرفون بحرية الارادة في ما يرشد ان اليه

حجبت العقول بغيره النظر الى هذا الظاهر فاللهم خلصنا من كل
تقليد استعبدنا واقتراب قيدنا وافتح لنا أبواب فضلك التي لم تغلق دون
طالب ولا ضاقت أبوابها على راغب واكشف عن عقولنا غمة الوهم وأنعم على
أفكارنا بنعمة الفهم وعرفنا مقادير النعمة التي نحن فيها حتى تعلق بها ونقوم
بالشكر عليها

— سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه —

هو الإمام مالك ابن أنس رضي الله عنه امام دار المجرة في زمانه وفقيرها وأحد أئمة الاربعة الاعلام . اختلهـ وافـ مولدهـ بين سنـي ثلاـث . وأربعـ . وخمسـ وتسـعين من المـحـرـة . وهو من الطـبـقة السـادـسـة من أـهـلـ المـدـيـنـةـ كان أـشـفـرـ شـدـيدـ الـبـياـضـ . ربـعـةـ من الـرـجـالـ كـبـيرـ الرـأـسـ أـصـلـعـ . وـكـانـ لاـ يـخـضـبـ شـيـيـهـ لـمـاـ صـحـ عـنـهـ مـنـ اـنـ عـلـيـاـ كـانـ لاـ يـخـضـبـ . حـسـنـ الـهـيـةـ وـالـبـزـةـ يـكـرـهـ الشـيـابـ الـحـلـقـةـ وـيـعـذـلـ كـلـاـكـ مـثـلـهـ . وـكـانـ نـقـشـ خـاتـمـهـ « حـسـبـنـاـ اللـهـ وـنـعـمـ الـوـكـيلـ » فـسـئـلـ فـذـلـكـ فـقـالـ سـمـعـتـ اللـهـ تـعـالـىـ يـقـولـ عـقـيـبـ هـذـهـ الـآـيـةـ « فـاقـلـوـ بـاـنـعـمـةـ مـنـ اللـهـ وـفـضـلـ » . وـكـانـ مـجـلـسـ مـجـلـسـ وـقـارـوـنـ حـوـطـ فـيـهـ مـسـتـفـهـمـ عـنـ الشـيـءـ هـيـةـ شـدـيدـةـ كـانـ لـاـ يـحـدـثـ إـلـاـ وـهـ مـتـوـضـيـ وـلـاـ يـرـكـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ مـعـ ضـعـفـهـ وـكـبرـ سـنـهـ اـحـتـراـمـاـ لـبـلـدـ فـيـهـ جـيـةـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . وـكـانـ لـاـ يـقـطـعـ عـنـ الـمـسـجـدـ وـتـشـيـعـ الـجـنـازـ وـعـيـادـةـ الـمـرـضـ وـقـضـاءـ الـحـقـوقـ . فـلـاـ كـبـرـ اـنـقـطـعـ عـنـ ذـاكـ كـلـهـ وـاحـتـمـلـ لـهـ النـاسـ ذـاكـ

كان كامل النفس لا يزداد مع الخلفاء عن الادب الذي يوجبه عليه الدين قدم المهدى المدينة فبعث اليه بالف دينار فقبلها ثم وجه اليه الريع يطلب منه ملازمته الى مدينة السلام فقال له قل لا امير المؤمنين المال عندى على حاله . وكان يدخل على أبي جعفر . وكانت وجوه بنى هاشم قبل يده ورزقه الله العافية من ذلك

وكان شديد الحرص أمينا على العلم . قال جرير ان ابا جعفر المنصور عزم على ان يحمل الناس على « موظاه » فقال له لا تفعل يا امير المؤمنين

فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل
قوم بما سبق لهم وعملوا به ودانوا وقد أصبح ردهم عما اعتقاده شديداً.
فدع الناس وما هم عليه

(لو أن فقيها من فقهاء هذه الأزمنة أقبل عليه أحد اعون أولى الاصر
وأشار عليه بحمل الناس على ماقاله بعد ذلك خرفاً وعنراً وسطاً على عموم الناس
بهذا القول . وذلك لأنه يرى مصلحة نفسه لامصالحة الدين ويقدم مصلحته
على جميع أنواع المنافع)

روي عن غير واحد من التابعين وأخذ القراءة عرضًا عن نافع وهو
أثبت أصحابه . وروي عنه وحدث خلق كثير من الأئمة منهم سفيان الثوري .
وسفيان بن عيينة . وعبد الله بن المبارك . والأوزاعي . وابن مهدي . وابن
جرير . والليث بن سعد . والشافعي . والزهرى . وبيبي بن سعيد الانصارى
وغيرهم . وكان يقول : « العلم دين فانظروا عن من تأخذون دينكم » وكان
يقول لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يتجاوز الحمد . وصاحب هوى يدعوه إلى
بدعته . وكذاب هون عليه تبديل حديث الناس . وشيخ لا يعرف ما يحمل
وكان يقول : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون ولو هونى لاذتنيت . ومن قوله :
ليس العلم بكثرة الرواية ولكن نور يضنه الله تعالى في القلب

قال يحيى بن معين : كان مالك من حجاج الله تعالى على خلقه اماماً لا يبلغ
الحديث الا صحيحاً ولا يحدث الا عن ثقة الناس . وعن الشافعي رضي الله
عنـه « اذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يديك ». ولا غرابة في ذلك فقد
قال عبد الله بن وهب « لو لا اني ادركت مالكا والليث بن سعد لضلت »
وهو أحد الأئمة الاربعة في الامصار الاربعة : سفيان الثوري بالكونفه ،

ومالك بالحجاج . والوزاعي بالشام . وحماد بن زيد بالبصرة
ومن فضائله مارواه الترمذى من حديث سفيان بن عيينة عن جرير عن
أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنهما : « يوشك أن تضرب
الناس أكباد الأباء فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة »
كان شديد الــكراءــة لــلــغــيــةــ . ومن قوله فيها : « كان عندنا بالمدينة قوم
لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس فصارت لهم عيوب وكان عندنا قوم
لهم عيوب فسكنوا عن عيوب الناس فــســيــتــ عــيــوــبــهــمــ »
 جاء مستقبل الزمان مصدقاً لما في الصحيح النبوى الذى لا ينطق عن
الموى فكان سيدنا الإمام مالك رضى الله عنه امام زمانه
ارتقت أمانة العلم عنده لدرجة لا تقوى عليها نفوس الكافة فنزل منزلة
يخرج عنها حتى خرج من الدنيا . جاءه رجل يستفتيه في مسألة فقال له « لا أحسنها »
قال له « قد ضربت اليك من كذا وكذا أسلاك عن هذا وقولى لا أحسنها .
ماذا أقول لأهلى . قال له قل لهم « سأــلــتــ مــالــكــاــ فــقــالــ لــ لاــ أــحــســنــهاــ »
امتحنه الله سبحانه وتعالى على مقدار مبلغ استطاعته ومكانته وأمانته
فاستدعاه الخليفة واستفتاه في أمر فافتاه بما لم يوافق هو وغضبه فأصر
بصريه فضرب بمدفنه حتى خلع كتفه
مازال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر مالك رضى الله عنه بعد ذلك
الضرب حتى أصبح في رفعة لا يسمى عليها مقام . وتجلى عليه مولاه عزه
العزه حتى كأن تلك السياط حلها تحلى بها وأفضلية سمي قدره بها
توفى رضى الله عنه في المدينة في شهر ربيع سنة تسع وسبعين ومائة
ووُدُّن بالقيع وكان وليها من قبل الرشيد عبد الله بن زينب

ان الناظر في امر الدين الاسلامي بعيون الحقيقة يجد انه كلما اتسع
صاحبـه في وسائلـه وتفرغ لحكمـه وسبر حـقائقـه اتسـع في حريةـ الفـكر وأصبحـ
متدرعاـ بـدرـعـ الصـدقـ والـوـفـاءـ والـاـمـانـةـ وـقـبـضـ عـلـىـ زـمـامـ الـمـلـكـاتـ الفـاضـلـةـ
وـأـصـبـحـ وـلـيـسـ لـهـ إـلاـ اـحـتـرـامـ الـحـقـوقـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ أـنـوـاعـهـ وـلـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ
يـلـيـعـ مـنـهـ إـلاـ مـاـ يـحـلـ تـنـاوـلـهـ فـقـطـ .ـ وـلـوـ أـنـ جـمـيعـ أـهـلـ الـعـلـمـ حـاسـنـواـ بـعـضـهـ بـهـذـهـ
الـخـصـالـ وـنـافـسـوـاـ مـعـاصـرـهـ بـهـذـهـ الـكـمـالـاتـ وـجـذـبـوـاـ النـاسـ إـلـىـ مـذـاهـبـهـ
وـعـرـفـوـهـ شـرـفـ اـنـدـرـاجـهـ فـيـ هـذـاـ النـوـعـ وـكـشـفـوـاـ الـهـمـ عـنـ وـجوـهـ الـحـقـائـقـ
وـطـالـبـوـهـ باـصـلـاحـ سـرـهـ كـمـاـ طـالـبـوـهـ بـرـعـاـيـةـ أـجـسـادـهـ وـعـرـفـوـهـ طـهـارـةـ الـبـاطـنـ
كـافـرـضـوـاـ عـلـيـهـمـ نـظـافـةـ الـظـاهـرـ لـقـامـتـ كـلـةـ الـدـيـنـ خـيرـ قـيـامـ وـأـعـتـقـوـاـ عـبـيدـ الـغـایـاتـ
وـالـعـادـاتـ وـخـلـصـوـاـ أـسـرـاءـ التـقـلـيدـ وـأـصـبـحـ النـاسـ عـلـىـ نـورـمـ دـرـبـ عـظـيمـ

لـمـ يـخـالـفـ الـإـمـامـ فـيـ فـتـواـهـ مـقـامـ الـخـلـافـةـ إـلـاـ وـهـ مـتـحـقـقـ أـنـ هـذـاـ الـعـمـلـ
فـيـ رـضـاءـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ (ـوـأـنـ لـاـ طـاعـةـ لـخـلـوقـ فـيـ مـعـصـيـةـ الـخـالـقـ)ـ فـلـوـ أـنـ
كـلـ مـسـؤـلـ اـمـتـنـعـ وـلـمـ يـوـافـقـ السـائـلـ عـلـىـ هـوـاهـ لـرـجـعـ جـمـيعـ الـمـقـرـفـينـ لـهـذـاـ الـعـمـلـ
عـنـ عـلـمـهـ هـذـاـ .ـ وـلـكـنـ عـظـمـةـ الـسـلـطـانـ وـصـوـلـتـهـ اـنـسـتـ النـاسـ أـمـرـ دـيـنـهـمـ فـاصـبـحـوـاـ
يـخـالـفـونـ الشـرـائـعـ لـيـؤـلـفـوـاـ قـلـوبـهـمـ وـيـدـخـلـوـاـ السـرـورـ عـلـيـهـمـ بـتـحـسـيـنـ فـعـلـهـمـ فـجـرـ
هـذـاـ الـأـمـرـ إـلـىـ أـمـرـ فـظـيـعـةـ سـيـئـةـ حـتـىـ أـصـبـحـ الـدـيـنـ مـلـعـبـةـ عـنـدـ بـعـضـ الـمـلـوـكـ
وـأـهـانـوـاـ الشـرـائـعـ الـمـرـعـيـةـ وـالـفـضـائـلـ الـحـمـيـةـ وـهـذـاـ اـمـرـ قـدـعـلـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ
حـالـهـ وـقـدـرـواـ ضـرـرـهـ فـكـمـ جـلـبـتـ الـفـتاـوىـ مـنـ الـبـلـاـيـاـ وـالـرـزـاـيـاـ سـوـاءـ كـانـ فـيـ الـمـسـائـلـ
الـسـيـاسـيـةـ أـوـ الـمـدـنـيـةـ مـاـ لـاـ حـاجـةـ لـذـكـرـ تـقـصـيـلـهـ حـتـىـ أـنـ أـحـدـ سـلـاطـينـ آـلـ عـمـانـ
أـوـصـىـ بـدـفـنـ الـفـتاـوىـ إـلـىـ أـصـدـرـهـاـ الـعـلـاءـ وـقـتـهـ تـخـلـصـاـ مـنـ عـوـاقـبـ مـاـفـيهـاـ يـوـمـ
الـقـيـامـةـ يـوـمـ لـاـ تـقـنـىـ نـفـسـ عـنـ نـفـسـ شـيـئـاـ وـالـأـمـرـ يـوـمـ مـذـدـلـلـهـ

محمد بن ادريس الشافعی

هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد
ابن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي
ولد بالشام سنة خمسين ومائة ثم وصل الى مكة فسكنها وأخذ يتردد
بين الحجاز وال العراق ثم استوطن مصر واتخذها داراً لإقامة حتى توفي بها عند
بني الحكيم

روى عن الامام مالك بن انس ومسلم بن خالد الزنجي وابن عيينة
وابراهيم بن سعد وفضيل بن عياض وعن عميه محمد بن شافع وجماعة غيرهم.
وروى عنه ابن حنبل والجعدي وأبي الطاهر بن البوطي والمزنى ومحمد بن
عبد الحكيم وجماعة غيرهم

كان حافظاً. حفظ الموطأ في ليال وأخذ العربية من صميم العرب ولزم
هذيلاً وبقي فيهم مدة يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ثم رجع الى مكة وجمل
ينشد الاشعار ويذكر الآداب ويروى الاخبار و أيام العرب فربه رجل من
الزيديين فقال له «يا أبا عبد الله عزيز على» أن لا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء
فقه لتسود أهل زمانك به». فقال ومن بقي حتى يقصد فقال له : مالك سيد
المسلمين . فوقع في قلبه ذلك وعمد الى الموطأ لحفظه ورحل الى مالك فأخذ
عنه الفقه

كان مالك يثنى على فمه وحفظه ووصله بهدية لما رحل عنه وكان
الشافعى يقول : «مالك معلمى وأستاذى منه تعلمنا وما أخذ أمن على من
مالك وقد جعلت مالكا حجة بينى وبين الله سبحانه وتعالى »

ظهر مذهب رضي الله عنه في مصر وكثير مقلدوه فيها . ثم انتشر بالعراق وخراسان والداغستان وما وراء النهر والبلاد القاسية لا يعرفون حجة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى غير الشافعى . قاسموا الحنفية في الفتوى والتدریس في جميع المصادر وعظمت مجالس المذاهب بهم ثم أدى ذلك لظهور كتب الخلافيات ووصل الامر الى رجال من أصحاب المظاهر في المذهبين فكان ما كان من الحرب العوان التي قامت بين أهل المذهبين وعقلاء الأمة الإسلامية تناهى لآخر أمرها ولا تuan عليه ولا حول ولا قوة الا بالله

نزل الامام على بن عبد الحكم ببصر فأخذ عنه جماعة من بنى عبد الحكم وابن القاسم وابن الموز وغيرهم . ثم انفرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة (الفاطميين) وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشى من سواهم الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف ابن ايوب فرجع اليهم فقه الشافعى وأصحابه من أهل العراق والشام وعاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه واشتهر منهم محي الدين النووي وابن الرفة وتقى الدين بن دقيق العيد وتقى الدين بن السبكي والسراج البليقى أكبر علماء عصره وغيرهم من أجلة العلماء وأكابر الفضلاء

﴿ ذكر شأء العلماء عليه بسبقه في العلم والفضل ﴾

قال محمد بن عبد الحكم لزلمت الشافعى فما رأيت أبصر منه بأصول العلم والفقه . كان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان فصيح وعقل رصين صحيح

قال ابن عيلية انه كان افضل فتيان زمانه وكان اذا جاء ابن عينته امر من

التفسير والفتيا قال : سلوا عنه هذا أئي الشافعى . وكان يقول له مسلم بن خالد الزنجي شيخه وهو شاب في مقتبل عمره : قد آن لك أن تفتى يا بابا عبد الله . وقال يحيى بن سعيد القطان أني لا أدع في صلاتي للشافعى لما أظهر من القول بما صرخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أحمد بن حنبل ما أخذ يحمل محبرة من أصحاب الحديث إلا وللشافعى عليه منه . وقال ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته وكان أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس وليس منه عوض .

وقال ابن معين لصالح بن أحمد بن حنبل : ما يسمى تحى أبوك يمشى وقد أخذ بر كتاب الشافعى . قال صالح : فقلت ذلك لا بي فقال : قل له ان أردت ان تتفقه نفذ بر كابه الآخر

كان حجة في اللغة وآية في الانساب والاخبار . قال ابن هشام ذاكرته مرة وهو بمصر في انساب الرجال فقال له الشافعى بعد ساعة : دع هذا فأنه لا يذهب حفظه عنا ولا عنك ولكن خذ في انساب النساء فلما أخذ في ذلك بقى ابن هشام ساكتا . وكان يقول ماظننت ان الله عزوجل خلق حلقاً مثل هذا الانسان

وقال النسائي كان مفرداً في ثقته وأمانته وقد ألف الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي كتاب الحجة بالشافعى وأتبته في الصحيح وروي أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم اهد قريشاً فان عالمها يملأ طياب الأرض على الممكراً أذقهم عذاباً فاذتهم نوala فكان وجوده رضى الله عنه مصداق قوله صلى الله عليه وسلم

وأتصل به أيام محيته القول بخلق القرآن . ومن كلامه « كلام الله ليس بخلق و من قال مخلوق فهو كافر »

﴿ ذَكْرُ بَعْضِ حِكْمَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ﴾

من ولى القضاء ولم يفتقر فهو سارق . من حفظ القرآن نبل قدره ومن تفقه عظمت قيمته ومن حفظ الحديث قويت حجته ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه العلم . قيل للشافعى كيف أصبحت فقال كيف أصبح من يطلبه ثمان : الله تعالى بالقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم بالسنة والحفظة بما ينطق والشيطان بالمعاصى والدهر بصروفه والنفس بشهواتها والعیال بالقوت وملك الموت بقبض روحه

توفى الشافعى في خلافة المأمون رضى الله عنهما ببصر عن عبد الله بن عبد الحكم واليه أوصى . وذلك ليلة الخميس من شوال رجب سنة أربعين ومائتين ودفنه بنو عبد الحكم في قبورهم وصلى عليه السرى أمير مصر كان رحمة الله خفيف العارضين أسرى اللون وقد ألف كتاب « الأم » وهو من أجل الكتب في أصول الفقه جمع بين صحة المأخذ وبين م坦ة العبارة فهو الأم الولد حقيقة لكل حقيقة في علم الفقه ومعرفة الأحكام

قال الربيع كنا جلوساً في حلقة الشافعى بعد موته يسير فوقف علينا اعرابي فسلم ثم قال أين قبر هذه الحلقة وشمسمها ؟ قلنا توفى . قال رحمة الله وبكي بكاء شديداً ثم قال رحمة الله وغفر له ما كان . كان والله يفتح بيانه منغلق الحجة . ويسد من خصمه واضح الحجة . وينسل من العار وجوها مسودة . ويتوسّع بالرأى أبواباً منسدة . ثم انصرف

وهو ثالث الاربعة الائمة الذين تفتخر بهم جماعة المسلمين بعماراتهم
للكتاب الكريم وتمكن الاستنباط وكمال الفقه وحسن الصناعة و تمام العلم
المتفردین بمعرفة أحكام الله سبحانه وتعالى في المكالفين هداهم الله لخدمة العلم
وبهم يهدي الله من يشاء الى الصراط المستقيم



الامام احمد بن حنبل بن هلال الشيباني رضي الله عنه

هو الامام ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل المروزى الاصل .
خرجت امه من مرو حاملا فولده رحمه الله تعالى سنة أربع وستين ومائة
في ديع الاول ببغداد ولم يربه أبوه لانه تركه طفلا . نشأ ببغداد في طلب العلم
وخدمته وسافر في طلب الحديث من شيوخه ورحل الى البلاد وروى عن
كثير من كبار العلماء والمخاتير فدخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة
والبصرة والجزيرة وسمع من سفيان بن عيينة وابراهيم بن سعد ويحيى
القطان وغيرهم . نشأ عفاما مستقيما يخاف الله ويخشاه فلا يتعدى محارمه أبداً .
روي ابو عبد الله قال : كان احمد بن حنبل معنا في الكتاب وكان الخليفة بالرقة
ومعه خاصته فيكتبون الكتاب الى منازلهم قبعت النساء الى المعلم ان ابعث
لنا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم فكان اذا دخل البيوت لا يرفع طرفه
أبداً حتى كان الناس تعجب من حسن طريقةه وأدبه عند ذكره
بدأ في طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة ورحل فكتب عن
علماء كل بلد وأول من كتب عنه الامام ابو يوسف وكان يقول « أنا أطّلب
العلم الى أن أدخل القبر » واجتهد كثيراً في نقل الاحاديث الصحيحة وبلغ
ما نقله منها مقداراً عظيماً جداً فاق حد التصور وأعجب به معاصروه
كان متادباً غاية الادب متواضعاً غاية التواضع يرى ذلك عليه من غير
تصنيع ولا محاباة . فكان من فرط اجلاله لشيخه لا يتكلم في مجالسهم بشئ
ويحبيب من يسأله في ذلك بأن الانسان له لسان واحد وأذنان ليس معه أكثراً
مما يتكلم

كان وحيداً في عصره في الاشتغال بالعلم والحفظ . كان يصلى العصر ثم يستند قائماً إلى أصل منارة مسجده فتحتاط به الناس يسألونه الحديث وهو يحييهم ويحدثهم عن ظهر قلبه والكل قيام على أرجلهم إلى أن تجب صلاة المغرب لا يفرغ ولا يذهبون

لم يتزوج إلا بعد الأربعين حتى لا يشاغل عن العلم بكسب ولا ناح
بلغ من العلم ما أراد وكان يقول : كتبنا الحديث من ست وجوه وسيع وجوه
ولم نضبطه . كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد
كأن عنم الدنيا كان بين عينيه . جمع له علم الأولين والآخرين من كل
صنف يقول ماشاء ويمسك ماشاء

ومن طائفته أنه سئل عن رجل حالف بالطلاق أنه لا بد أن يطأ أمرأته
الليلة فذهب إليها فوجدها حائضاً فقال تطلق امرأته ولا يطؤها لأن الله قد
أباح الطلاق وحرم وطء الحائض

وكان لا يرى وضع الكتب لمسائله وكلامه . ولو رأى ذلك لكان ذلك له
تصانيف كثيرة ولدونت في أسفار . ومع ذلك فله المسند صنفه سنة ١٨٠ وهو
مائة وعشرون ألف حديث تكلم فيه على الناسخ والمنسوخ والتاريخ والمقدم
والمؤخر وفسر جوابات القرآن والمناقب الكبير والصغير حتى قل أن تقع
مسألة إلا وله فيها نص في الفروع والأصول وربما عدلت في تلك المسألة
نصوص الفقهاء الذين صنفوا وجمعوا

روي عنه جماعة كثيرة منهم البغوي ومسلم والبخاري وأبي الدنيا وأحمد
أبي الحواري وغيرهم . وقد ذكر المؤلفون له مناقب كثيرة جداً تدخل
في باب السعي في طلب العلم والزهد في المال وذكر محنته وشهادته

كان امام المحدثين في عصره . وكان من أصحاب الامام الشافعى ولم يزل مصاحبًا له الى أن ارتحل الشافعى الى مصر . وقال الشافعى : خرجت من بغداد وما خلقت بها اتفى ولا أفقه من ابن حنبل دعى رحمة الله الى القول بخلق القرآن (تلك الفتنة التي أيقظها أَمْهَدْ بن أبي دُؤاد فهمت خيرة الأخلاق وأصحابهم بلا يها) فلم يجب عنها بشيء فضرب ضرباً مبرحاً ثم حبس وعذب بأنواع العذاب وهو مصر على الامتناع وكان ذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين

كان حسن الوجه ربعة ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع توفي ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن في مقبرة باب حرب وحضر جنازته من الخلق مالا يحمدى وعليه ينسب أحد المذاهب الاربعة الاسلامية وتعرف أتباعه بالحنابلة

ومقلدوه قليل بعد مذهبه عن الاجتهد واصالته في معاضده الرواية والأخبار بعضاً البعض وأكثراً منهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً لالسنة ورواية الحديث الشريف

وكان كثيراً ما يتمثل بقول الصديق رضي الله عنه اذا مدحه مادح : « اللهم أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم . اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي مالا يعلمون ولا توأخذني بما يقولون »

نَبْذَةٌ تَارِيخِيَّةٌ

(ما زالت مصر في هذه الأيام أزمان انتقال الدولة من الأمويين
للعباسيين وأزمان اضمحلال الدولة العباسية)

كانت على غير انتظام في حالها ولا ثبات في أمرها لأنها كانت تقوم
وتقع بـ لاهواء الولاة والعمال لعدم وجود التربية القومية فيها . وضعف
رأى العام بين بنيها . وكونها في الوجود في منزلة غريبة من السذاجة التي
تلقتها عن الأسلاف . منزلة تبعد عن منازع البداؤة بعدها عن مقاصد الديانة .
فهي لأمة تحمى ذمارها بالسيف . ولا حضريّة لعيش تحت ظل الشريعة
أو القانون . وإنما العامل الوحيد فيها مقاصد الحكم وهي عندها أعظم من
كل ارادة لأنها كانت لاتطيق مقاومتها أبداً

كان المصطنعون يتفانون في تنفيذ ارادة الحكم مهما كانت حتى
تبذلت الأمة وانطماس منها مكان نور التفكير والتدبیر وأصبحت مسخرة
ترضى بالخضوع للمتعجلين عليها من الولاة الذين لا يزرعون فيها إلا ما تزرع إليه
طبائعهم . ولا يوصلون إليها من جاه الخلافة وعندها وأدبهما وارتقاءهما اليمقدار
رقة مستشفعهم . ولذلك لم يصبهما من الخيرات في عهد الدولة الأموية ولا من
المنافع العمومية في أزمان الدولة العباسية بمقدار ما كان يتنتظر ويظن من
خلافة خلافة الوليد بن عبد الملك المرواري الذي وضع يسره على الفرب ويعناه
على الشرق أو خلافة خلافة أبي عبدالله المأمون العباسى الذى أحى معلم العلوم
كأنما هي في جو آخر مختلفة للناس في العوائد والاحوال مع ما طبعت
عليه من السكون والدعة قانعة بما فيها من التمرات مؤثرة الراحة على المتاعب

لاتعدى مبلغ قوتها وعوائده من قبلها
 دخلت عليها سنة ٢٥٦ وفيها أَمْهُدْ بْنُ طُولُونَ عَامِلاً لِلخِلَافَةِ العَبَاسِيَّةِ
 فَوَسُوسَ لِهِ شَيْطَانَهُ حَتَّى نَادَى بِالْإِسْتِقْلَالِ وَسَطَّا عَلَى الْخِلَافَةِ بِسَيْفِهَا وَحَارَبَ
 الْخِلَافَةَ بِجِيُوشِهِ الَّتِي جَمِعَهَا مِنْ أَهَالِيِّ مِصْرَ وَغَيْرِهَا وَاسْتَهَا وَأَفَانَّاهَا فِي هَذِهِ الْحَرَبِ
 حَتَّى عَجَزَ الْمُعْتَضِدُ عَنِهِ وَوَقَعَ الصلح بينهما
 وقد تسامع الناس بالذى جرى من بعض أهل مصر ومن عاملها فكانت
 هذه الحادثة من أشأم الحوادث وأقبحها أثراً و موقعًا في أمر الدين وجماعة
 المسلمين . منقت الخلافة العباسية كل ممزق وفتحت عليها باب التجزي
 والتبديد وحذا حذوه العمال فاستقبلت جهات بخارى وصارت تدعى (المملكة
 الشرقية) . وجهات افغانستان وهم نحو من ستة ملايين أو ثمانية من سكان
 الجبال والبوادي جلاد شداد وصارت (المملكة الفزنوية) ثم صارت (الدولة
 السلجوقيه) وتبعهم (سيف الدولة بن حمدان) بـ الموصل . هذا في آسيا .
 واستقل في آفريقيا بـ بنو الأغلب وهم الذين كان ملوكهم من جدد مصر إلى
 حدود الغرب الأقصى واتبعوا مسلك ابن طولون حذوك القذة بالقذة (١)
 فأصبحت الخلافة العباسية مشذبة الاطراف مقطوعة الاوصال مفتوحة عليها
 بـ باب لا يسدوا كان هذامن أهم انحطاطها وأكبر الدواعي التي أطمعت أخصامها فيها
 تنزع في بعض الاحيان نفوس بعض الولاة أو العمال الشريرة مثل
 هذا العمل (الاستقلال) دون أن تكون الامة والبلاد مستعدة لما عساه ان
 يطرقها من الشدائد من بعده ولا قاعدة بما يبني لها أن تقوم به من العوائد
 التي تحفظ كيانها بعد هذا التفرد

(١) القذة بالضم ريش السهم بمعنه قذذ

الاستقلال هو عبارة عن قيام دولة فان وقع على غير طبيعة الملك تهدم
وهلك صاحبه لأن المستقل يلزم أن يكون ظاهرا حتى على ذات الشوكة
التي يريد أن يفصّم عنها وينادي باستقلاله دونها . لذلك تحماه الكثير من
أرباب الامر وأصحاب الملك والسلطان مخافة أن ينقلب الامر فتقطع البلاد
والعباد في شر غير متظر . نذكر منهم الامير عبد الرحمن الداخل . والسلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب . دخل الاول بلاد الاندلس وتناول الملك
بقوة شديدة ومضاء عزم وبعد أن اندلع له الامر سعى نفسه بالامير ولم يدع
(بامير المؤمنين) لا هو ولا أحد من بنيه لحد الثامن تأدبا مع الخلافة بغير
الاسلام ومتندى العرب

وملك الثاني مصر فاتحاً وخلع العاشر آخر الخلفاء الفاطميين ثم جدد
الدعوة والخطب للعباسيين مع انقطاعها من مصر قرون وأعواما
كان ذلك الاستقلال لحكومة مصر على غير طبيعة الملك فلم يكسبها
الرق والفلاح والنجاح الذي أصاب غيرها منه . لأن الامة لم تستعد له بعد
ولم تختبر فيها مادة المعاونة مع صاحب الملك بالرأي والمفاوضة فيه ومعرفة
مهماز القطر العامة والخاصة فتركت البلاد لمباشرة السلطان بغير مشاركة له
في أي صنف من أحوال ملوكه شأن الكثير من الملوك الاسلامية . فلما
انصرفت ولاية أحمد بن طولون عنهم تكشفت فتوتهم غير متهمة لعمل
فاستسلمو المدن بعد وهكذا كان أمرهم مع كل طارق ورضخوا السكل حاكما
ولو لم يكن بينه وبين الحكومة معنى مطلقاً كالدولة الاخشيدية وكدولة
الماليك وأشباه ذلك ثم صاروا ملوكاً في يد الفاطميين الذين سنوا لهم سنتان بعدت
ضروب الحال كما هو معلوم

(يضحك الرجل المجبوب اذا كان بعد هذا يرى في بعض الاندية أفوتها تتمظ واؤفا تشمغ بما يقرب من هذا المثال يغترون بالمرانى والظواهر التي بهرجت بها الأعداء ليقطعوا الوصلة بألأعيب السياسة وأساليب المكر والدهاء (ومن نكث فانها ينكث على نفسه) . على ان في التاريخ شواهد محفوظة وأمثال مضروبة تكفى الناظر لونظر وعلم ما هو فيه من لعنة الارتباط لو قام بتنميته وسعادة الوحدة والائتلاف لو انه يرعاها وانها لو تمت ل كانت من أجل النعم واسبعها) سري سوء الرأي في تلك الايام في الامة المصرية حتى عجزت في ذلك الوقت عن اقامة نظامها في خاصة نفسها ونظام عائلاتها في ضرورة معيشها ومهنها . فما الظن بها في سياسة النوع الانساني وأنى لها بامضياء الاحكام واصلاح السبابلة وحمل الناس على مصالحهم وما تعدهم به الفالدة في المعاش والمعاملات . نزلت مصر في الأخلاق منزلة يظن الباحث فيها انها محبوكة عن الحق لانها وهنت وسهل ابتلاعها لضعفها عن النظر والتخلق بأدب الدين وأصبحت مركزاً للقلق وتعكير الفكر وتقنكت اغلال الاستعباد في أنفاس أهلها حتى قبلوا المذاهب العديدة التي قامت بها أصحابها فيما بينهم وكانت من أكبر أسباب التفريق

انظر لما حكم به عليهما ذلك الفاطمي (المعز لدين الله) على الغيب وهو في أقصى المغرب من الضعف بسبب الفجور الذي كانت فيه باستطلاع لطيف وهو مفارقة أدب الدين الذي تتجزء منه ينابيع النخوة وتنشأ عنه القوة العاملة قال المقريزى رحمه الله في خططه (عند ذكر الخلفاء الفاطميين) ان أم الأمراء (والمراد بها أم الخلفاء الفاطميين يعني والدة المعز) وجهت من المغرب صبية لتباع ببصر مع وكيلها (وكان ذلك كان على سبيل التحسس لمعرفة أخلاق

البلاد والعباد) فعرضها بألف دينار فحضرت اليه في بعض الأيام شابة على حمار وساومته الصبية بستمائة دينار (فإذا هي ابنة الاخشيد سلطان مصر) بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شفقتها حباً فاشترتها لتستمع بها فعاد الوكيل إلى المزع وأخبره بما وقع . فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيد مع الصبية إلى آخره فقال المزع انقضوا إلى مصر فلن يحول بينكم وبينها شيء فأن القوم قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات الملوك تخرج بنفسها وتشترى جارية تتمتع بها وما هذا إلا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم . فقالوا السمع والطاعة ونهاضوا وكان الفتح . ثم توالت عليهما الخلفاء الفاطميون حتى كانت مدة الحكم فوقع منه مالم يكن لأحد في حساب النظر لهذه الحادثة وسلط عليها قوة الفكر وتناولها بسطوة العقل واستعمل فيها حدق أصحاب الاستنباط والاختبار تعلم وتحقق أنه لا سبب لهذا الاختلال الذي نفث علينا سرور الدسائس وأثار فينا الفتن والوهن وممكن الاراجيف من المقول وفتح مجال الشر وأقام معترك المطامع وجعل البلاد مهبط البلاء إلا مفارقة أدب الدين والذهب في أثر التمدن الوضعي المبني على القواعد الجديدة التي لا رابط لها ولا وصلة بينها وبين عفة الأديان . وفي هذا ذهب الغيرة وضعف الهرم الشريفه "الإنسانية" . فإذا قيس حاضر على ماض فليعلم أن تمكן الأعداء من البلاد وضعف النفوس عن مقاومتهم لم يكن له سبب إلا هذا لأن الإنسان لا يذود غيره عن حوضه بسلامه إلا وهو عالم بشرف مافي ذلك الحوض من مال ونفس وعرض والحالى من الفضيلة والفضيل معدنور بالهجوم على مالا يعلم والقرار من قرار الكمال حتى يحتجب عن الحق لأنه لا يدرى كيف يكون في رقى وصلاح حال ولا إلى أي طريق يذهب . فاللهم اهدنا سوء السبيل

المعنا في النبذة السياسة التي مضت الى ما كان من حال مصر وما جرى من دخول جوهر القائد بعسكر المعز لدين الله فيه بسبب الاختلال والتجور الذي ألم بأهلها وما كان من تأسيس الخلافة الفاطمية في هذا القطر ومهما يكن أمر هذه الخلافة في نظر كثير من المؤرخين وما تكلموا به من اثبات نسبهم أو نفيه عن أهل البيت كما سيأتي فقد كان خلفاؤها من الدولة والسلطان ما يسموا به بنى العباس في ممالك الاسلام بل كانوا يلحوذون عليهم مواطنهم ويزايلون من أصرهم واستمرت دولتهم نحوً من مائتين وسبعين سنة فتحوا فيها البلاد واستخدمو المباد واختطوا مثل مدينة القاهرة المدينة الخديمة التي هي من وضع أول خلفائهم الخليفة (المعز لدين الله) ولذلك فتحن ذاكروه من بين خلفاء هذه الخلافة الفاطمية لهذه العلة ولما اتصف به أيضاً من الخلل والخلال الغريبة والخزم والعزم

العز لدين الله

هو المعز لدين الله أبو تميم محمد بن المنصور بالله اسماعيل بن القائم بأمر الله
أبي القاسم محمد بن المهدى أبي محمد عبيد الله العلوى الحسينى . ولد بالمهديه
من أفريقيا حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة
تولى المعز ل الدين الله الخلافة بالمغرب وكان يهتف باسم مصر والاستيلاء
عليها وله رسول تستطاع له خبرها كما قلنا وقد وافق ذلك موت كافور الاخشيدى
(صاحب مصر) فاختلت فيها القلوب ووقع الغلاء وتابت الشدائى وحصل
الادبار وعجز رجال الدولة عن إدارة الامور واختلس حال الاقليم المصرية
وبلغ له تفصيل هذه الاحوال السيئة وهو بأفريقيا من تلك العيون التي كان
أزكها في طلب خفياتها فسیر المعز القائد «جوهر» غلام والده المنصور في سنة
ثمان وخمسين وثلاثمائة في جيش كثيف للاستيلاء عليها فلما بلغ من فيها من
عسكري الأخشيد أمره واتصل خبر مسيره بهم هر بوعنهم جميعاً قبل وصوله
فدخلها واستوطن رحابها آمناً مطمئناً واخترق القاهرة بقصرها واستقدم
العزيز بالله من الغرب فقدمها في شعبان وأقيمت له الدعوة في الجامع العتيق
في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وأذن فيه (بحى على خير العمل) (١)
وجهر في الصلاة (بسم الله الرحمن الرحيم) (١) وهو أول ماذن كذلك بمصر
ابتدأت هذه الدولة (العلوية) بأفريقيا بدعة أبي محمد عبيد الله أول
من ول من لهم نحواً من سنة سبع وتسعين ومائتين ودخلت جيوشها (مصر)
سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . وانقرضت فيها سنة سبع وستين وخمسة على

(١) هامن رسوم الشيعة وشعائر مذهبهم

يد (صلاح الدين يوسف بن أيوب) فندة ملوكهم مصر مائة سنة وتسع سنين وقد اتسعت أكناfe مملكة هذه الخلافة وأقيمت الدعوة لاصحابها بالغرب . ومصر . والشام . وبعض أعمال العراق وطالت وتطاولات حتى اتصلت بالمواطن المطهرة فلكلوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة

كان المعز عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصفا للرعية منصتا لطلباتها فلما قدم مصر ساس الامور ودبر الاحوال ولم يأل جهدا في الاصلاح فصلح حال مصر بما كانت عليه وزهت بالقاهرة وأزيزت بقصره فيها وتحملت بما ترتب فيها من الدواوين والمصالح ومواضع السكنى اللائقة بخلافة وعظمتها اتسع نطاق العمارة في أيامه فالقاهرة مقبره برجاته وعسکره وعاليها سياج من جلال . والفسطاط بعظنته محل تصدير وشحن الارزاق والبضائع الصادرة والواردة ومحل سكنى الاعيان وأرباب الثروة ورجال العلوم والصناعات وكلما يلزم ويليق بحال هذه الحضارة وال عمران

دخل بلاد مصر سائح عظيم من الفرس يعرف بالناصري خسرو والفار في سفره رحلة سهاها (سفر نامه) يقول فيها انه لو وصف ملوك مصر من آثار السعادة والثروة لكذبه الفرس وكيف يصف مدينة قل ان يوجد لها في عهدها شيء . لها خمسة أبواب كل باب آية في ضخامته ونخامته وهندامه يعجز الحاسب في تقويم نظامه . وأغلب البيوت والمنازل شاهقة متقنة الصنعة تشبه القلاع يوم الناظر اليها من حسن نظامها أنها مبنية بأحجار ثمينة . والمساجد والوكائل والحمامات والدكاكين مما يعد بالالوف المؤلفه اه والذى يرى بعينه الآثار الباقيه يصدق تلك الاخبار الماضيه" والواقف

على تنظيم قصر المعز وما كان فيه من الخزائن للجوائز والسلاح والكتب
يعلم مقدار ثروة الدولة وقوه هذه الخلافة ونفوذ بصر الموز وشدة ادراكه
كان هذا القصر كعبة فضل يحج اليها القصاد والمعز فيه يأصر وينهى بين
مظاهر قوه السيف برجاته وأصرائه ومعالم الفضل بشيوخه وعلمائه
يطول بنا الكلام لو أردنا استقصاء رسوم الملك وأبهة الخلافة ولو ازام
التصر وملحقاته من الحلى والزينة والامتعة والفرش والثياب والذخائر
واحتياجات العسكر البرية والبحرية من سلاح وبنود وخيام وما يتجمل به
الخليفة وخواصه وسائل رجاله واتباعه وما ينعم به من النفائس الجليلة والماهمات
العظيمة البالغة في العظم والكثرة حدا لا تبلغه العبارة وخزانة الكتب التي
اشتملت بمحكميات كثير من المؤرخين (تحاكى قوه الاجماع) على ألف ألف
وستمائة ألف كتاب وفيها من غرائب الدهر وعجائب الزمان مالا يحصى .
قال المقريزي : دخل هذه المكتبة أحد السواح فرأى فيها مقطعاً من الحرير
الازرق غريب الصنعة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها
وأنهارها ومساكنها (أشبه بمحفظاً) وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر
مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وأنهارها وبحارها بالذهب
وغيرها بالفضة والحرير فقال يكفي من عجلتك هذا . ومن جنس هذه
الأعمدة الحيمة التي فاقت جميع المضارب والخيام المسماة (بالمدورة) كانت
تضرب في المحافل والرسوميات تقام على فرد عمود وذراعتها خمسة ذراع
وخرقها وجبالها وعدتها تحمل على مائة جمل وقد صور في رفوفها صورة كل
حيوان في الارض . فالقارئ يجري الغائب من هذه النفائس على ما عرف
ويقيسها على ما شهد فيتعرف ما كان عليه القوم من الرفاه

كان هؤلاء الخلفاء ولعنة بعارة المساجد وحسبك الازهر الأزهر
 والمقام الانور والمصلى الاطهر الذى جعله الله مجتلى العلم والتعليم . وخصه بطريقه
 وكرمه أن يكون موضع الارشاد لسنة نبیه الکريم ودينه القوم . هذا
 المسجد أول مسجد أسس بالقاهرة (لو كان ماشتمل عليه من المنافع والمرافق
 حصل لنا بالسماع وهو غير واقع تحت نظر كل واحد منها بالفعل لعدد ناهي عجوبة
 الزمان) مأوى العلم والعلماء وموطن الفقهاء والفقهاء وكل واحد من المشتغلين
 فيه له ما يكفيه من الرزق الناض على قدره ومقداره . والتعليم فيه مباح بأنواره
 والاروقة تأوى إليها طلبة العلم الغرباء فلا يلاحظه النظر الا وهو معمور بتلاوة
 القرآن ودراسته وتلقينه والاستغلال بأنواع المعلوم كالفقه والحديث والتفسیر
 والنحو ومحالس الوعظ فالداخل فيه يجد من الانس بالله والارتياح وترويح
 النفس مالا يجده في غيره ثم لا تزال عماراته تزداد وشهرته تتواتم حتى قصدهه
 الناس من الآفاق فترى فيه خلطاً من جميع بلاد الاسلام تقصداته لتعلم العلوم
 الشرعية والعقائد والنقلية من دروسه الدائمة المتصدر لقراءتها جهابذة العلماء
 والمخذلين مابين مؤلف ومدرس وفيه الالوف المؤلفة من المجاودين من
 الطوائف المختلفة . كأهل الحجاز . واليمن . والهند . والسنن . والسودان .
 والجاوه . وبغداد . والمغرب . والشام . والترک . والاکراد وغيرهم من
 أهل مصر من جنوبها وشمالها فهو أشهر بقعة بعد المساجد الثلاثة . وياله من
 مدرسة كبرى وبقعة نافعة يزول بها الجهل وينخلد فيها العلم وتأدب بواسطتها
 النفوس وتنسع القراح وتتبه القطن وتروق الافكار وتعين الآداب وتظهر
 الاسرار ويكتسب الشرف ويعظم القدر لو كانت تلك الشموس والاقمار
 التي تشرق في أفقه غير محجوبة بسحب التقليد القديم خارجة عن مدارها

الاولى متأملة الى درجة احياء المعارف والعلوم ورونقها في غير هذه البلاد غير
ناظرة اليها نظر المستنكف آخذه من هذا الجديـد بما حسـن ولطف مـما لا يـمـسـ
عقـيـدة ولا يـخـالـف دـيـنـاـ . إـذـاـ لـأـ صـبـحـت رـحـابـه قـبـلـه لـكـلـ طـالـبـ وـكـعبـةـ لـكـلـ
قـاصـدـ بـلـ يـكـادـ الـانـسـانـ يـحـلـفـ غـيرـ حـانـتـ انـ الـازـهـرـ وـحـدهـ كـافـ لـحـاجـةـ الـبـلـادـ
بـجـمـعـ أـوـجـهـهـ فـهـوـ مـرـضـعـةـ اـنـعـلـومـ وـأـقـرـبـ مـوـرـدـ يـكـنـ أـنـ يـسـتـقـيـ بـعـارـفـهـ القـطـرـ
وـيـظـهـ لـكـلـ اـنـسـانـ بـرـاعـةـ أـهـلـ هـذـهـ الـبـلـادـ وـلـكـنـ

ما يـشـاءـ رـبـكـ يـفـعـلـ قـادـرـ جـلـ عـنـ كـلـ مـقـالـ وـاعـتـراـضـ
قـدـ تـجـمعـنـا عـلـىـ غـيرـ هـدـيـ وـتـفـرـقـنـا عـلـىـ غـيرـ تـرـاضـ
وـتـقـارـضـنـا شـهـادـاتـ التـقـيـ ثـمـ صـرـنـا زـوـالـ وـانـقـراـضـ
وـاسـتعـارـتـ صـحـةـ أـجـسـامـنـاـ وـاسـتعـانـتـ بـمـوـدـاتـ مـرـاضـ

(عود) كان للمساجد في أيامهم رسوم وأحباس ولهاديـونـ مـفـرـدـ وـقـضـاءـ
وـعـلـمـاءـ تـقـنـدـ حـالـتـهـاـ وـهـمـ أـوـلـ مـنـ أـقـامـ الدـرـسـ بـعـلـومـ . ثـمـ في مـدـةـ العـزـيزـ عـمـلـ
الـوـزـيـرـ بـنـ كـلـسـ بـجـلـسـاـ فـيـ دـارـهـ يـخـصـرـهـ الـفـقـهـ وـالـمـكـامـونـ وـأـهـلـ الـجـدـلـ وـكـانـ
يـقـرـأـ فـيـهـ فـقـهـ عـلـىـ مـذـهـبـ الـغـاطـيـمـيـةـ

كان لهم التفات غـيرـ بـلـ مـلـاحـظـةـ أـمـ المـوـاسـمـ وـالـاعـيـادـ عـلـىـ طـولـ السـنـةـ
وـلـهـمـ فـيـهـاـ مـنـ الـبـرـ وـالـخـيـرـ وـالـصـدـقـاتـ وـالـاحـسـانـ فـيـ الـاـيـامـ الـتـيـ يـعـيـنـهـاـ وـالـلـيـلـيـاـلـيـ
الـتـيـ يـعـيـنـهـاـ . ثـمـ تـطـرـقـ الـخـلـلـ إـلـىـ سـيـاسـتـهـمـ وـكـأـنـاـ كـانـ ذـلـكـ لـتـعـقـمـهـمـ فـيـ
الـرـأـضـيـةـ أـوـلـأـ خـلـادـ بـعـضـهـمـ (كـلـحاـكـمـ) فـدـفـعـ ذـلـكـ فـتـنـةـ دـعـوـتـهـمـ وـجـاءـ الطـعـنـ فـيـ
مـنـتـسـبـهـمـ مـتـمـاـ لـذـلـكـ فـتـنـةـ يـرـتـ تـلـكـ الـأـحـوـالـ بـالـحـوـادـثـ الـتـيـ توـالـتـ فـيـ أـيـامـهـمـ
الـاـخـيـرـةـ تـارـةـ بـالـصـلـاحـ وـتـارـةـ بـالـفـسـادـ إـلـىـ أـنـ أـحـتـ الـحـوـادـثـ وـتـوـالـتـ الـمـحنـ
فـيـرـتـ تـلـكـ الـوـجـوهـ الـحـسـانـ وـأـزـالـتـ مـعـالـمـ الـحـسـانـ وـالـاحـسـانـ وـبـدـاتـ روـنـقـهـ مـنـ

المجال واعتصت عنها بالاطلال والتلال . ومن يتأمل مدة كل خليفة منهم وأعماله يرى أن همة أغلبهم كانت متوجهة إلى التساع دائرة العماره واليسار وبسبب ذلك يصح للمؤرخ أن يعتبر الفاهره في مدتكم مترقية جداً في التجارة والصناعه والمعارف والعلوم التي لم تكن لها من قبل ولا حصلت لها من بعد والمباني الضخمه المشاهده التي لا تقوم الا بالاموال الجمة والتقدم في صناعتي البناء والتصوير كما تراه فيما بقي من ذلك من ابواب كزويه . والفتح . والنصر . ومن المساجد كالحالم . والانور . يدل على علو قدرهم ورفعة همهم وسعتهم في دائرة السخاء والكرم وكذا كانوا في صراكمهم ومواكبهم واحتفالاتهم في مواسمهم مما لو أراد الانسان معرفته يجد في مظانه من كتب التاريخ

ثم زالت دولهم على يد آخر خلفائهم العاصد بالحوادث التي وقعت وأدت لقدوم السلطان صلاح الدين بن أيوب إلى هذه البلاد لاطفاء الفتنة التي دهمتها فأطافها وما عاد إلى البلاد الشامية حتى هاجمتها العساكر الصليبيه فاضطر لقادمه لمحاربتها وكان ذلك ثم وجد في حال البلاد اختلالاً لا يسكن إلا اذا سهر عليه الانسان بالتدبير المقرن بالاصابة وحسن الرأي المعروف بالاجابة وكأن البلاد سئت ماهي فيه من المصائب المتواتيه فلم يلق في نزع يد العاصد من الخلافة واعادة الدعوه للعباسيين أقل معارض وممانعه ففعل وتولى حكم البلاد بنفسه

وقد انقضت تلك السنون وأهلها فكانوا وكأنهم أحلام تغيرت بتغير الدولة كل الاحوال حتى في المأكل والمشرب وسبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الواطنين

هذه الخلافة طعن فيها أغلب المؤرخين وتكلم الكثير (١) في نسب القائدين بها وابتعادهم عن آل البيت رضي الله تعالى عنهم وادعوا أنهم معروفين في اليهودية (نحوذ بالله من هذه المقالة) حتى عمل في أيام الامام القادر العباسى محضرا يتضمن القدر في هذا النسب وشهد فيه من شهد من أعيان العلوين خوفا وتقية وغيرهم بخاراة وتزلفا وزعم الأمير عبد العزيز صاحب تاريخ أفريقيا أن أصحاب هذه الدعوى من بقایا اليهود الذين أسلموا في صدر الإسلام نفاقا وما زالوا يتربصون الشر بجماعة المسلمين وقصاصا لما وقع لأسلافهم من تسفيه أحلامهم فقامت جماعة منهم في آخر خلافة الامام على رضي الله عنه وأخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة المقول في الدين وآخرون أرادوا استئصال الامر بالقوة ومنهم هؤلاء

والذى عليه أهل التحقيق أن نفى نسبهم عن نسب آل البيت مجعلو بأحاديث لفقت لامستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفاً إليهم (كما هي العادة من القدر فيمن ناصبهم تفتنا في الشمات بعدهم) بواسطة علماء السوء لما توفرت شيعتهم وانتشرت في القاصية بدعوتهم وما زالوا كذلك والخلفاء قالعون بهذا السب حتى قاسموهم الملك وشاطر وهم السلطان وهذا من رض غريب وداء عجيب يصيب الكثير من الناس ويقع في الأفراد كما يقع في الدول فتراهم يقنعون بتصغير عدوهم وامتهانه وهو في عماء عما يدبره لهم من المكائد ثم يزيد الحال ويتسع فتراهم يحسنون على الشاتم ويندقون على الطاعن ويکادون يسجلون هذا البرج الرائق الذي تريه أرباب الأغراض وسماسرة البنى وبالباطل ترويجه لهم وكله فرية وزعم وتبليغ بهم السذاجة إلى أنهم يستشفون

(١) مثل شيخ النظار أبي بكر الباقياني

بهذا الباطل ويسكتون عما يقع في مالكهم من النقص وفي سلطتهم من الابتزاز

باد الكثير من دول الاسلام وانتقمت اطراف ممالك كثيرة بهذا السبب وهو تصغير الاعداء في نظر أولياء الامور والاستهانة بهم والتهويل الشديد باستعظام شوكة صاحب الدولة والتعظيم له حتى يظن بعض السذج منهم ان وجود عدو في دار الحياة انما هو استبقاء منه عليه وكرامة وتحنن والاخفياته في قبضة يده ثم لا تمر عليهم الا ليالي وتسداول الايام حتى يصبح والاصر ذو بال وعدوه قد أفسد عليه حاله ويتحقق انه كان غارقا في بحار الحدية وانه أصبح بين امررين إما خوض المانيا لهذا العدو العنيد أو التجاوز له عن الارض التي ظهر بعصيائه عليها وليته يقمع

بهذا ذهب ماذهب من فتوحات الامويين وأملاك العباسيين وبالاد وأراضي الدولة العلية العثمانية من الرومي والاناضول وغيرها وبهذا السبب أيضا ذهب السودان المصري وتجسست في هذا القطر فتنته الاخيرة

سمعت من اثق به ان كل تغرايف كان يرد لاولياء الامر من حكام السودان حال الفتنة مبدوء في قوله (بنفوس ولى النم لا يكن هناك ما يقدر الخاطر وانما الخ) وما زال الحال كذلك حتى جاء لتعريف حصار اخر طوم مبدوءاً بهذه المقالة أيضاً فليت الناس يصرفون بعض الهمم على أمثال هذه الغوغاء في أوائل ظهورها ويتركون الغش فتكفيهم مؤنة القتال والجدال في آخرياتها خصوصاً في هذا الوقت الذي ينبغي أن يكون للانسان فيه أربع عيون لكثرة الدسائس وازدياد الاعداء الطاغفين على ملة الاسلام الناقدين عليها وعلى القائمين بأمورها وليس بعيد ذلك النقد على من

يكون ذات صورة ظاهرة لأن أحوال أولئك المنافقين تبدي ظاهرة للعيون
الصادقة

ومهما تكون عند امرء من خلائقه وإن خالها تحفي على الناس تعلم اهـ
(تبنيه) إلى هنا انتهي الكلام على الخلافة في المشرق ما بين الشام وبغداد ومصر
وسبباً بالكلام على الخلافة في المغرب مبتدئين بخلافة عبد الرحمن الداخل

عرف القراء مما كتبناه أنه لما نزل ببني أمية مأذول بالشرق وغلبهم الدهر
على أمرهم مثل غيرهم من ساسة الدول وسلطانين الزمان وقتل آخر خلفائهم
من وان بن محمد بن الحكم طلب بنو أمية بطن الأرض بعد ظهرها والدهر
حسود لم يسود ولكل هبوب ركود كان من أفلت عبد الرحمن بن معاوية .
خرج من الشام سنة ثنتين وثلاثين ومائة وظل ساراً في أفريقيا ينتقل من مكان
إلى مكان حتى وصل الاندلس بعد سنتين ودخلها سنة تسع وثلاثين ومائة
وشيء فيها دولة أموية بجده واجتهاده الملائم لها التوفيق والسعادة وأصبح
رأس الدولة بعد ما كان فيه من فنوط الهارب ويأس المطلوب من عدوه القادر
وارتقى في المغرب لمقام جدد فيه ماطممه الزمان لبني وان في المشرق من
المملوك العظيم والسلطان العزيز وأحيى ما اندرس من معالم الخلافة وجدد ماتنسى
من اسمها

لذلك جعلنا اسمه الكريم مفتاح الخلافة الاموية بالأندلس بعد ان فرغنا
من ذكر من يسر الله ذكر أسمائهم من خلفاء الدولة الاسلامية ببغداد

عبد الرحمن بن معاوية

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (المعروف بالداخل) لقب بذلك لأنه أول داخل من ملوك بني سروان إلى الأندلس وهو رأس الدولة الاموية الاندلسية كان شجاعاً هاماً كريماً حليماً ذا حزم وعزم أصهب خفيف العارض بوجهه خال طويلاً القامة نحيف الجسم

كانت عن مات هذا الخليفة تجعل قومه تخينون فيه ملكاً ويرون فيه علاماته . آية من آيات الله تعالى أن يقطع هذا الخليفة البر والبحر ويقيم ما-كا أدبر ويركب من الأخطار ما يركب ويقصد الأندلس من أناني ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فيغلب أهلهما على أمرهم ويتناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة ومضاء عنم وينقادله الأمر ويجرى على اختياره ثم يورثه عقبه . آية من آيات الله أنه مع هذا الملك الضخم الذي أتيح له والدولة المتسعة التي كان فيها لا يسمى نفسه بأمير المؤمنين تأدبًا مع الخلافة بغير الإسلام ومنتدي العرب وتبقى هذه التسمية إلى الخليفة الثامن من بني أمية بالأندلس حتى حدث من ضعف خلفاء بني العباس ماحدث ووقدت غلبة الأعاجم . انظر لهذا الجد والاجتهاد وتأمل لهذا الميل لارتباط كلة الدين والرغبة في عدم قطع دعوة آل العباس مما أصبحت فيه جماعة المسلمين من الانقطاع

وتفرقوا شيعاً فـ كل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر أفلت هذا الخليفة وخلص إلى المغرب واجتمع بموالي المروانيين وأشياعهم وبقوا له دعوة ونشروا له ذكرها ووافق قدومه انكشاف يوسف بن عبد الرحمن الفهري من عسكره (بسبب ما كان من الاحن بين اليهود والمغاربة) ولم

يبق معه من الجيوش ما يليق به الامير عبد الرحمن فانهزم في ظاهر قرطبة ثم جأ إلى غرناطة فتبعه الامير وناجه الحرب ورغب في الصلح فعند ذلك على أن يسكن قرطبة وكان ذلك . ثم أدرك الامير عبد الرحمن بالأندلس (عبد الملك بن عمر المرواني) وكان يصر فلما دخلت المسودة أرضها خرج يوم الأندرس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبسيل والنجدة فلما وصلها عقد له الامير عبد الرحمن على اشبيلية

ثم نقض يوسف بن عبد الرحمن عهده الذي عاهد به ونكث وخرج فسيير الامير للقاء (عبد الملك بن عمر المرواني) المذكور فلما تجاوزا كانت الدائرة على يوسف ثم اغتاله أحد أصحابه وتقديم بقتله إلى الامير واستقام الامر واستقر بقرطبة وثبت قدم الامير عبد الرحمن في الملك أسس هذا الامير بفترة الدولة التي بقيت زاهية إلى ما بعد المائة الرابعة . شاد فيها من معلم الدين والدنيا مالا يدرك لغيره . شاد فيها جامع قرطبة الذي أنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل عامه . وبنى مساجد أخرى وصبر لبني أمية ملوكها ضيخته من العز السامي العاد ما بلغ غاية الآباء بالجد والاجتهد وأقام لهم دولة متعددة كانت أ Nigel دول الإسلام وأنشأها في العدو وبلغت من العز والنصر ما لا يزيد عليه

حارب (الازفونش) (والبورتغال) وخطاب فارلو ملك الأفرنج وكان صعب المراس فما زال به حتى أوجبه إلى المداراة والمواءمة بالسلم وجعل في هذا الشغر القاصي (شعر الأندرس) من حليه الملك ماؤرهف به سيف عنده بسلطانه وحنك أهله بالسيرة الملكية وأخذهم بالآداب السلطانية فاكتسبهم المروءة وأقامهم على الطريقة المثلث ثم دون الدواوين وجند الجناد وفرض الأعطيات

وعقد الالوية واقام للملات آلة وللسلطان عدة اعترف بعظمتها كابر الملوك حتى
حضرها جانبه وتحاموا حوزته وما زال يمازج في معاملة الملوك التي تجاوره
بالعنف صرفة وباللطاف أخرى حتى دانت له البلاد واستقل له الأمر فيها وظهر
له ظاهرها وخافتها وأدركت أعداؤه ما هو عليه من عظيم القوة مالا وحالا
وعلمت ان الله رجالا

رفعت الامير عبد الرحمن (قوة الفضيلة. وصدق الحسن. وبعد الغور. وسعة
الاحاطة) حتى ان مناظره الامام ابا جعفر المنصور كان يسميه (صقر قريش) وقد
عرف له حقه وعبد الله بن استرجيجه عن نفسه وليس لواصف أن يصفه فيصفه بعد
قول هذا الامام فيه. قال جلساته: «لا تجيءوا الامتداد امر نامع طول مراسه وقوه
أسبابه فالشأن في أمر فتي قريش الأحودي الفذ في جميع شؤونه وعدهمه
لأهل ونشبه وتسليه عن جميع ذلك بعد صرق همته ومضاء عن ميته حتى قذف
نفسه في لحج المهالك لا ببناء مجده فاقتصر جزيرة شاسعة الحال نائية المطعم
عصبية الجندي ضرب بين جندها بخصوصية وقع بعضهم بعض بقوة حيلته
واستمال قلوب رعيتها بقضية سياساته حتى انقاد له عصبيهم وذل له ابيهم
فاستولى فيها على أريكته ملكا على قيطعه قاهر ااعدائه حامي لذماره مانعا
لحوظه خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه . ان ذلك فهو الفتن كل الفتى لا يكذب
مادحه »

هذا هو السر في قوة الفضائل التي تحلى الانسان بالرجولية والصرامة
والاجتراء فتجعله ممدواحاً على كل انسان حتى على انسان اعدائه (والفضل
ما شهدت به الاعداء)

أصبحت الخلافة الاسلامية بسيطة خلافتين خلافة اموية في الاندلس

و عباسية ببغداد وكانت سيرة خلقاء الاندلس أحسن من سيرة غيرهم في الجملة .
سار سيرة حسنة لم يلامسها روح الشقاقي ولم تزع فيها النفوس ل الخروج على
السلطان . كان رحمة الله قسطاساً للعدل يقعد للعامة يسمع منهم وينظر بنفسه
فيما بينهم فيصل بالضعف إلى رفع ظلامته دون مشقة ويردع الظالم عن بغيه
وعته وكانت مدة ملكه ثلاثة وثلاثين سنة وأربعة أشهر فصرت عن بلوغ
أمانيه التي كان يتناها . نعم انه غزا فيها بلاد الأفرنج (والبشكنس) ومن
وراءهم ورجع بالظفر ولكن أين هذا مما كان يريده من اعادة دولة صروان
بالمشرق كما كانت في أبهتها وسطوتها قبل الخلافة العباسية

استقر بقرطبة وهو الذى أدار عليها السور وأقام بها المباني الضخمة
فأصبحت موضع العجب باياتها الباهرة فى الصناعة والاعمال العجيبة تحج
اليها السواح من كل جانب لا يرثون نظيرهم لشيء من عجائبها الا ويرد اليهم
طرفهم مبتهلاً يعيشون أثرها عن حدو تمثالاً بتمثال ويعجزهم عن ان يتحدونه بمثال
الا فلتتعجب جماعة المسلمين بمثل هذا الامير وتفتخرون به خفرها بعمل
من لا يساويه من أهل تلك الملل الاخرى فان فى افعاله جميع الضروب
والاشكال التي تقصد فى المنافع كسعادة الامم وتربيتها وإقامة الدول وحفظها
من الانحلال . ولو أن رجالاً اتصل بدار وهو من غير أهلها وقدر على أن يملكونها
مهم وان يستخدمهم لذاته ثم ينظر فى وجوه سعادتهم فيدينون منها ويسهل
لهم أبواب الخير حتى يعيش معهم ويعيشون معه فى أرجد عيش بعد ذلك عملاً
عظيماً ودهاء كبيراً فكيف بمن يفعل ذلك بأقلهم حشوه قوم جلاد شداد
وقد أحاطت به دول في غاية ما يكون من القوة والقدرة . اللهم ان هذا من

أعجم العجم

يدهش الانسان سمو هذه الغايات الشريفة التي مهما طوتها الايام وأخذت من زيتها الازوال محلاً للاهانة ووضعاً للمباهاة تبدى زيتها وتباهى بنفسها حتى يذعن لها العدو المعاند والمنكر الجاحد . ثم يندهش الانسان من تلك الحوادث التي طرأت على هذه المدينة العظيمة حتى أحالتها الى همجية بل أبادتها من يد أهلها

كل هذا إنما نشأ من عدم رعاية خلقاء الاسلام لحفظ آثار بعضهم وانهم لا ينظرون لهسا باعتبار انهم عملهم بل يفرجون بزوالها وحلول الخراب فيها لتنسى الناس بذلك أسماء المشيدين لها إنما أولئك كانوا من أشد أعدائهم اما بغير هذا ف الحال أن تذهب آثار الاسلام من على وجه الارض وعلى الخصوص ما كان منها في هذه الاقطاع مما تحدثت الاسننة على أبنته وضخامته وجلالته الحكم أبو الامة والكل عياله والعلم سلم الترقى الذي يعرف به الولد حق أبيه ويدفع الوالد لاداء حق ولده وهو ظاهر اليه من نعمته التي أنعم الله بها عليه فتقىوى أركان الملكة ويعظم جسمها وتنتها في العمran بعظم ثروتها وتوفر أعدادها واتساع بلادها فتسعد بالصلاح والاصلاح وينعم بسر العدل والانصاف ذلك السيف الفتاح . فاللهم هي لنا الخير واقتصر لنا أبوابه واسبل علينا من فضلك وعندك مايسير لنا صعب أمرنا واهدىنا وارشدنا الى خير العمل حتى ندرك المعنى الذي به تم الصالحات آمين

الْمَكِّيُّ بْنُ هَشَامٍ

هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ثالث من ملوك الأندلس من الأمويين.
تولى بعده من أخيه هشام بن عبد الرحمن الداخل

كان هشام والده يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكما انه كان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألون عن سير عماليه وأعمالهم ويخبرونه بحقائقها فإذا انتهى اليه حيف أحددهم أوقع به وأسقطه وقاده كان متقدداً أيضاً حال أبنائه ومن يظن انتهاء أمر المسلمين اليهم من بعده . وهذه خلة من خلال عبد الرحمن الداخل ورثها أبناءه وعلمهم ترشيحهم وتشقيقهم على الامر وبين لهم من ية السؤال عنهم وعدم اهتمام تربيتهم وتشقيقهم وتدريجهم

لذلك نشأ «الحكم» منشأً حسناً فكان في معاليه صاعداً وفي مراقيه ساميّاً واستولى على شرف التأدب . فكم من مطالب لذو اهاب الجد والغخر أدركها وفخانم من عوائد الحمد والشكر تخولها

تولى بعد موت أبيه هشام سنة ثمانين وماة فاستأذن كثيرون من الملائكة ومن رباط الخيل وأعد ما استطاع من القوة فاستفحلا ملائكة وسلموا مكانه واجتمع من بحضوره من أهل بيته وقواته ومواليه وعلمائه وجنده على متابعته ومشايعته فباشر معهم الأمور ثم حدثت فتنه بينه وبين عميه أغتنمها العدو واعتدها فرصة وقد برسلونه فامتثل لها وتأخرت عساكر المسلمين إلى مادونها بسبب فتنه الاقارب (وكذلك يفعلون)

ثم بعث الجنيد الى بلاد الجلاقة وأخن فيها خالفهم عدوهم الى المضايق

فرجع على التعبية وظفر بهم وخرج إلى بلاد الإسلام ظافراً
يقال عن هذا الأمير انه كان في صدر ولاته منهمكاً في لذاته فاجتمع
أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليبي صاحب مالك وأحد رواة
الموطأ وطالوت الفقيه وغيرهما وما زالوا به حتى اقتلوا معه في طاعة الله : العلامة
في ناحية والأمير في ناحية . ثم انتهي الامر بعد قتل وقتل وتغريب وتشريد
هذه الحادثة شدت عن القياس في محاربة الأمير لعين أعيان دولته
وخيره أنصار دعوته . ولكن النظر حال العلماء ومعاملتهم لامرائهم وتقويم
اعواجهم بالسيوف تجد ان تلك موعضة يجب النظر اليها بعين الاعتبار وأمثلة
تستحق ان تحفظ . اعتدل بعدها حال الامير وازداد تخلقه بالأخلاق الحميدة
واستمر على الطريق الرشيدة وأوضح له الله السداد وأنوار منهاجه وعرفه منه
وبركته

دخلت عليه سنة ثنتين وسبعين ومائة جمع (لذريلق بن فارلو) ملك
الفرنجه جموعه وأغار بها على بلاد المسلمين وسار الى حصان طرسونه فبعث
الحكم بن عبد الرحمن بعسكره فهزمه باذن الله وفتح الله على المسلمين وعاد
ظافراً . ثم كثر عيش الأفرنج وعيشه في ثغور وحصون الاندلس و«الحكم»
من طرف ورجاله من طرف آخر يختلون في القتل والقتال حتى عاد الى قرطبة
ظافراً

ثم في سنة ٢٠٠ بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الأفرنج فأخذ عدة
حصون وأقبل عليه (الييط) ملك الجلاطة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر
واقتسلوا أيامًا ونال المسلمون منهم أعظم النيل ووقف المسلمون ظافرين
ظاهرين

هو أول من جنده الاجناد والخند العدة وكان خل بني أمية بالأندلس وأشدهم اقداماً ونجدة . قال بعض المؤرخين انه كان يشبهه أباً جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس في شدة الملك وتوطيده وتمكين الدولة وتشييدها وقمع الاعداء وكان يحب الخير ويعين عليه ويراعى صنعه وينبغي غرسه ويسبغ نعمته اذا اولاها ويتم عارفته اذا اسدتها . من ذلك فعله في الجماعة الشديدة التي وقعت سنة سبع وتسعمائة التي اكثرا فيها من مواساة اهل الحاجات والفقراء حتى سارت بخبر خيراته الناس ودونتها الرواية

استمرت مدة ملكه سنتاً وعشرين سنة . قال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أبهة و شأنها وهو أول من جمع الاسلحه والعدم واستكثر من الخدم والحواشي والخشم وأعد رباط الخيل على بابه . وكانت الجياد التي على شاطئ النهر قبل قصره الفي فرس وكانت له عيون يطالونه بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذي وطأ الملك لمقبه بالأندلس

ومن أحب ما يروى عنه ان العباس الشاعر توجه الى الاندلس فلما نزل وادى الحجارة سمع امرأة تقول : « واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كاب العدو علينا فایعننا وایتنا » فسألها عن شأنها فقالت : « كنت مقبلة من البادية في رفقة نفرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت » فصنع في قصيدة التي أراد أن يلقاها بها أبياتاً منها

أراعي نجوماً ما يرون تغيراً

أسير اليكم سارياً ومهجاً

فانك أحرى أن تغيث وتنصرنا

تلملمت في وادى الحجارة مسئداً

الىك أبا العاصي نضيت مطيت

تدارك نساء العالمين بنصرة

فلياد خل عليه أشده القصيدة ووصف له خوف الشغر واستصراخ المرأة
باسمه فأنا في الحين بالجهاد والاستعداد خرج بعد ثلاثة إلى وادي
الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي أغارت من أى أرض للعدو كانت ؟
فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية وفتح حصونها وخرابها وأحضر المرأة وجميع من
أسر له أحد في تلك البلاد وقال للعباس سلها هل أغاثها (الحكم) ؟ فقالت :
والله وشفى الصدور وانك العمد واغاث المدحوف فأغاثه الله وأعز نفره .
فارتاح لقوتها هذا

مثل هذه التجدة الآن تعجز أوروبا بأجمعها عنها ولقد أبغزتها فعلا في
مسئلة البوير فلم تنس بنت شفة واج صوت الشیخ الرئيس كروجر فرط
النداء والاستصراخ . (وما أنت بمسمع من في القبور) قبور الشهروات والملاذ
التي أنس الناس الفضيلة ومكارم الأخلاق وصبحهم لا يعرفون شيئاً غير صيانة
هيا كلهم في حصون الجن حتى أصبح الصدق تكريعاً والنصح والأخلاق
تضييقاً وكأنك لو نظرت لتاريخ أوروبا والشرق لا تجد غير ذلك : اندفاع إلى
المفعة والمفاصم بغير نظر إلى شرف أو فضيلة

انا لو شئنا سرد الشواهد على ان مدنية أوروبا (بالقول لا بالفعل)
لاحتاجنا الى تأليف جديد ولكن الظن بالقراء انهم يكتفون ببعض هذه
الشواهد الظاهرة والأغراض السياسية الكاذبة مما لا يوجد في بلاد المسلمين
أبداً لأنهم يجهلون التلقيق والتويه في الحقائق وابرازها في أثواب الزور المدبجة
بألوان التمدن العصرى

— ○ عبد الرحمن بن الحكم ○ —

هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام الأموي . وهو أبو المطرّف عبد الرحمن الثاني ملك الاندلس ويقال له عبد الرحمن الأوسط لتوسطه بين عبد الرحمن الأول والثالث ولد بطليطلة سنة ١٧٦ وتولى الخلافة سنة (٢٠٩) على أثر وفاة والده عمره ثلات وأربعين سنة وولي الحكم ثلاثين سنة وتوفي سنة تسع وأربعين وما تئن

كان عبد الرحمن أسمراً طويلاً أقنى الأنف عظيم البحية حازمًا قويًا شجاعاً جمع الله فيه ما بين لطف الأدباء والشعراء وفضل العلماء وشجاعة القواد ومهابة الحكام فـ كان نادرة زمانه

هذه أبوه الحكم وعوده على الجلوس على مرتب الملك والسلطان لأنه استعان به في مهام أمره من الوظائف السلطانية التي تدرج تحت الخلافة ويشتمل عليه منصبها من أحوال الدنيا والدين فأنفذه في عظام المهام وولاه قيادة الجندي محاربة الأفرنج وتذليل البلاد الثائرة فأصبح له من النظر بأمور الجندي والصلاح والخروب والبصر بسائر أمور الحياة والمطالبة بالحقوق ما يكفي لمثل هذا المقام وحسبك أنه هو الذي أخمد فتنة طليطلة باليوم المعروف يوم الحفرة المبوسط خبره في مواضعه من كتب التاريخ

تولى الملك بعزمية الصلاح ومساعي النجاح وأولاده العز والنصر وخص أعداءه بالذل والقهقر . فقد خرج عليه عم أبيه (عبدالله البانسي) ينافيه الملك فلم يلبث أن مات وخلصت الحكومة له فصرف همه لآخرين

الفتن داخل بلاده ورد غزوات الافريقي عنة ورفع معلم العلم فيها وكان له الفوز
في أكثر حروبها واستولى على برشلونة وغيرها من البلدان وطرد الفرساناويين
من قطالونيا

وَقَعَتْ هِيَبَتِهِ فِي قُلُوبِ مُلُوكِ الْأَفْرِنجِيِّينَ فَقَازَ فُوزًاً عَظِيمًاً وَغَزَا بِلَادَهُمْ
مِنْ إِيمَانِهِ . وَوَقَعَ لِأَخْمَادِ الْفَتْحِ الْيَمَانِيِّ وَالْمَخْرُوبِ بِلَادَ مَرْسِيَّةٍ وَدَانَتْ لَهُ . وَأَفْتَحَ
بِرْ شَلُونَهُ مَرَّةً ثَانَيَةً بِمَدِّ مَا تَقْضَى عَلَيْهِ وَهَدَمَ سُورَهَا . ثُمَّ فَتَحَ مَدِينَةً بِاجْهَهُ
وَاسْتَوَى عَلَى مَدِينَةِ طَلِيلَةٍ . ثُمَّ كَانَتْ لَهُ وَقَائِعٌ كَثِيرٌ مِمَّا يَعْصَمُ أَطْرَافَ
بِلَادِهِ وَالْفَرْنَسوَيْنِ وَكَانَ الْفُوزُ لَهُ فِي مَعْظَمِهِ مَعَ الْغَنَامِ الْكَثِيرِ

كانت في أيامه غزوات النورمنديين (١) المعروفة في توارييخ العرب (بغزوات الموس . أو ظهور الموس) واختلف القوم في توارييخ حدوتها وفي تمدد غزوتها ومنهم من جعلها غزوتين والا ظهر انها غزوات متتابعة لم تكن ذات شأن في أول الامر . ثم أقبل النورمنديون في أوائل عام ٨٤٥ مسيحية بجيش جرار في سفنهم وعادوا في سواحل الاندلس ونهبوا (قادس) وظفروا بالمسلمين . ثم ساروا الى اشبيلية في السنة التالية نخرج اليهم أهلها وقاتلواهم فقطل الكثير من المسلمين وانهزموا واكثر النورمنديون من الذهب والسلب

(١) أهالي نورمنديا في جنوب فرنسا وأصلهم من السويد

وعاوا في البلاد وعادوا إلى مراكبهم ثم خرجوا منها وحشد عبد الرحمن
جيوشه من كل البلاد وكانت بين الفريقين حرب شديدة فاضطر النور منديون
إلى الرحيل عن الشيلية ولكنهم ظلوا ينتقلون في السواحل ويعيشون سلبًا عنها
إلى أن تمكن عبد الرحمن بعد الجهد الجهيد والعناية الشديدة من طردتهم عن بلاده
ووصلت جيوشهم إلى مدينة ليون ورمواها بالحجارة فهرب أهلها عنها
وترکوها فغنم منها المسلمون غنائم كثيرة

كانت الخلافة بالأندلس لا تشبه غيرها من خلافات المشرق لما يليها
من شدة الحر وطول الشهر وقلة الراحة ودوار اليقظة لأن غارة جيرانها
من الأمم المعاشرة لها لا تقطع ولا ن المسلمين فيما بينهم (جسم غريب) وكل
فرد من هذه الشعوب ليس له هوى غير الانتقام منهم والتمكن من إعادة
أرضهم وملكيتهم والحوطة عليه . وشغلهم أن يبقوا متکالبين على الطلب
ومتنھی آمالهم أن يعيدها كما كانت لا يغفلون عن ذلك أبداً وليسوا بصادفين
فيحتاجون إلى من ينطفهم ولا لا هين فيضطرون إلى من ينبعهم بل متعرضين
لذلك تعرض المستعمر بعزم الواحد للمتكلف ولا يزال حكامهم ينصحون
به الناس على طول الأيام وإناس فاعلون

هذا حال العدو الحارب . وأشد منه حال الصديق المخادع . والرصيف
المنافق . وهو الذين يرصدون صراحت الكيد للدولة من العمال فقد انتقض
عليه بعض عماله يدعون للخلفاء العباسيين ببغداد (ولو كانوا ببغداد لدعوا
فيها للأمويين بالأندلس) فكان هؤلاء من طرف وحروب الأسبان من
جهة أخرى حتى استقلت ولايتها (أرغوان) و (نواره) عنه . ومع هذا فقد
ترك مالكا قويًا خلفه عليه ابنه (محمد)

بلغ مرتبة نقطعت دونها انفاس المنافسين وتضررت احشاء الحاسدين
من الثاني الذي رأبه والشعت الذي لمه والعدو الذي أرغمه فبعث اليه (نوفلس)
ملك القسطنطينية بهدية وطلب مواصلته ورغبته في ملوك سلفه بالشرق (١)
(تأمل لهذا الحدق في بذر بذور الشفاق وانظر سهام المكاييد النافذة) وذكر
له المأمون والمعتصم في كتابه وعبر عنهم (بأسماء امهاتهما) إمتهاناً لافت هذه
الحالة من الامير عبد الرحمن رجلاً خيراً حكيماً فدفعها بدهائه وكفاءة على
هديته وبعث اليه (يحيى الغزال) من كبار أهل الدولة وكان مشهوراً في الشعر
والحكمة فاحكم بينهما وصلة الحب وارتفع لعبد الرحمن عنده ذكره وأي ذكر
كان واسع الرزق في كل شيء حتى في ذراريه فقد مات عن ٤٥ ولداً
ذكوراً. وكان أديباً شاعراً عالماً بالشريعة وغيرها من علوم الكلام بعيد
الحمدة . وهو أول من شاد القصور الجميلة والمتزهات ومهد الطرق وأي بالماء
العذب إلى قرطبة من الجبال وبني المدارس وأسس ديار العلم وشاد الجواجم
الكثيرة وبنيت في أيامه الجواجم بكور الاندلس وزاد في جامع قرطبة ومات
قبل أن يتهيء فائده ابنه (محمد)

هورابع ملوك الامويين بالأندلس ولكنه أول من أقام أبهة الملوك وكان
محباً للعلماء والآباء . جمع إليه ذوى الشهرة من شعراء العرب وذوى الفضل
منهم . ويعرف الأوروبيون انه لم يكن في زمانه دار ملك كدار ملكه
أبهة ومجداً

لعل عبد الرحمن هذا هو الذي نقل هيئة الحكومة إلى مارزن اليه العلامة
ابن خلدون في مقدمة من غير ان ينسبه لأحد (قال في كلامه على العمran

(١) يعني الخلافة الاموية بالشام التي ابنتها منهم العباسيون

البدوى : وأما دولة ابن أمية بالandalus فاللهم اسما الوزير في مدلوله أول
الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً وأفردوا كل صنف وزيراً جعلوا الحسبان
المال وزيراً وللتوصيل وزيراً . وللناظر في حواجز المتظلمين وزيراً . وللناظر
في أحوال أهل الشغور وزيراً . وجعل لهم بيت يحملون فيه على فرش منضدة
لهم وينفذون أمر السلطان كل فيما جعل له الخ) وهذا شبيه بنظار الحكومات
الآن (ولعله مبتدعه)

دخلت في مدة صناعة الغناء من المشرق إلى الأندلس بوفود زرباب
المغري مولى المهدي من العراق إليها وهو تلميذ إبراهيم الموصلى فركب بنفسه
إليه وتلقاه وأكرمه وأقام عنده بخیر حال وأورث صناعته أهل المغرب وخلف
أولاداً وخلفه في صناعته وخطوه كثيرة عبد الرحمن ثم انقطع هذا إلى أزمان
الطوائف

وغير خاف ان هذه الصناعة هي آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كالآلية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح . وهي أيضاً أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه أو تبدلاته (كما هو واقع بصر الآن) ولا مشاحة في ان هذا الفن من أجل الفنون لأنه ينفع المرضى كاينفع الاصحاء وقد كشفت العلوم الجديدة والمدن الحديث لزومه لكيان الوجود والحياة لزوم الماء والشعب وان عليه مدار صحة الامم لأن الفراغ واللذة بعد الكد والعمل لابد منها والا فالمجتات هالك لا محالة

وهو أول من أحدث النقش في الخاتم بمزيد عن الاسم فكان نقش خاتمه (عبدالرحمن لقضاء الله راض) وكانت أيامه أيام رغد وهناء على ما فيه من الحروب بل الفتن الداخلية وذلك لأنه كان يتلقاها بفكر ورأي وثبات جاش

وحزم فلما تثبت الفتنة أن تزول ولذلك بلغ في ملكه اتساعاً عظيماً وجي ما لا
كثيراً وكان طروباً خوراً بمحده وأعماله اللاقعة فمن شعره في ذلك
تدارك بي الله دين المهدى فأحيمته وأمنت الصليبيا
ألاقي بوجهى سوم الهجيجي ر اذا كاد منه الحصى ان يذوبا
فكمن قد تخطيت من سبب ولاقيت بعد دروب دروباً
وكان مولعاً بالسماع محباً له وهو أول لذاته . شغله عن كثير من المنكرات
التي تعظم عليه ببعتها والحمد لله

لاشك ان القاريء ينسب كلها لهذا الخليفة من الاعمال الخيرية لقوته
الدين وشدة العزيمة والبحث عن عواقب الامور وفرط الروية والتبصر وأساس
ذلك كلها العلم والعمل اللذين فتح له بهما أبوه
باشر في عهده أبيه الملك فدربه فيه تدريب الحكيم فذوليه لم يتعرفي
ذيله الطويل ولم يتحمل أبوه مسؤولية الخلافة حياً ويميناً بل أبرزه لاورى هبرزيا
لا يفرى أحد في ربه

صرف بصراه الى وطنه . وعرف ما يجب له عليه . خدق النظر . واستقطع
الخلفايا واستجلى الدقائق . فتجالت له دعامة وجوده وروح حياته . فرأى انه بالفضائل
يحيى . وبالرذائل يموت ويفنى . وباختيار الامماء الا كفاء من الرجال يعزّ ويعنى .
وبالدخلاء يذل ويشقى

تجلى له هذا المظهر فشعر بأن له شأناً عظيماً في الوجود وأحس بقواه
المقدسة التي أودعها فيه مدبر الكون فاندفع الى طلب الفضيلة الحقيقة والكمال
الصحيح الذي هو له أهل فأصبح من أحسن الناس سيرة
وانما المرء حديث بعده فكمن حديثاً حسناً من وعي

عبد الرحمن الناصر

هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الاندلس من الامويين
ويعرف بعبد الرحمن الثالث . ولد في سنة ٢٧٧ وتولى الحكومة سنة ٣٠٠
وتوفي سنة ٣٥٠

وَجَدَ الْأَنْدَلُسَ مَضْطُرَّةً بِالْمُخَالَفِينَ مَضْطُرَّةً بِالْمُتَعَلِّمِينَ بِسَبَبِ أَنَّ مِنْ
تَوْلِي الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ (كَهْمَدْ) وَ (الْمَنْدَرْ) وَ (عَبْدِ اللَّهِ)
لَمْ يَصْفِهِمْ جِيرَانُهُمْ وَلَمْ يَهْمِلُهُمْ أَيَّامُهُمْ فَلَمْ تَطْلُعْ مُدْتَهُمْ فِي الْمَلَكِ . وَلَمْ يَطْلُعْ أَيْدِيهِمْ عَلَى
أَعْدَاءِهِمْ بِالْدِمَارِ وَالْمُهْلَكِ فَاشْتَغَلَ فِي اطْفَاءِ تِلْكَ النِّيرَانِ وَاسْتِرْزَالِ أَهْلِ الْعَصِيَانِ
مَدْةً اسْتَوْعَبَتْ نِيَّفَهُ وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ لَهُ الْأَنْدَلُسُ فِي
سَارِرِ جَهَاهَا بَعْدَ اسْتِيَطَانِ الْبَلَاءِ وَفَقَدِ الرِّخَاءِ وَاشْتَعَالِ نَارِ النَّفَاقِ وَضِيقِ الْآفَاقِ
فَإِذَا بِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ الْمُشَهُورِ بِالسَّيْفِ الْمُنْصُورِ وَحَقَنَ الدَّمَاءِ الْمَسْفُوكَهُ وَأَمْنِ
السَّبِيلِ الْخَوْفَةَ وَأَحْرَزَ الْأَمْوَالِ الْمُنْتَهِيَةَ وَحَصَنَ الْبَلَادَ الْخَرْبَةَ وَجَمَعَ بِاِمَامَتِهِ
الْكَلَمَةَ بَعْدَ افْتَرَاقِهِ فَهُوَ الَّذِي رَفَضَ الدُّعَةَ وَهِيَ مُحْبَوَهُ وَتَرَكَ الرَّأْفَةَ وَهِيَ
مَطْلُوبَةٌ لِتَلِينِهِ لِلْأَحْوَالِ بَعْدَ الشَّدَّةِ وَتَكَسُّرِهِ مِنْ شُوكَتِهِ بَعْدَ الْحَدَّةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَى آلَائِهِ

وَمِنَ الْفَرِيبِ أَنَّهُ كَانَ فِي عَهْدِ تَوْلِيَتِهِ شَابًا وَأَعْمَامَهُ وَأَعْمَامَ أَيْهِ حَاضِرُونَ
فَتَصَدَّى إِلَيْهَا وَاجْتَازَهَا دُونَهُمْ كَأَنَّ اللَّهَ هِيَهُ وَأَعْدَهُ لِمَا أَرَادَهُ مِنَ الْخَيْرِ عَلَى
يَدِيهِ لِهَذِهِ الْبَلَادِ

هُوَ أَوْلُ مَنْ تَلَقَّبَ بِالْقَابِ الْخَلَافَةِ وَتُسَمَّى (بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) وَكَانُوا مِنْ
قَبْلِهِ يَخَاطِبُونَ وَيَخْطُبُ لَهُمْ بِالْأَصْرَ كَمَا تَقْدِمُ الْكَلَامُ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَحْقِقَ أَنَّ أَصْرَ

الخلافة بالشرق قد ضعف واستبدت على الخلفاء مواليهم والثالث أمرهم على جماعة المسلمين وتطاولات أيدي الديلم لقتل الخلفاء (كما وقع لامقتندر من خادمه مؤنس) فظهر بظهورها في مجالس الحشد والحفلة ومواطن الأذن والعظمة مستكملا شعارها من الا كبار والاعظام والاجلال والا كرام

مدت اليه أمم النصرانية المجاورة لمملكته من وراء الدروب المستحكمة يد الطاعة والاذعان خوفا على أنفسهم وممالئهم من مطوي أفكاره ومخبوء تدابيره السديدة وآرائه المفيدة فصفا لهم إذ صافوه وأمنهم اذ سالموه تحرزاً من الواقع في اشراره وآفدوه عليه من رسليهم وهداياهم من رومه والقدسية ففي سبيل المهادون والتزلف والسلم والاعتمال فيما يعيشه من رضاه ووصل إلى سدهه الملوك المتاخرون لبلاد المسلمين بجهات (فشتاله) و (بنبلون) وما ينسب إليها من الشعور الحوفي . فكانوا يقبلون يده ويلتمسون رضاه ويحتقبون جوازه ويعتبطون مراكبه وكل وفد من الوفود يحتفل في لقياه بالعسكر والقواد وأصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة كالموالي والخشم بما يناسب هول المقام وأبهة الخلافة ثم تقام لذلك الاحتفالات الشائقه وتتلى فيها الخطب الرائقة بما يدل على خفامة جاه الدولة وبيان ما يخطبه الغير من موادها ثم يغدق على أولئك الوفود بالعطايا فيخرجون من الحضرة ويرحلون عن البلاد وقد اشتد عجفهم وطال تحدهم بماراؤه من قدرة السلطان وعظمة الملك مما هو مبين في مواضعه

سما إلى ملك العدو فتناول « سبعة » ونقل « الفرضة » من أيدي أهلها وأطاعه بنو ادريس أمراء العدوة وملوك زناته والبربر وفتح طايطلة . وقرمونة . واشبيلية . وكثيراً من البلاد العاصية والنواحي المستقلة .

كانت أيامه أيام جهد وعناء بما لقى من عنت الحوارج وتمرد العصاة
وطعم ملوك الاطراف من المسلمين وقتل أمراء النصارى في أستوريما .
ونواره . وملكي لاون أوردينو الثاني . وراميير الثاني ومحاربة الفاطميين في
افريقيا بعد ظفرهم بالملوك الادارسة وايفال جنوده في السودان المصري ومع
ذلك فقد خرج ظافراً من معظم تلك الجروب ودخول البلاد وآخذه لقتن وظفر
بالمتنقضين عليه

انظر لما شيده من الآثار وأقامه من علام المجد مع هذه البلايا وال المصائب
الداخلية والمحن والفتن الخارجية المثلثة حول كرسى خلافته لا يكاد يلتقط إلى
واحدة منها إلا وتستصرخه أخرى

يده بيساء على العلم والصناعة والتجارة فازدادت بذلك شهرته ومكانته
 فهو الذى أنشأ المباني العظيمة وشيد المساجد والجوامع والمدارس الفخيمة ومن
أشهر هذه الاعمال الخطيرة (مدرسة الطب) وهي أول مدرسة أنشئت في
أوروبا بأجمع المؤرخين (والكتبة الشهيرة) بغرنطة وهي أجل مكتبة كانت
في عهدها على ظهر الأرض أو دعها سهابة ألف مجلد (الاسطول) البحري الذي
غزا به افريقيا .

شيد مدينة (الزهراء) وكأنما أحاطها بشعار التعظيم وأليس بارداء التكريم
وناهيك ببلدة استدعى لاقامتها وبناء قصره (دار الروضة) فيها عرفاء البنائين
والمهندسين من كل جهة فوفدوا عليه حتى من بغداد والقدسية وأقيمت
على ٤٣٠٠ عامود من المارمر الخالص وصرف في بنائها ٧٥٠٠٠ دينار (١)
 واستغرق العمل فيها خمس سنين

(١) قيمة الدينار تساوى نصف ليره الجميلية تقريراً

جلبوا اليها الماء من مستقره في الجبال لسقاية المدينة ولو الزم قصر هو قصور
سلفاته وأخموه الله تملك المباني وأعظموها في نظر كل انسان ففوق انت لعلو درجتها
ما تقدمها من الآثار . جمعت عجائب البناء وغرائب الاشياء خدائق القصور
التي شيدها كلها ميدان اعتبار واختبار كانت منتزها للانسان ومرتع الحيوان
ومساح للطيور فهي للمالحة وال الحاجة والقطابة والزاهدة ثم اقام دار الصناعة (١)
وجمع فيها من آلات السلاح لا حرب مالا يوصف وأحيى بواسطتها ميت
الاعمال الصناعية ثم جلب اليها ما قدر عليه من الخارج أيضا كصناعة العاج
والآبنوس والصفرو مواد التلبيس والترصيع والتطعيم بالفضة والذهب التي
لازال آثارها باقية للآن في تماريج أبواب القصر والمدينة مجلبة لاحسارات
على مواضي هذه الايام

هم الملوك اذا ارادوا ذكرها من بعدهم فالبسن البنيان
ان البناء اذا تما ظلم قدره اضجى يدل على عظيم الشان
ذكرت جماعة المؤرخين سبيلاً طيفاً لبناء هذه المدينة (الزهراء) قالوا
ان الناصر ماتت له سرية وتركت مالاً كثيراً فأصر أن يفك بذلك المال أسرى
المسلمين وطلب في بلاد الأفريقيين أسيراً فلم يجد فشكر الله على ذلك وبني
هذه المدينة (فله من هذا الفكر السامي الذي صير ماله بين أن يجلب به على
الامة الشرف العظيم أو يقيم لها به الاٰثر الفخيم)

(٤) حرف هذه المفظة حتى صارت (ترسخانة) وهي المعروفة

فيه تكون متحققة أن يصان من حرمة الملك ويخربون ما يجب أن يحفظ من هيبة السلطان . فهم الساهرون إذا رقد الناس المستيقظون إذا ناموا ليشنوا أنكر الغارات على الحاكم ويقيموا أقبح العثرات في وجه الخليفة ليقدموه عما هو فيه من نصرة الدين وال المسلمين

كان الخليفة عبد الرحمن كثيير الجهاد والغزو بنفسه في سير إلى دار الحرب ليشنن في العدو حتى يدعوه للطاعة . لأشعل له إلا فتح المضون وأمتلاك البلاد والنواحي واقامة ميزان عدله فيها

كبير على الخونة والمردة إن يوطئ عساكر المسلمين من بلاد الأفرنج مالم تطأه قبل في أيام أسلافه . وحدث أنه كان للخليفة عبد الرحمن وزيرًا باسمه (أحمد) نقم عليه أصرا وأتهمه بخيانة قتله . وكان لهذا الوزير أخ يدعى أمين بن اسحق من بني اسحق أبناء الاندلس المروانيين (عمال الاندلس في عهدبني أمية وبني مروان) فقد اسحق على الخليفة وعصى في مدينة (شنترين) سنة ٣٢٥ وأحدث بها ثورة عظيمة . ثم التجأ إلى (رادمير) ملك الجالطة ودله على عورات المسلمين وكانت بينهم الواقعة المشهورة بواقعة (الختندق) ذهب فيها من عسكرو المسلمين خمسين ألفاً أو يزيدون بخيانة هذا المارق والاعجب من ذلك أنه استأمن إلى الخليفة عبد الرحمن بعد أن تخلاص من (رادمير) ووسعه حلمه وكرمه وقبله أحسن قبول

بعد هذا الحادث قعد الخليفة عبد الرحمن عن الغزو بنفسه وصار يردد الصوائف (١) في كل سنة ثم جهز عسكراً مع عدّة من قواده إلى الجالطة وكان له عدّة حروب هلك فيها من الجالطة خلق كثيير

(١) الصوائف جمع صائفة وهي غزوة الروم صيفاً لقلة الثلج والبرد

أنظر (لولا هذه العترة) كيف يكون ملك الانداس مع خليفة مثل هذا جمع أشتات الفضائل حيث أعطى القوتين العلمية والجارية ورفع منار العلوم والفنون وأدخل في الانداس مفاخر كل جهة وزينة كل بلد وانقاد له المغرب الاقصى وحدث الناس على الادب الديني فانعمسو فيه فترقت نفوسهم وسمت الى صرافي الشلاح ونشرت التربية القومية بتعظيم العلم والتهذيب بغیر تقصير من العلماء الذين هم روح الامم وحياتهم فبعثت الامة في خلق جديد لطيفة له - (أقصها عليك تعلم منها قدر احترام العلماء وقدر اعظم العلماء أنفسهم في أيامه لما ذاقوه من لذة العلم وأحسوا به من شرفه) - اشتق صرة لفقيئه الامام أبي ابراهيم فطابه وكان بالمسجد المنسوب لأبي عثمان يسمع طلبه الحديث الشريف فبعث اليه الخليفة خادماً يدعوه اليه فلما جاءه وبلغه رسالته مولاه قال له السمع والطاعة ولا عجلة . ارجع الى أمير المؤمنين واذكر له عنى انك وجدتني في بيت من بيت الله مع طلاب العلم أسمائهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيدونه عنى وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضاة الله وطاعته فإذا انقضى مشيت اليه ان شاء الله . فقضى الخادم ولم يك الا ريثما أدى جوابه وعاد يقول أنهيت الى أمير المؤمنين رسالتك فقال جراك الله خيراً عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين وإذا أنت أوعيت فامض اليه . وكان ذلك

فحذا الحاكم والعالم . هؤلاء الرؤساء الصادقون المفاحرون الذين زينوا وجه الدين وانصرفوا عن الفخفة الباطلة الى الصراط المستقيم وعلى فعلهم هذا بني القائل قوله

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لمعظما

فتي علماؤنا لهذا السر يفهون وبهذا القليل يتغضون
تهذبت في أيامه الأمة جمع ما يؤثر عن أهل الاندلس من نوادرهم
وحكاياتهم في العدل . والوفاء . وحسن الاعتذار . والقيام بحق الاخاء وعلو
المهمة في العلم والدنيا . والذكاء . واستنباط العلوم واستخراجها . وحب العلم .
واللطف . ورقة الاخلاق . والقوة والشجاعة . والمالح . وأجوية الملوك .
والظرف . والبلاغة . وعدم احتمال الضيم والنذر . والانفة . والجود والفضل .
وسرعة البديهة . والعفو وغير ذلك من الخصال الحميدة التي تدخل تحت
عنوان مكارم الاخلاق جميعها . بما ذلك في مدة فهـ او ما باذره او غارسه
او منميه او مستثمر هـ رحمـ الله

مضت أيام هذا الخليفة على الاندلس وكانها هي خيال حالم أو حديث
نائم تولاها ولم يكن في بيت المال ما يسد شيئاً من نفقات الجنـد وغيرـها ثم
توفي فترك من الاموال المدخرة شيئاً عظيماً فضلاً عن السلطـان الكبير والمجد

البادـخ حتى لقبـه الـافـرـنجـ بالـكـبـيرـ وـالـعـظـيمـ
عـمرـ مـملـكتـهـ بـالـعـدـلـ وـالـإـحـسانـ فـنـمـتـ الـبـرـكـةـ فـيـهـ وـانـفـسـحـتـ نـفـوسـ
الـرـعـاـيـاـ لـلـسـعـىـ وـالـأـكـتسـابـ وـابـتـعدـ عـنـ الـظـلـامـاتـ المـفـسـدـةـ لـلـعـمـرـانـ مـنـ تـكـالـيفـهـمـ
بـالـاعـمـالـ وـتـسـخـيرـهـ بـغـيـرـ حـقـ أوـ أـخـذـ مـاـبـأـيـدـهـ بـأـنـخـسـ الـأـمـانـ فـقـامـتـ الدـوـلـةـ
وـعـظـمـ عـمـرـانـهـ لـأـمـانـ النـاسـ عـلـىـ أـمـوـالـهـ . وـحـرـمـهـ . وـدـمـأـهـ . وـأـمـراـهـ
وـأـعـرـاضـهـ

كـانـتـ الـأـنـدـلـسـ فـيـ زـمـانـهـ زـاهـيـةـ بـالـعـارـفـ وـالـعـلـومـ زـاهـيـةـ بـالـثـرـوـةـ وـالـغـنـيـةـ
يـعـجـبـ الـذـيـ يـقـابـلـهـ بـحـالـهـ الـيـوـمـ . فـأـيـنـ كـثـرـةـ الصـنـاعـةـ وـالـتـجـارـةـ وـالـعـاـمـلـ الـحـرـيرـيـةـ
وـالـمـصـانـعـ الـفـرـيـةـ وـورـشـ التـطـريـزـ وـالـوـشـيـ وـالـنـسـجـ . وـمـعـ هـذـاـ الـكـمالـ الـذـيـ

لأفضله الاكمال الاهلى فقد وجدت بامتداد وفاته ورقة مكتوبة بخط يده
يعدد بها أيام السرور التي صفت له مدة حياته فإذا بها أربعة عشر يوماً
نقب الكثير من طلاب الاخبار على هذا الاثر فاعثروا عليه وجال
في فهم الكثير منهم تأويل ذلك أو استنتاجه فذهبوا أيضاً مذاهب شتى والذى
يدل على الخبر ان صح ان تلك الايام التي عدتها هي أوقات فراغه من اشغال
الملك لأن الملك بني على المشاغل وهى لا تنتهي فإذا تم للملك ما يريد وأمكنه
ان يرصد لنفسه وقتاً يرى نفسه فيه خالياً عن حاجات المنصب الذى أقامه الله
فيه فتلذك سعادته ما فوقها سعادة وقد قال قوم غير ذلك وكثير القول حتى ألف
بعض الاجانب رسالة في تلك الايام ذهب فيها مذهب القصص و «الرومأن»
فأضعف هذا التخمين ذلك اليقين والله أعلم

وخير ما في المسألة ان ينظر العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائتها وبخلها بكمال
الأحوال لا ولائمها . هذا الخليفة الناصر حلف السعoud المضروب به المثل في
الارتقاء في الدنيا والصعود . ملكها خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام ولم
تصف له إلا أربعة عشر يوماً فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة لا إله
الا هو . ثم يستكثر في أعماله من كل خير وبر فـالحياة الدنيا الامتناع الغرور
لأنه يغبط الأقوام يوماً على ما أكلوا خضماً وما سربوا
يدبّل غصن العيش حقاً ولو أضحي ومن أوراده يدبّل

الحكيم المستنصر بالله

هو الحاكم المستنصر بالله ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر وولى عهده من
بعده . اعتلى سرير الملك يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعيانه أثم قيام وأثند
الكتب إلى الآفاق ب تمام الامر له و دعا الناس إلى بيته واستقبل من يومه
النظر في تمهيد سلطانه و تشريف مملكته . و ضبط قصوره . و ترتيب أجناده
و أول ما أخذ البيعة على أهل القصر ثم على أخوه وكانوا يومئذ ثمانية فواني
جميعهم وجلس وجلست الناس للبيعة طبقة طبقة كما هو مفصل في مواضعه
فلما حلت أذن الناس بالانقضاض ثم أخذ هو وأخوه في تشيع جنازة الناصر
لقصر قرطبة للدفن هناك في تربة الخلفاء

وفدت عليه الوفود للبيعة والتماس المطالب وقدمت من أقصى البلاد
بخرى على رسم أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر رضي الله عنه في سلوك سهل
القصد واتباع طريق الرشد واحتداء حسن الأثر حتى قالوا إن الاندلاس
لم تفقد الا شخصه وصح عليه قول أبي الحسين في مدحه أبي العشار
يابن من كل بذلة بدالي غائب الشخص حاضر الاخلاق
لو تنكرت في المكر عليهم حلفوا انك ابنه بالطلاق
استختلف على عمله أهل الفهم والمعرفة وذوى الدين والورع والدعة
والفقهاء المشهورين بالغته والكتفائية والعلماء الجامعيين لارواية والدرایة حتى
ظهر في عيون الاعداء والاصدقاء بعاظر الكرامة والاحترام
أهدى للحكم في أوائل ولايته هدية جمعت أنفر الآثار المظيمة والثعم
الزائدة فمن مماليك كأنها الأغصان ناشية على ظهور خيول صافية كما لو

الشكة والأسلحة يشجى بهم حلق العدو المداوي والخصم المنازل والسيوف والرماح والتراس والقلانس الهندية والدروع والخوذ المختلفة الاجناس فكان لذلك مفترخ جليل ومحتمل تضاعف به اغتياط قوة حرمة الملك واستطال به عماده على جميع المملكة

غزا بنفسه لأول وفاة الخليفة الناصر جيوش الجلاقة الذين طمعوا في التغور واقتجم بلد (فرلنند) وفتح (اشتبتين) عنوة فبادروا الى عقد السلم معه وانقضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالباً مولاهم بلاد (جليقيه) وسار الى مدينة سالم للدخول دار الحرب بجمع له الجلاقة ولقيهم فهزهم وأوطأ المسارك بلد (فرلنند) وغزا (شانجه بن رادمير) ملك البشكنس وقد ساعده ملك (الجلالة) فهزمهما وقصد بلاد برسلونه . وببلاد أقومس . وعظمت فتوحاته وظهرت همة قواده ومرابطي شغوره في كل ناحية وكان من أعظمها فتح (قلمريه) و (قطويه)

ثم دخلت سنة ٣٥٤ فابتني حصن (عرماج) وظهرت في هذه السنة مراكب الحوس (في الاطلانطيق) وأفسدوا (اشبونه) (١) فناشتهم أهلها القتال فرجعوا الى مراكبهم وأمر الحكم القواد خرجنوا لحفظ السواحل وأمر قائد البحر بتعجيل حركة الاسطول ونال منهم من كل جهة من السواحل

تم له مآراد مع ملوك البشكنس وغيرهم وعاهد (لنديق) ووفدت عليه أمه بهدايا ملوكيّة عظيمة ووصلته ووصلها وحملها أحسن محمل وأجزل عطاها

(١) ليسبون قاعدة مملكة البورتغال الآن

أوطأ عسا كره أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوست وتنقى
 دعوته مسلوك زناة من مفراوه ومكناسه فبشوها في أعمالهم وخطبوا بها
 على منابرهم وزاجموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بنى الحرز وبنى
 العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصر فهم واستنزل بنى ادريس
 من ملوكهم بالعدوة في ناحية الريف وجلاهم الى الاسكندرية
 أما خلاله الشخصية فقد كان آية في الفضيلة. سمع من اجلاء وقته وأجازله
 ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير وكان محبا للعلوم مكرما لا هله بآجاله اثار
 الشريفة والاسفار الكريمة والكتب القيمة على اختلاف أنواعها فسبق من تقدمه
 وجمع مالم يجتمعه أحد من الملوك قبله فأقام للعلم سوقاً وجدد للعلماء شوقاً وظهر
 بهذا المظهر جلبت اليه بضائع الفضل من كل قطر وحسبك لخزانة جمعت
 من الاسفار ما اقتضى لاستيفاء فهربتها (أربعة وأربعين جزءاً) . جمع مقداراً
 ضاق بخزانته عنه وكان ذا غرام بها وقد آثر ذلك على كل لذاذ الملك
 وأغراض الملك فاستوسع علمه ودق نظره وجد استفادته وكان في المعرفة
 بالرجال والاخبار والانساب ثقة فيما ينقله . ومن أشد ما يتعجب منه
 وقد اتفقت على روایته الرواية انه قلما يوجد كتاب في خزانته الاّ وله فيه
 قراءة في أي فن كان وعليه تخariج بغرايب لا تقاد توجد الا عند
 أتحفه أبوه (الخليفة الناصر) بأحسن ما يتحف به والد ولده فقر به من
 العلماء وقرب العلماء منه ومكان بينه وبين كل وافد على الاندلس من المشرق
 من العلماء فكانت نفسه روحانية صرفاً . وقد أبو على الغالي صاحب كتاب
 الامالي على الاندلس من بغداد فأكرم الناصر شواه وأحسن منزلته وأعلى قدره
 واختصه بالحكم فأورث أبو على الاندلس عمه وأفاد الحكم بأحسن ما عنده

قويت عند الحكم رحمة الله مادة حب العلم حتى كان يبعث بالتجار الى
الاقطار ومعهم الاموال لشراء الكتب واستجلاب المصنفات من الاقاليم
والنواحي باذلا فيها ما ممكن من الاموال مما لا ينفعه غيره حتى جلب للاندلس
مالم يعهد له علماؤها . هذا كتاب الأغاني بعث فيه لأبي الفرج الأصفهاني
مصنفه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخته قبل أن يخرجه الى
العراق وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الابيري في شرحه لختصر بن عبد
الحكم

جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمرة في الضبط والإجادة في
التجلييد فأوّل من ذلك كله واجتمعت بالأندلس خزان من الكتب لم تكن
لأحد من قبله ولا من بعده ولم تزل بقصر قرطبة حتى أصابتها مصيبة البربر
عند دخولهم اليها عنوة ولا حول ولا قوة إلا بالله

يطيش الإنسان عند ما يجد خليفة مثل هذا استشعر الناس في زمن خلافته
بالمسحة والمعزة والقوة في الدين وجماعة المسلمين وعلا به كعب أسر أئمهم وسمت
نفوذه بواسطة آدابه الى كل عمل شريف وأفاضوا بالتحدث فيه وكانت
لخطباء والشعراء ميادين ومقامات يطول القول في اختيارها . وسيرته مجهرة
عند كثير من الناس وعند ناشئاته الشرق بأجمعهم فان سُئلوا عن ملك عالم
مثلًا فأقرب ما يحدّثونك به سيرة (كارلوس الأعظم) أو (لويس الرابع عشر)
نعم انّهما كانوا في تعزيز العلم وتشييد أركانه آتينا ولكنّهما ليسا بمحظ المسلمين
ان أرادوا افتخار وأولى به ان يلم بخبر نفسه ودينه وملته وتاريخ مجده وحياة
خلفاء الاسلام في ذلك من الخير الكثير ما يربو على ماعلم ويزيد على ما حفظ
فلا يكون مصداقا لقول الشاعر

(كتاركة يضها بالمراء وملحفة بيض أخرى جناحا)

يصح أن تكون هذه الخلافة خاتمة خلفاء الاندلس ذات الدولة العظيمة

والثروة الوفرة والمجد البادخ لأنه لما توفي الحكم رجحه الله فأول ما حادث أن
قتل المغيرة أخوه وهو المرشح للحكم وولي بعده ابن الحكم هشام وكان صغيراً
سنن تسع سنين ليتم لابن أبي عاص في الدولة ما يريده كما سيجيء تفصيله إن شاء
الله . ثم ولـيـ المـهـدىـ مـحـمـدـ بـنـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الجـبارـ بـنـ النـاـصـرـ وـهـوـ أـوـلـ خـلـفـاءـ الـفـتـنـةـ
ثـمـ اـتـىـ الـأـمـرـ بـسـقـوـطـ الدـعـوـةـ لـلـخـلـافـةـ الـأـمـوـيـةـ وـاسـتـبـدـتـ مـلـوـكـ الطـوـافـ
كـاـسـيـائـىـ

كـانـ الدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ مـنـ أـعـظـمـ الدـوـلـ مـكـانـاـ وـأشـرـفـهاـ مـوـقـاـ ظـهـرـتـ فـيـهاـ
مـنـافـعـ كـثـيرـةـ لـلـاحـضـارـةـ وـالـمـدـنـيـةـ عـامـةـ وـالـأـمـرـيـةـ عـرـبـيـةـ خـاصـةـ يـكـادـ السـامـعـ بـهـاـ
لـاـ يـصـدـقـ بـزـوـهـاـ كـأـنـاعـلـيـمـاـ مـسـحـةـ مـنـ بـقاءـ وـدـوـامـ : زـرـاعـةـ مـتـقـنـةـ وـصـنـاعـةـ رـاجـحةـ .
وـالـمـدـارـسـ تـخـرـجـ حـكـماءـ وـعـلـمـاءـ وـقـوـادـاـ . وـأـبـطـالـ اـشـدـادـاـ . وـفـلـاسـفـةـ صـرـشـدـينـ
وـكـتـبـةـ وـحـسـبـةـ مـنـ أـحـسـنـ الـكـتـابـ الـمـقـرـبـيـنـ . وـشـعـرـاءـ مـصـنـفـيـنـ وـصـنـاعـاـمـهـرـةـ
مـبـرـزـينـ فـيـ فـنـونـ الـبـنـاءـ وـالـتـصـوـيرـ وـالـنـقـشـ وـالـتـزـينـ لـاـ تـرـازـ آـنـاـرـهـ تـدـلـ عـلـيـهـ
وـتـشـهـدـ بـفـضـلـهـمـ وـشـهـادـةـ الـمـدـوـ الـمـنـاوـيـ أـعـدـ شـاهـدـ

حـجـتـ إـلـيـهـ مـلـوـكـ الـأـرـضـ قـاطـبـةـ يـسـتـشـرـفـونـ مـعـالـيـهـ بـأـجـلـالـ

يـصـدـ مـطـمـعـ مـنـ نـاوـاهـ مـبـتـئـسـاـ يـعـيـيهـ عـنـ حـذـوـ تـمـثالـ بـتـشـالـ

وـلـكـنـ مـاـ الحـيـلـةـ فـيـ اـحـتـدـامـ حـرـوبـ الـنـفـوسـ الشـرـيرـةـ وـنـزـولـ بـلـاءـ سـوءـ
الـإـلـاـقـ وـاـنـقـرـاضـ الـدـوـلـ وـاـنـخـطـاطـهـ بـيـدـ أـهـلـهـ . يـحـقـ لـلـسـائـلـ أـنـ يـسـأـلـ أـيـنـ
ذـهـبـتـ هـذـهـ الـعـظـمـةـ وـكـيـفـ وـهـيـ هـذـاـ الرـكـنـ الـعـظـيمـ وـمـاـهـوـذـلـكـ الشـىـءـ الـجـسـيمـ
الـذـيـ أـدـىـ لـهـذـاـ الـاـخـتـلـالـ السـرـيـعـ فـيـ الـخـلـافـةـ الـأـسـلـامـيـةـ فـيـ الـمـغـرـبـ وـالـظـاهـرـ

ان السبب في ظهور روح الشفاق والخروج على السلطان من الامامة والطبع
 في الخلافة من كل من له وشيعة رحم بالخلافاء خروج الخلفاء أنفسهم عن المهرج
 الشرعي والاتهاج لغيره ولذلك نسب كثير من المحققين اختلال هذه الخلافة
 لمدول عبد الرحمن الاول (الداخل) عن البيعة وميله (ولاية الامم) فقد عهد بالخلافة
 لمن بعده من ولده وخص بها (هشاما) الاول فكببر ذلك على أخيه الكبارين
 سليمان وعبد الله وخرجا عليه وحاولا سلب الخلافة منه فتغلب عليهمما وعنى
 بهمما ثم خرجا بعده على ولده الحاكم وطلبا قسمة البلاد معه . ويقولون ان نار
 هذه الفتنة كانت مضطربة ولكن قوة الحاكم القائم بملكه أوقفت الناس عند
 حدتها زمانا ورثتهم على أعقابهم عهدا ثم لما انصرم هذا العصر حدث ماحدث
 وأنه لو جرى المسلمون كما دعوه في الاختيار والانتخاب لسلموا من هذا البلاء
 فان هذا الحادث أوجب في نفوس العمال طمعاً كبيراً وحدث كل نفسه في
 خلوته بما حدث فكانوا يخفون أمرهم في إبان القوة خوفا على مناصبهم ويظهرون
 بكمال الطاعة واللتزام في ظاهر الامر ويستعدون لنوال مقاصدهم سراً
 ويترصّون بالخلفاء الدوائر حتى أضرم القتال في شمال البلاد ولادة سراقسطه.
 وطال طلة . وجوسقة . ثم توالت الثورات حتى زلزلات المملكة بزلزالها وأورثتها
 خيالاً بوبالها وقويت الامراض حتى أضفت خراج الدولة (وكذلك الظلم
 كثين في النفس القوة تظاهره والضعف يخفيه) وفي الحقيقة ان منهاج الخلافة
 الشرعي - وهو جعل الحل والعقد والنكث والقتل وسائر الشؤون العامة مقيدة
 بالشوري المتبعة - يحبب للامة معالي الامور وهذه أيام الخلفاء الاربعه وعصرهم
 من أغدر الشواهد على ذلك . والمدول عن سير هؤلاء الخلفاء يدفع بالامة الى
 السفاسف ويحط من مهابة صاحب السلطان ويخفض من شوكته ويستفحلي في

عصره أمر الثوار والخارجين عليه لأنهم يلحظون من ذلك أنه انغماس في التعميم
المضعف للنفوس عن الحرب والجهاد وأهمل أمر الصانع والزارع وان الامة
أصبحت في مدهه أتباعاً لـ كل ناعق وان التربية القومية مفقودة بالمرة ويتبع
هذا عدم تعميم التعليم والتهدیب الذين هما من أهم ماجاء به الدين الحنيف
الإسلامي فإذا وقع ذلك فليرتقب كل عناء وبلاء

— ملوك الطوائف —

هذا العنوان يصح ان يطلق على الملوك من أصحاب الاطراف الذين يملكون كل في بلاده على اثر انقراض دولة قوية . وهو حال يعرض لكل دولة متى أحطت حكامها وأمراؤها من شأنها وأضفت من صولتها حتى علم العدو بمكانها من الضعف وأصبح أمر احتطاطها ظاهراً والقائم عليها لا يقدر على جمع النفوس المفترقة وتأليف الاهواء المختلفة وكف الا كف العادية ورد جماح العزائم الفاسدة . يعرض لها بعد أن يفارقها حسن الرأي وجيد القرىحة وسديد النظر وصححة اختبار الاحوال وحسن اختيار الرجال وغير ذلك من المعانى التي تتشعب من هذه الاصول الشريفة وتعلق بهذه الفصول الرفيعة فإذا أصبح القائم غير ناهض بما حمل ولا مستقل بما قلد ولا نافذ الامر فيها هو له أهل من الامر والنهي ولا مؤد ما سبب تودعه الله من أمانة الحكم على عباده فهناك التقسيم وهناك ملوك الطوائف

ظهرت ملوك الطوائف على اثر انقراض (الدولة الرومانية) . وقامت كذلك على انقاض (الدولة الكيانية) في بلاد الفرس بعد ان قتل « دارا » آخر ملوكها واستولى « الاسكندر » على مملكته . ونهض بهافي المغرب أيضاً أهل السوء الذين لا ييزون طالب الحق من منكره وجاحد الصدق من منتظره (حال اختلال الدولة الاموية) . كانت ملوك الطوائف بالازديس عقب انتشار عقد الخلافة الاموية وما انتاب هذه الخلافة من الضعف لآخر عهدهما وما كان من خلع الجندي لهشام آخر خلفائهم واستبداد الامراء والرؤساء والوزراء وكبار العرب والبربر بالاطراف واقتسامهم خططها وتغلب بعضهم على بعض

واستقلال قوم على قوم واستعداد الفرقة بينهم وبلوغهم في الجهل درجة أدت بهم الى التزلف لاعدائهم ملوك اسبانيا فيدفعون الجزية لهم (عن يد وهم صاغرون) صوناً لملكتهم (سأء ما يتوصون) ويأنفون من ارتباطهم مع بعضهم وهم من عنصر واحد دين واحد وملة واحدة

هدمت الدولة الاموية (بعد ان كانت ارفع الدول عmadًا وأعظمها شأنًا وأضخمها سلطاناً وأكثرها جنودًا وأمدها سلطنة وأعلاها ذكرًا وأبدها اسمها) بسبب سوء اخلاقه وفساد الطياع وخلاله وخداعه ودناءة الاخلاق وخبيث السرائر والطياع التي خالطت القلوب بتغير الدخالة وفساد المفسدين من اعدائهم . مازالوا بهم حتى انسوه خاصه وعامة مكارم الاخلاق فلاوفاء بعهده ولا امانة فانقلبوا على بعضهم وجعلوا بأسهم بينهم وفشت كراهة الاموي للقرشى وتحول الامر من المضرى الى المجرى

وتفرقوا شيعاً فشكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

فرق ملوك الطوائف واقتسموا الاندلس فتجزأت بعد ان كانت مجتمعة وأصبح باشيلة وأعمالها (محمد بن عباد) وبطليوس وأعمالها (محمد بن عبد الله المعروف بالافظس) وبطليطلة وأعمالها (ابن بعيش) وبسراقسطة وأعمالها (سلیمان بن هود الجذامي) وبطرطوسه وأعمالها (ابید العاصي) وببلنسية وأعمالها (المنصور المغافري) وبالسهلة وأعمالها (عبد بن رزين البربرى) وبوانيه وأعمالها (الموفق العاصي) وبعلقه وأعمالها (بنو طاهر) وبماريه وأعمالها (خيران العاصي) وبعالقه وأعمالها (بنو حمود) وبفرنطة وأعمالها (حبوس الصنهاجى)

بهذه الصفة تفرقت دوله بنى امية وتباهت ملوك الطوائف في أحوال الملك

(كأنها أحسنت صنعاً) فأصبحوا طرفاً في الترف ونهاية في الحضارة حتى قلدوا
الخلفاء في الألقاب والنعموت وجعلوا لهم حجباً يتكلمون عنهم وهم وراء الستار
وصح عليهم قول (شارل مارييل) حينما فزع إليه سكان فرنسا لاستشيهروه في
مايفعلونه مع العرب في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ (امهلاوا العرب
حتى تمتليء أيديهم من الغنائم ويتذدوا من المساكن وينافسوا في الرئاسة
ويستعين بعضهم على بعض وتفارقهم هذه الصفات التي تفني عن كثرة العدد
والقلوب التي دونها حصانة الدروع ثم خذوههم ببعضهم)

أخذ ملك الاسلام في الاندلس في التضييع وملوكه في التفرق وحدث
منهم ما أوجب علماء الامة وأمناء الملة ان تفتى بجواز الحرب معهم لأنحرافهم
عن الاستقامة ومساعدة بعضهم للاسبانيون وظهر في اثناء ذلك أمر يوسف
ابن تاشفين فكتب اليه المعتمد بن عباد أمير اشبيلية يعلمه بحال الاندلس
ويسئل الله النصر والاعانة ثم طال به المهد لاستغفال يوسف بن تاشفين بالفتح
فذهب اليه والتقي به وكان ما كان من دخوله الاندلس وحربه مع (الفوينس
ال السادس) ملك قشتالة في واقعة من اكبر وأشهر وقائع المسلمين بالاندلس
ووفقاً لامثالك بعض البلاد ونفوذ الكلمة في المغرب ضابطاً لمصالح مملكته
مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم حتى ان الامام الغزالى رضى الله
عنه لما سمع بسيرته عنم على لقاءه ولكن الموت حال بينهما

انتقل الملك بعد وفاته لا ولاده ولم يكن فيهم من أهل الحوطه والصون
ما يكفي لتشكيل أعداء الله والدولة طائحة في هوة الملاك فانقرضوا في سنة
٥٤٢ وقامت دولة بنى الامر وهي آخر الدول الاسلامية في بلاد الاندلس
ومنها استرجع الاسبانيون ما كان بآيدي المسلمين وبهم انقرضت الدولة

هلك . والخلفاء من بعده ملعوبة لاعب لأنه جدد في الأذهان طريقة
الوثوب على مقاماتهم العالية وحمل الخلفاء على القناعة بالآية واللذات وانساحهم
عهد الرجالية فقامت الناس من إمداده خلعوا اهشاماً وقتلوا ابنه ثم ولو الحكومة
عبد الرحمن المرتضى ثم قتلوه وهكذا المستظر والمستكفي ثم خلعوا اهشاماً
وأمية بن عبد الرحمن الذي انتهت به الخلافة في الاندلس وعدتهم ستة عشر
 الخليفة في مائتين وأربع وثمانين سنة

تدمع عين القارئ من شؤم ماجرى في هذه البلاد وسوء مأوقع بها
أكثر مما صاحكت سنه والشرح صدره سروراً بدخول طارق بن زياد ولا
وموسى بن نصیر ثانياً وما شيدا فيها من دعائيم الجد واعلام المهدى
ان حزناً في ساعة الفرقـة اضعاف سرور في ساعة الميلاد

قاتل الله الجهل والشقاقي ! أبادا هذه الملائكة بعد أن كانت مجتمع
أعلام الانام ومقر سرير الخلافة ومركز الكرماء ومعدن العلماء فلما يقتبس من
كان شأنه القياس من الناس حالا بحال وفتحا بفتح ليكتشف له ماحدث
ولستتحقق ماجري

قامت دولة بنى الامر المنسيوبين الى سيدنا سعد بن عباده سيد الخزرج ونيران الدسائس مشتعلة بيد الاعداء وقد كثر أمر الثوار وما زال الفشل مستمراً بين العدو مرأة وبين المسلمين وبعضاهم اخري والقائمون بالامر بعضهم يقتل وبعضاهم يخلع والمدن والقرى في فتن وخطوب يطول شرها والبلاد تنقض من اطرافها بسبب الحذلان الذى ادى اليه الشقاق حتى لم يبق لبني الامر الا غر ناطة واعمالها فأقبل العدو بجيشه المركب من جيوش قشتالة واراغون تمهده (أوروبا) فلم يكن منهم الا انهم أفسدوا الزرع وقطعوا الاشجار وهدموا القرى وشددوا الحصار على المسلمين الى أن تمكن فصل الشتاء ونزل الثلج وانسد باب المرافق وانقطع الجبال وقل المطعم والطاعم واشتد الغلاء وعظم البلاء فلم يكن من اهل العلم والوجاهة الاملاقة للسلطان أبو عبد الله فاجتمع الناس اليه ورأوا ان ارتکاب أخف الضررين بالصلح أولى واتفقوا على شروط عقدت ثم قرأت ووافقو عليها وكتبت بها البيعة ونزل السلطان من غر ناطة عن كرسيه ولا حول ولا قوة الا بالله اشتملت هذه الشروط على سبعة وستين شرطا منها (تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال . وإقامة الشريعة على ما كانت عليه . فلا يحكم على أحد إلا بشرعيته ولا يولي على المسلمين نصراني ولا يهودي وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره ولا يجبر أحد على ترك دينه ولا يمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل عما هو قائم به الى آخر ما هو مدون بها من بقية الشروط التي وضعت باتفاق الطرفين)

وافق كلهم على هذه الشروط حتى صاحب رومه وضع خط يده عليها ولكن الاسپانيول لم يراعوها إلا ريثما تقدموا في الامر وتمكن قدموهم

وعلمو أن لاناصر لل المسلمين من ظلمهم فعدلوا عن صراعة تلك الشروط
معهم وأذاقوهم أنواع العذاب والاضطهادات خصوصاً لما تشكّلت الحكمة
المعروفة بحكمة (التحرى القسيسي) (انكيز سيون) فكان لها من القسوة
ما ينجل كل من كان في قلبه ذرة من المروءة والانسانية

أشئت هذه المحاكم بأمر الباباوات (مصدر الرحمة والا حسان) خدمة
للدين في ظاهر الامر ولكنها سياسية باطنأً فاتي الاسپانيول اعملاً ببربرية
وحشية فأحرقوا الزرع وهدموا الدور وغيروا وبدلوا بالعلم الثابتة والآثار
الجميلة ظلماً وعدواناً فاذ آثار المسلمين بتلك الاطراف بائدة لم يبق منها إلا
ما صاح عليه قول القائل

كاد الليلي وكاده مجالة وانكف عاديها من بعد تقتال
ثم اشتت وبها من صبره حرق وان كسته لكيد ثوب امثال
كلت يد الاعداء عن إبادته كما ضعفت يد الدهر عن فناه فقيه لان
بنية يندهش منها الانسان تدل على المعارف والفنون التي كانت في تلك البلاد
تشهد بلسان الآثار والعيار والمباني والمدن والدساكر وعجائب الرسوم ودقة
النقوش وأحكام البناء ان أهلها بلغوا النهاية في الارتفاع والغاية في مدارج العلاء
وتندر الناس بأن الجهل معمول يقتلع الرواسي الشامخة ويحط الى حضيض الثرى
اذا كان العلم يرفعها للثريا

لا يستطيع الانسان ان يجد حسن حال اسبانيا في عصر الدول الاسلامية
لان مؤرخي الغرب اتفقوا مع مؤرخي العرب على ان الاندلس كانت في
مدة الدول الاسلامية في رواج عظيم وانها اشتهرت في خلافة عبد الرحمن
الثالث اشتهراراً لم يكن لها من قبل ولا تأثر لها من بعد لاعتقائه بالمعارف

والشأنة المدارس وتنشئيطة الصنائع وتوسيعه دائرة الزراعة حتى ذاع صيتها
وتقاطرت اليها الطالب من كل البلاد وسادت على العالم . وقد اعتمدنا في
نقل هذه العبارة الصغيرة التي يؤخذ منها ما كانت عليه وما صارت اليه من
دائرة المعارف في الكلام على نقطة أسبانيا صحيفة ٣٣١ جزء ٣ لأننا متتحققين
بأنها تستقي وستتمد في تقولها على الغالب من مؤلفات أجنبية . قال المؤلف
« ان الصناعة في أسبانيا كانت ذات رواج عظيم في القرون الماضية وشهرت
بها في القرون المتوسطة منسوجات الصوف والحرير المصنوعة في اشبيليه
وغرناطة وبيسه والاجواخ المصنوعة في مرسية والأسلحة المصنوعة في
طليطلة (غير ان جلاء اليهود والعرب من أسبانيا وحصر حقوق البيع والشراء
بعصنيعات معامل الحكومة والرسومات العظيمة التي جعلتها الحكومة على
مصنوعات المعامل الخصوصية التي كانت تتضاعف بطبع مأمورى الرسومات
سبباً لسقوط الصناعة في أسبانيا) »

كان في اشبيلية في القديم ١٦ ألف محل لصناعة الحرير فعلتها ١٣٠ ألف
شخص ولحد سنة ١٦٧٣ لم يبق منها سوى ٤٠٥ محلات . وكان في شقوبية
معامل يخرج منها سنويًا ٢٥ ألف شقة من الحرير وفي سنة ١٧٨٨ لم يخرج منها
الا ٤٠٠ شقة فقط اه

وعلى هذا القدر يقاس . والواقف على تواريخ أسبانيا يعلم ما كان للمهود
فيها من سمو المقام والتقدم في الآداب أيام العرب والاسلام وان الكثرين
منهم كانوا يتقنون العلوم العبرانية اي اتقان . ولم يقل أحد بأن العرب أذاقوا هم
مرارة الجلاء عن بلادهم كما وقع ذلك لهم في عهد الحكومة الاسپانية يولية
بل وقع الامر على العكس فان المؤرخين على اجمع بأن اعظم الاسباب التي

سهلت لليهود والنصارى سبل الانضمام والارتباط فى هذه البلاد ضد العرب
هي ان الدول الاسلامية حفظت لهم استقلالهم فلم يعسر عليهم ان يكونوا املاكة
بعد . ومن هذا ايضاً ما فعلته الدولة العلية العثمانية مع بعضها من غير المسلمين
في الروملي وغيره . حفظت لهم كيانهم فضلا عن استقلالهم فلما وُثُبوا للخروج
عليها باغراء الدول لم يجدوا ما يعوقهم عن العمل لفرضهم لأنهم مجتمعون
متحددون

(تم الجزء الثاني)



فهرست

الجزء الثاني من كتاب حماة الاسلام

صحيفة

- | | |
|-----|---|
| ٢ | نبذة تاريخية على انتقال الخلافة للعباسيين |
| ٨ | أبو مسلم الخراساني |
| ١٧ | أبو جعفر المنصور |
| ٢٨ | المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور |
| ٣٥ | هرون الرشيد |
| ٤٤ | المأمون |
| ٦٢ | المعتصم بالله |
| ٦٧ | الموكل على الله جعفر |
| ٧٤ | نبذة تاريخية |
| ٨٧ | الامام أبوحنيفه النعمان |
| ٨٤ | القاضي أبو يوسف |
| ٩٠ | الامام مالك |
| ٩٤ | الامام محمد بن ادريس الشافعي |
| ٩٩ | الامام أحمد بن حنبل |
| ١٠٢ | نبذة تاريخية عن مصر |
| ١٠٨ | المعز لدين الله |

١١٧ عبد الرحمن بن معاوية

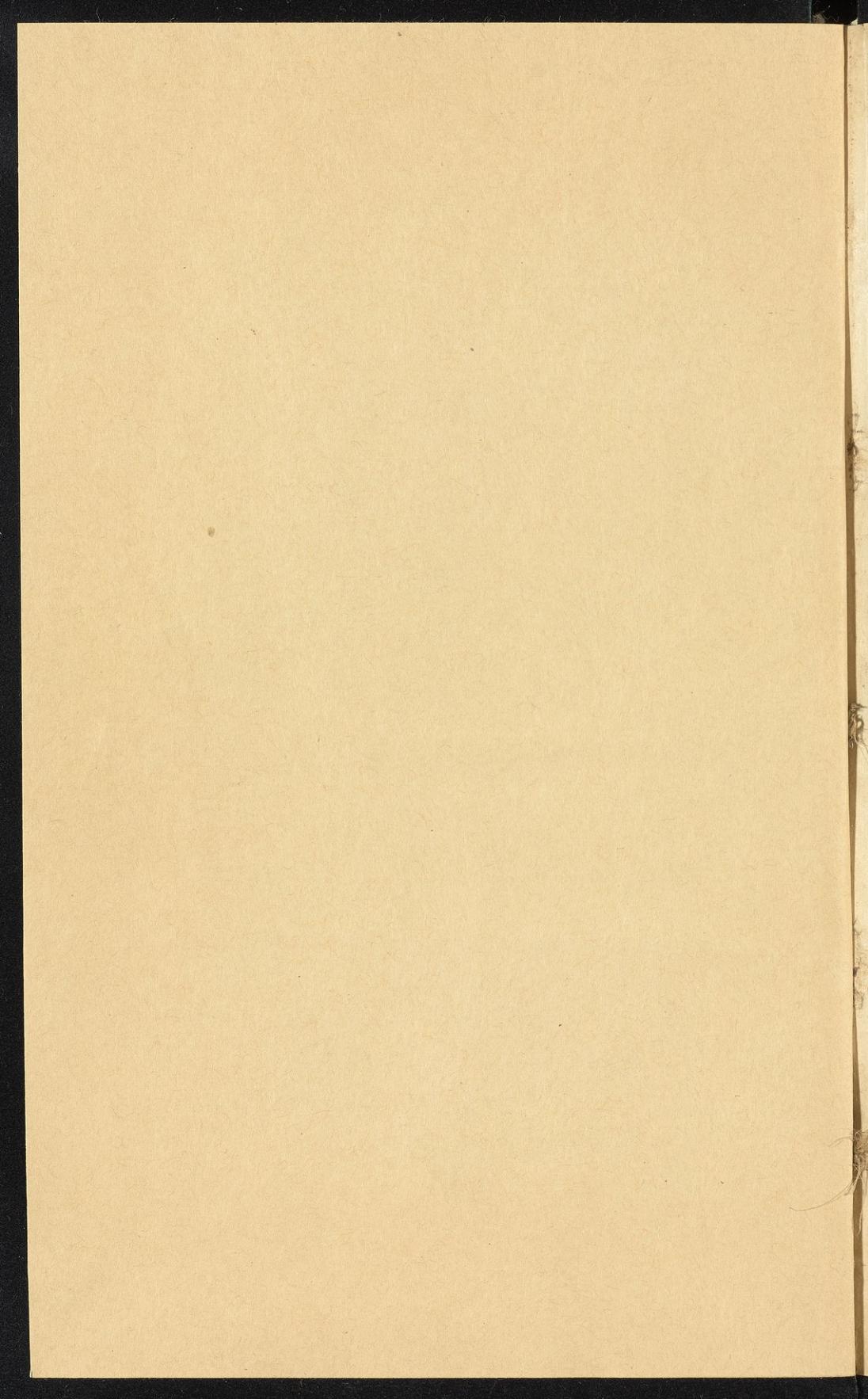
١٢٢ الحكم بن هشام

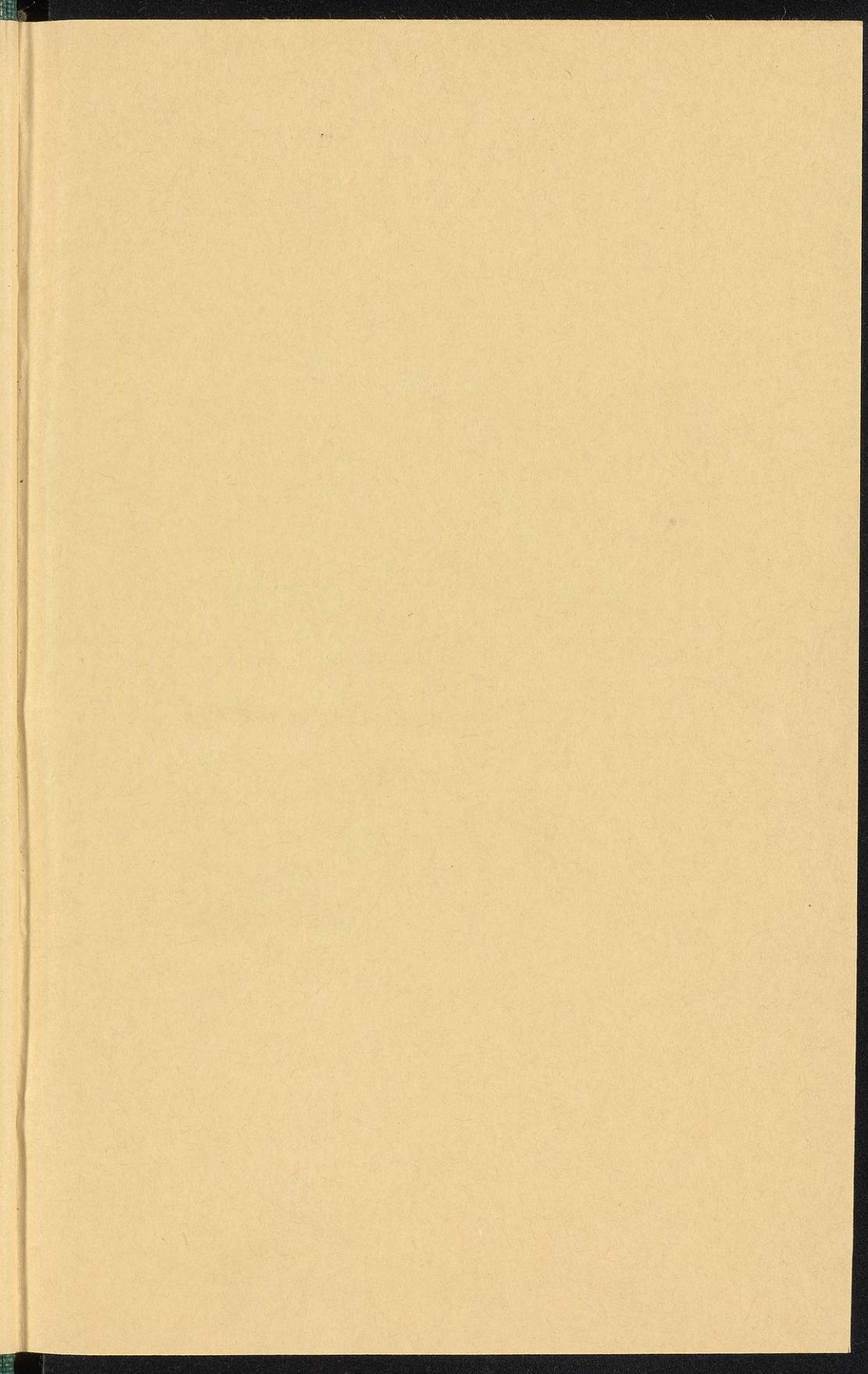
١٢٦ عبد الرحمن بن الحكم

١٣٢ عبد الرحمن بن الناصر

١٤٠ الحكم المستنصر بالله

١٤٧ مأوك الطوائف





JAN 30 1981

OEMCO

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU17705088